السيرة النبوية
وأخبار الخلفاء

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان
ابن أحمد التميمي البستي

تحقيق و مراجعة
سعد كريم الفقي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صماً وأعينا عميا نشهد أنه أدى الأمانه وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة فجزاه الله عنا خير الجزاء بعد .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) ﴾[١]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾[٢].

أما بعد

إن خير الكلام كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدى محمد ﷺ . وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .

ثم أما بعد .

إن فى حياة النبى وصحابته عليهم رضوان الله تعالى العبر والعظات التى لا تحصى ولا تعد كقصص السابقين تماما من الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾[٣]

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٣ .

(٢) سورة الحج الآية ١ - ٢ .

(٣) سورة يوسف الآية ١١١ .

فالنبى ﷺ قاسوا فى سبيل الدعوة الأسلامية الكثير ولاقوا أنواعًا كثيرة من العذاب ومع ذلك كانوا صادقين مع أنفسهم صادقين مع الله تبارك وتعالى صادقين فى أسلامهم صادقين فى توحيدهم لله تبارك وتعالى . قال تعالى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ فوجب على المسلم الذى يغار على دينه أن يتمثل بهم وأن يختفى أثرهم ولله در الشاعر حينما يقول .

أحب الصالحين ولست منهم لعلى أن أنال بهم شفاعة

وقد سرد الأمام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة محمد بن حبان ابن أحمد بن حبان التميمى البستى أبو حاتم المتوفى سنة ٣٥٤ هـ سيرة رسول الله ﷺ وغزواته وحياته . وسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وملوك بنى أمية وبنى العباس باسلوب سهل ميسر فى متناول كل طالب علم .

حيث أنه يتميز عن باقى من كتب فى السيرة النبوية كابن اسحاق وابن هشام وابن كثير وابن الأثير وغيرهم برقة اسلوبه وجمال لفظه وتناول موضوعاته.

وأخير أسأل الله تبارك وتعالى

أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما جهلنا إنه نعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتب

سعد كريم الفقى

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين

ترجمة المؤلف

الإمام العالم الفاضل المتقن ، المحقق الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي ، أبو حاتم المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

اسمه ونسبه :

هو محمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبّان - بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة فيهما - ابن معاذ بن مَعْبَد - بالباء الموحّدة - بن سَعيد بن سَهيد - بفتح السين المهملة وكسر الهاء - ويقال : ابن مَعْبَد بن هَدِيّة - بفتح الهاء وكسر الدال وتشديد الياء آخر الحروف - بن مُرّة بن سعد بن يزيد بن مُرّة بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بَنِ طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو حاتم التميمي البُسْتِيّ ، القاضي ، أحد الأئمة الرحالين والمصنفين[1] .

وُلِدَ بِبُسْت ، وهي مدينة كبيرة بين هراة وغزنة (من بلاد كابل عاصمة أفغان اليوم)[2] .

ذكر نبذة عن شيوخه وذكر ابتداء طلبه للعلم والرحلة فيه :

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان - تحقيق أحمد شاكر (١ / ٥١ - ٥٢) .

(٢) مقدمة الإحسان بتحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين أسد (١ / ١٠) .

قال الحاكم النيسابورى : « كان ابن حبان من أوعية العلم فى الفقه واللغة والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، قَدم نيسابور سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة ، فسار إلى قضاء نَسَا ، ثم انصرف إلينا فى سنة سبع ، فأقام عندنا بنيسابور، وبنى الخانقاه ، وقرىء عليه جملة من مصنفاته ، ثم خرج من نيسابور إلى وطنه سجستان عام أربعين ، وكانت الرحلة إليه لسماع حديثه[1] » فهذا نص هام يحفظ لنا نموذج من رحلة « ابن حبان » فى طلب العلم ، أما أهم شيوخه[2] :

- الحسن بن سفيان (سمع منه فى نسا) .
- عمران بن موسى بن مجاشع الجرجانى (سمع منه بجرجان) .
- محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى (سمع منه بمكة المكرّمة) .
- أحمد بن شعيب بن على النسائى (سمع منه بفسطاط مصر) .
- عبد الله بن محمد بن مسلم الخطيب المقدسى (سمع منه ببيت المقدس) .
- أحمد بن عمير بن جوصاء الحافظ الدمشقى (سمع منه بدمشق) .
- محمد بن الحسن أبى بكر بن قتيبة العسقلانى (سمع منه بالرملة) .
- على بن سعيد العسكرى (سمع منه بسامرّاء) .
- الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان (سمع منه بالرقة) .
- أبو عبد الرحمن : عبد الله بن محمود بن سليمان (سمع منه بمرو) .
- محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج (سمع منه بنيسابور) .
- أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى (سمع منه بحلب) .
- محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصيداوى (سمع منه بصيدا) .

---

(١) معجم البلدان ، لياقوت الحموى (١ / ٤١٧) .

(٢) للتعرف على مزيد من شيوخ الحافظ الرحالة ابن حبان انظر :

- روضة العقلاء - لابن حبان (المؤلف) .
- مقدمة موارد الظمآن (٧ - ١٠) .
- معجم البلدان (١ / ٤١٥ - ٤١٧) .

- جعفر بن محمد الهمدانى (سمع منه بصور) .
- محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعى الراهب (سمع منه بحمص) .

فهذا قدراً قليلاً للتعرف على ناحية من شيوخ هذا الإمام الحافظ .

« لقد وفّق ابن حبان فى رحلته الطويلة أيما توفيق ، فقد اجتمع له من الشيوخ والروايات والأخبار الشيء الكثير ، والعدد الوفير ، فقد جاء فى مقدمة صحيحه أنه كتب عن أكثر من ألفى شيخ ، وهذا العدد الجمّ من الشيوخ يندر أن تجده فى إمام من الأئمة ، إلا أنه حين شرع فى تدوين الصحيح ، أسقط كثيراً من الشيوخ ، ولم يعتد بمروياتهم ، لأنه لم تتحقق فيهم شروط الصحة التى أبان عنها فى مقدمة كتابه ، واقتصر على مئة وخمسين شيخاً منهم ، أقلّ أو أكثر ، وقد عوّل على عشرين منهم ، أدار السنن عليهم ، واقتنع بروايتهم عن رواية غيرهم ، فقد جاء فى المقدمة :

« ولم نرو فى كتابنا هذا إلا عن مئة وخمسين شيخاً ، أقل أو أكثر ، ولعلّ معول كتابنا هذا يكون على نحو من عشرين شيخاً ، أدرنا السنن عليهم واقتنعنا بروايتهم عن رواية غيرهم »[1] .

ويعلّق الإمام الذهبى على النص فيقول[2] : « كذا فلتكن الهمّة ، هذا مع ما كان عليه من الفقه والعربية ، والفضائل الباهرة ، وكثرة التصانيف »

ثناء أهل العلم عليه :

قال أبو سعد عبد الرحمن بن أحمد الإدريسى :

« أبو حاتم البستى كان من فقهاء الناس ، وحفّاظ الآثار ، المشهورين فى الأمصار والأقطار ، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلوم ، ألّف المسند الصحيح ، والتاريخ ، والضعفاء ، والكتب المشهورة فى كل فنّ ، وفقّه النّاس بسمرقند ، ثم تحوّل إلى بُسْت »[3] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ ، ترجمة (٧٠) .

(٢) مقدمة الإحسان (١ / ١١٤) شاكر .

(٣) مقدمة الإحسان للأمير علاء الدين الفارسى (ت ٧٣٩ هـ) (١ / ٥٤ - شاكر) .

وقال عبد الله بن محمد الأستراباذى :

« وكان ابن حبان من فقهاء الدين ، وحُفَّاظ الآثار ، عالماً بالطب والنجوم ، وفنون العلم »[1] .

وقال الإمام الذهبى :

« وكان عارفاً بالطب والنجوم والفقه ، رأساً فى معرفة الحديث »[2] .

وقال ياقوت الحموى فى معجم البلدان :

« كان ابن حبان مُكثراً من الحديث والرِّحلة والشيوخ ، عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عَجَزَ عنه غيرُه ، ومن تأمَّل تصانيفه تأمُّل منصِف ، عَلِم أن الرجل كان بحراً فى العلوم »[3] .

وقال ابن حجر العسقلانى ، الحافظ :

« كان من أئمة زمانه ، وطلب الحديث على رأس سنة ثلاث مئة » وقال أيضاً : « وكان عارفاً بالطب والنجوم والكلام والفقه ، رأساً فى معرفة الحديث ، ووصفه بأنه صاحب فنون ، وذكاءٍ مفرط ، وحفظ واسعٍ إلى الغاية »[4] .

وقال الحاكم ، تلميذه ، صاحب المستدرك :

« أبو حاتم البستى القاضى ، كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال . صنَّف فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يسبق إليه »[5] .

وقال الإسنوى : « كان من أوعية العلم لغة وحديثاً ، وفقهاً ووعظاً ، ومن عقلاء الرجال »[6] .

وقال الصلاح الصفدى :

---

(1) معجم البلدان (١ / ٤١٨) .

(2) ميزان الاعتدال (٣ / ٥٠٦) .

(3) معجم البلدان (١ / ٤٣) .

(4) لسان الميزان (٥ / ١١٢) .

(5) الأنساب (٢ / ٢٠٩) ، معجم البلدان (١ / ٤١٧) .

(6) شذرات الذهب (٣ / ١٦) .

« كـان من فُقـهـاء الدين ، وحفـاظ الآثار ، عـالماً بالطب والنجوم ، وفنون العلم»[1] .

وقال ابن العماد الحنبلي :

« العالمُ الحَبْر ، والعلاّمة البَحر ، كان حافظاً ثَبْتاً ، إماماً حجة ، أحد أوعية العلم فى الحـديث والفـقـه واللغـة والوعظ وغيـر ذلك حـتى الطب والنجـوم والكلام»[2] .

وقال ابن الأثير :

« إمَامُ عصره ، له تصانيف لم يُسبق إليها »[3] .

وقال ابن كثير :

محـمـد بن حبـان صـاحب ، الأنواع والتقـاسيم « وأحـد الحفـاظ الكبـار المصنفين المجتهدين»[4] .

وقال الخطيب البغدادى :

« وكان ابن حِبَّان ثقة نبيلاً فاضلاً »[5] .

(١) الوافى بالوفيات (٢ / ٣١٨) .

(٢) شذرات الذهب (٣ / ١٦) .

(٣) اللباب (١ / ١٥١) .

(٤) البداية والنهاية (١١ / ٢٥٩) .

(٥) نقله عنه الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء ١٦ ، ترجمة رقم (٧٠) .

السِّيرَة النَّبَوِيّة

للإمَام الحَافِظ أبى حَاتِم محمَّد بن أحمَد التميمى البُستى
المتوفى سَنة ٣٥٤ هـ

تحقيق ومراجعة
سعد كريم الفقى
عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

قال أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمى :

الحمد لله الذى ليس له حد محدود فيتوى ، ولا له أجل معدود فيفنى ، ولا يحيط به جوامع المكان ، ولا يشتمل عليه تواتر الزمان ، ولا يدرك نعمته بالشواهد والحواس ، ولا يقاس صفات ذاته بالناس ، تعاظم قدره عن مبالغ نعت الواصفين ، وجل وصفه عن إدراك غاية الناطقين ، وكل دون وصف صفاته تحبير ، اللغات ، وضل عن بلوغ قصده تصريف الصفات ، وجاز فى ملكوته غامضات أنواع التدبير ، وانقطع عن دون بلوغه عميقات جوامع التفكير ، « وانعقدت دون » استبقاء حمده ألسن المجتهدين ، وانقطعت إليه جوامع أفكار آمال المنكرين ، إذ لا شريك له فى الملك ولا نظير ، ولا مشير له فى الحكم ولا وزير، وأشهد أن لا إله إلا الله أحصى كل شىء عدداً ، وضرب لكل امرىء ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾(١) ، وأشهد أن محمداً عبده المجتبى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، فبلّغ عن الله عز وجل الرسالة ، وأوضح فيما دعا إليه الدلالة ، فكان فى اتباع سنته لزوم الهدى ، وفى قبول ما أتى به وجود السنا ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين .

أما بعد ! فإن الله اختار محمداً ﷺ من عباده ، واستخلصه لنفسه من بلاده ، فبعثه إلى خلقه بالحق بشيراً ، ومن النار لمن زاغ عن سبيله نذيراً ، ليدعو [الخلق] من عباده إلى عبادته ، ومن اتباع السبيل إلى لزوم طاعته ، ثم لم يجعل الفزع عند وقوع حادثة ، ولا الهرب عند وجود كل نازلة ، إلا إلى الذى أنزل عليه التنزيل ، وتفضل على عباده بولايته التأويل ، فسنته الفاصلة بين

---

(١) سورة الأنفال آية ٤٢ .

المتنازعين ، وآثاره القاطعة بين الخصمين .

فلما رأيت معرفة السنن من أعظم أركان الدين ، وأن حفظها يجب على أكثر المسلمين ، وأنه لا سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح ، ولا صحة إخراج الدليل من الصريح ، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين وكيفية ما كانوا عليه من الحالات ، أردت أن أملى أسامى أكثر المحدثين ، ومن الفقهاء من أهل الفضل والصالحين ، ومن سلك سبيلهم من الماضين ، بحذف الأسانيد والإكثار ، ولزوم سلوك الاختصار ، ليسهل على الفقهاء حفظها، ولا يصعب على الحفاظ وعيها ، والله أسأل التوفيق لما أوصانا ، والعون على ماله قصدنا ، وأسأله أن يبنى دار المقامة من نعمته ، ومنتهى الغاية من كرامته ، فى أعلى درجة الأبرار المنتخبين الأخيار ، إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

ذكر الحث على لزوم سنن المصطفى ﷺ

أخبرنا أحمد بن مكرم بن خالد البرتى ثنا على بن المدينى ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثنى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر ابن حجر الكلاعى قالا : أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾[1] فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً مجدعاً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً ! فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور! فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[2] . قال الوليد: فذكرت هذا الحديث لعبد الله بن العلاء بن زبر ؟ فقال: نعم ، حدثنى بنحو من هذا الحديث .

---

(١) سورة التوبة آية ٩٢ .

(٢) حديث صحيح رواه أصحاب السنن فى كتبهم بإسناد صحيح .

قال أبو حاتم : إن الله جلّ وعلا اصطفى محمداً ﷺ من بين خلقه ، وبعثه بالحق بشيراً ونذيراً ، وافترض على خلقه طاعته ومذكوره وحدثنا فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾(١) وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾(٢) الآية فأمر الله بطاعة رسوله مع طاعته ، وعند التنازع بالرجوع إلى سنته ، إذ هو المفزع الذى لا منازعة لأحد من الخلق فيه ، فمن تنازع فى شيء بعد رسول الله ﷺ وجب ردّ أمره إلى قضاء الله ثم إلى قضاء رسوله ﷺ ، لأن طاعة رسوله طاعته ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ ﴾(٣) الآية ، وقال ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(٤) ، فقد أعلمهم جل وعلا أن اتباعهم رسوله اتباعه ، وأن طاعتهم له [طاعته] ، ثم ضمن الجنة لمن أطاع رسوله واتبع ما أجابه ، فقال : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾(٥) الآية، ثم أعلمنا جلّ وعلا أنه لم يجعل الحكم بينه وبين خلقه إلا رسوله ، ونفى الإيمان عن من لم يحكمه فيما شجر بينهم ، قال ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون** ﴾ الآية ، ثم أعلمنا جل وعلا أن دعاهم إلى رسوله ليحكم بينهم إنما دعاهم إلى حكم الله ، لا أن الحاكم بينهم ورسول الله ﷺ ، وأنهم متى ما سلموا الحكم لرسول الله ﷺ فقد سلموه بفرض الله ، قال الله عز وجل ﴿ **إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **فأولئك هم الفائزون** ﴾ ، ذا حكم الله فرضه بإلزام خلقه طاعة رسوله ، وإعلامهم أنها طاعته ، ثم أعلمنا أن الفرض على رسوله اتباع أمره ، فقال ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦
(٣) سورة الفتح آية ١٠
(٤) سورة النساء آية ٨٠ .
(٥) سورة النساء آية ٦٩ .

الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) ﴾[١] ، وقال جل وعلا ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ ﴾[٢] الآية ، وقال ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكفرين ﴾ إلى قولة ﴿ خَبِيرًا (٢) ﴾[٣] ثم شهد الله جل وعلا لرسوله باتباع أمره واستمساك بأمره لما سبق فى علمه من إسعاده بعصمته وتوفيقه للهدى مع هداية من اتبعه ، فقال ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾[٤] الاية ، ثم أمره الله جل وعلا بتبليغ ما أنزل إليه مع الشهادة له بالعصمة من بين الناس .

فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[٥] ، ثم أعلمنا أن الذى يهدى إليه رسوله هو الصراط المستقيم الذى أمرنا باتباعه فقال ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[٦] ففى هذه الآية التى طولناها ما أقام بها الحجة على خلقه بالتسليم لحكم رسول الله ﷺ واتباع أمره ، فكل ما بيّن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنّه ووجب علينا اتباعه ، وفى العنود عن اتباعه معصية، إذ لا حكم بين الله وبين خلقه إلا الذى وصفه الله جل وعلا موضع الإبانة لخلقه عنه .

فالواجب على كل من انتحل العلم أو نسب إليه حفظ سنن المصطفى ﷺ والتفقه فيها، ولا حيلة لأحد فى السبيل إلى حفظها إلا بمعرفة تاريخ المحدثين ، ومعرفة الضعفاء منهم من الثقات ، لأنه متى لم يعرف ذاك لم يحسن تمييز الصحيح من السقيم ، ولا عرف المسند من المرسل ، ولا الموقوف من المنقطع ، فإذا وقف على أسمائهم وأنسابهم وعرف - أعنى بعضهم بعضاً - وميز العدول من الضعفاء ، وجب عليه حينئذ التفقه فيها، والعمل بها ، ثم إصلاح النية فى

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٦ .
(٢) سورة الجاثية آية ١٨ .
(٣) سورة الاحزاب آية ٢ .
(٤) سورة النساء آية ١١٣ .
(٥) سورة المائدة آية ٦٧ .
(٦) سورة الشورى آية ٥٢ .

بشرها إلى من بعده رجاء استكمال الثواب فى العقبى بفعله ذلك ، إذ العلم من أفضل ما يخلف المرء بعده ، نسأل الله الفوز على ما يقربنا إليه ويزلفنا لديه .

ذكر الحث على نشر العلم

إذ هو من خير ما يخلف المرء بعده

أخبرنا الفضل بن الحباب ثنا موسى بن إسماعيل ثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له

ذكر الخبر الدال على استحباب حفظ تاريخ المحدثين

أخبرنا محمد بن محمد الهمدانى ثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى ثنا بشر ابن المفضل ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين[1] عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبى بكرة ذكر النبى ﷺ قال : « وقف على بعيره وأمسك إنسان بخطامه – أو قال : بزمامه – فقال : أىّ يوم هذا ؟ » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى آسمه ، فقال : « أليس بيوم النحر ؟» قلنا : بلى ، قال : « فأى شهر هذا ؟ » فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه فقال : أليس بذى الحجة ؟ قلنا : بلى ، قال : فأى بلد هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه ، فقال « أليس البلد الحرام ؟ » قلنا : بلى ، فقال : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ، ألا ! ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من أوعى له منه** » .

قال أبو حاتم فى قوله ﷺ : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، كالدليل على استحباب حفظ تاريخ المحدثين ، الوقوف على معرفة الثقات منهم من الضعفاء ، إذ لا يتهيأ للمرء أن يبلغ الغائب ما شهد إلا بعد المعرفة بصحة ما يؤدى إلى من بعده ، وأنه إذا أدى إلى من بعده مالم يصح عن رسول الله ﷺ فكأنه لم يؤد عنه ﷺ شيئاً ، ولا سبب له إلى معرفة صحة الأخبار وسقيمها إلا بمعرفة تاريخ من

(١) هو محمد بن سيرين الأنصارى ، أبو بكر بن أبى عمرة البصرى ، ثقة ثبت عابد ، كبير القدر ، كان لا يرى الرواية بالمعنى من الطبقة الثالثة توفى سنة ١١٠ هـ أخرج له أصحاب الأصول الستة انظر تقريب التهذيب ١٦٩/٢ ترجمة ٢٩٥

ذكر اسمه من المحدثين وكتاباً أبين فيه الضعفاء والمتروكين ، وأبدأ منهما بالثقات . فنذكر ما كانوا عليه فى الحالات ، فأول ما أبدأ فى كتابنا هذا ذكر المصطفى ﷺ ومولده ومبعثه ، وهجرته إلى أن قبضه الله تعالى إلى جنته ، ثم نذكر بعده الخلفاء الراشدين المهديين بأيامهم إلى أن قتل على رحمة الله عليه ، ثم نذكر صحب رسول الله ﷺ واحداً واحداً على المعجم ، إذ هم خير الناس قرناً بعد رسول الله ﷺ ، ثم نذكر بعدهم التابعين الذين شافهوا أصحاب رسول الله ﷺ فى الأقاليم كلها على المعجم ، إذ هم خير الناس بعد الصحابة قرناً ، ثم نذكر القرن الثالث الذين رأوا التابعين ، فأذكرهم على نحو ما ذكرنا الطبقتين الأولين ، ثم نذكر القرن الرابع الذين هم أتباع التابعين على سبيل من قبلهم ، وهذا القرن ينتهى إلى زماننا هذا .

ولا أذكر فى هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم ، وأقنع بهذين الكتابين المختصرين عن كتاب « التاريخ الكبير » الذى خرجناه لعلمنا بصعوبة حفظ كل ما فيه من الأسانيد والطرق والحكايات ، ولأن ما نمليه فى هذين الكتابين أن يسر الله ذلك وسهله من توصيف الأسماء بقصد ما يحتاج إليه يكون أسهل على المتعلم إذا قصد الحفظ، وأنشط له فى وعيه إذا أراد العلم من التكلف بحفظ ما لو أغض عنه فى البداية لم يخرج فى فعله من التكلف لحفظ ذلك ، فكل من أذكره فى هذا الكتاب الأول فهو صدوق ، يجوز الاحتجاج بخبره إذا تعرى خبره عن خصال خمس ، فإذا وجد خبر منكر عن واحد ممن أذكره فى كتابى هذا فإن ذلك الخبر لا ينفك من إحدى خمس خصال : إما أن يكون فوق الشيخ الذى ذكرت اسمه فى كتابى هذا فى الإسناد رجل ضعيف لا يحتج بخبره ، أو يكون دونه رجل واه لا يجوز الاحتجاج بروايته، والخبر يكون مرسلاً لا يلزمنا به الحجة ، أو يكون منقطعاً لا يقوم بمثله الحجة ، أو يكون فى الإسناد رجل مدلس لم يبين سماعه فى الخبر من الذى سمعه منه، فإن المدلس ما لم يبين سماع خبره عمن كتب عنه لا يجوز الاحتجاج بذلك الخبر لأنه لا يدرى لعله سمعه من إنسان ضعيف يبطل

الخبر بذكره إذا وقف عليه وعرف الخبر به ، فما لم يقل المدلس فى خبره وإن كان ثقة : سمعت أو : حدثنى ، فلا يجوز الاحتجاج بخبره ؛ فذكرت هذه المسألة بكمالها بالعلل والشواهد والحكايات فى « كتاب شرائط الأخبار » ، فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب ، وإنما أذكر فى هذا الكتاب الشيخ بعد الشيخ وقد ضعفه بعض أئمتنا ، ووثقه بعضهم ، فمن صح عندى منهم أنه ثقة بالدلائل النيرة التى بينتها فى كتاب الفصل بين النقلة أدخلته فى هذا الكتاب لأنه يجوز الاحتجاج بخبره ، ومن صح عندى أنه ضعيف بالبراهين الواضحة التى ذكرتها فى كتاب « الفصل بين النقلة » لم أذكره فى هذا الكتاب، لكنى أدخلته فى « كتاب الضعفاء بالعلل » ، لأنه لا يجوز الاحتجاج بخبره ، فكل من ذكرته فى كتابى هذا إذا تعرى خبره عن الخصال الخمس التى ذكرتها فهو عدل يجوز الاحتجاج بخبره ، لأن العدل من لم يعرف منه الجرح ضد التعديل ، فمن لم يعلم بجرح فهو عدل إذا لم يبين ضده ، إذ لم يكلف الناس من النا معرفة ما غاب عنهم ! وإنما كلفوا الحكم بالظاهر من الأشياء غير المغيب ؛ جعلنا الله ممن أسبل عليه جلاليب الستر فى الدنيا واتصل ذلك بالعفو عن جناياته فى العقبى ! إنه الفعال لما يريد .

ذكر مولد رسول الله ﷺ

أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد [عن يونس بن أبى إسحاق] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل .

قال أبو حاتم : ولد[1] النبى ﷺ عام الفيل يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول فى اليوم الذى بعث الله طيراً أبابيل على أصحاب الفيل ، وكان من شأن الفيل أن ملكاً كان باليمن غلب عليها وكان أصله من

(١) فى تاريخ ولادته ﷺ اختلاف ، قال ابن عساكر فى ذكر مولده ١ / ٢٨٠ ما نصه « روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده إلى ابن عباس أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ونبىء يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، وفتح مكة يوم الاثنين ، ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » وتوفى يوم الاثنين (زاد فى رواية : ودخل المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين)=

الحبشة يقال له « أبرهة » بنى كنيسة بصنعاء فسماها « القُلَيس » وزعم أنه يصرف إليها حج العرب ، وحلف أنه يسير إلى الكعبة فيهدمها ، فخرج ملك ، من ملوك حمير فيمن أطاعه من قومه يقال له « ذو نفر » فقاتله، فهزمه أبرهة وأخذه ، فلما أتى به قال له ذو نفر : أيها الملك ! لا تقتلنى فإن استبقائى خير لك من قتلى ، فاستبقاه ، وأوثقه ، ثم خرج سائراً يريد الكعبة ، حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه النفيل بن حبيب الخثعمى ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ النفيل ، فقال النفيل : أيها الملك ! إنى عالم بأرض العرب فلا تقتلنى وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة ، فاستبقاه وخرج معه يدله ، حتى إذا بلغ الطائف خرج معه مسعود بن معتب فى رجال من ثقيف فقال : أيها الملك ! نحن عبيد لك ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا وبيتك الذى تريد – يعنون – اللات إنما تريد البيت الذى بمكة ، نحن نبعث معك من يدلك عليه ، فبعثوا معه مولى لهم يقال له « أبو رغال » ، فخرج معهم حتى إذا كان بالمغمس مات « أبو رغال » وهو الذى رجم قبره ، وبعث أبرهة من المغمس رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله ، فجمع إليه أهل الحرم ، وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير بالأراك ، ثم بعث

= وفى رواية ابن إسحاق أن ولادته كانت في ربيع الأول ، وفيه كانت هجرته ووفاته . وروى شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : حمل برسول ﷺ فى عاشوراء المحرم وولد يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة أصحاب الفيل ، وقد اختلفت الروايات في شهر مولده الشريف وفى عام ولادته أيضاً كما رأيت بعض ذلك ، فمن قائل إنه ولد يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، ومن قائل : إنه ولد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان حين طلع الفجر ، وفى ليلة مولده حجبت الشياطين عن استراق السمع ورميت بالشهب » وفيها أقوال غير ذلك ، وذكر اليعقوبى فى تاريخه ٢ / ٧ » وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، بينه وبين الفيل خمسون ليلة ، وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب . قال – ما شاء الله – المنجم : كان طالع السنة التى كان فيها القران الذى دل على مولد رسول الله ﷺ الميزان اثنتين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها والمشترى فى العقرب ثلاث درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة ، وزحل في العقرب ست درجات وثلاثاً وعشرين دقيقة راجعاً ، والزهرة فى الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة ، وعطارد فى الحمل على ثانى عشرة درجة وست وعشرة دقيقة راجعاً ، والمرجع فى الجوزاء النتى عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة والقمر وسط السماء فى السرطان درجة وعشرين دقيقة .

أبرهة حناطة الحميرى إلى أهل مكة فقال : سل عن شريفها ثم أبلغه أنى لم آت لقتال ، إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حناطة حتى دخل مكة ، فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال : إن الملك أرسلنى إليك ليخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ما عندنا له قتال ، فقال : سنخلى بينه وبين البيت ، فإن خلى الله بينه وبينه فوالله ما لنا به قوة ! قال : فانطلق معى إليه ، قال : فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان « ذو نفر » صديقاً لعبد المطلب فأتاه فقال : يا ذا نفر ! هل عندكم من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال : ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية ، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فأمره أن يضع لك عند الملك ما أستطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده ، قال : فأرسل إلى أنيس فأتاه ، فقال : إن هذا سيد قريش ، صاحب عين مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير ، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فإنه صديق لى ، فدخل أنيس على أبرهة فقال : أيها الملك ! هذا سيد قريش وصاحب عين مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له ، فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك . فأذن له ، وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً جسيماً وسيما ، فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه، وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته ، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه ، فقال له عبد المطلب : [أيها الملك] إنك قد أصبت لى مالاً عظيما فأردده علىّ ، فقال له : لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك ، قال : ولم ؟ قال : جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ! قال : أنا رب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمنعه ! قال : ما كان ليمنعه منى ! قال : فأنت وذاك ! قال : فأمر بإبله فردت عليه ، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشاً الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ، وأصبح

أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبّى جيشه وقرّب فيله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم ، فلما حرّكه وقف وكاد أن يرزم إلى الأرض فيبرك ، فضربوه بالمعول فى رأسه فأبى ، فأدخلوا محاجنهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى ، فوجهوه إلى اليمن فهرول ، فصرفوه إلى الحرم فوقف ، ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال ، فأرسل [الله] الطير من البحر كالبلسان[1] ، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة ، فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحد إلا هلك ، وليس كل القوم أصاب فذلك قول الله تعالى ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ السورة كلها ، وبعث الله على أبرهة داء فى جسده ، ورجعوا سراعاً يتساقطون فى كل بلد ، وجعل أبرهة تتساقط أناملة ، كلما سقطت أنملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى إلى اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه ثم مات ، فلما هلك استخلف ابنه يكسوم بن أبرهة فهذا ما كان من شأن الفيل ، وسميت هذه السنة « سنة الفيل » .

ذكر نسب سيد ولد آدم وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ﷺ

أخبرنا عبد الله بن محمد بن سالم ببيت المقدس ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعى حدثنا شداد أبو عمار عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله ﷺ : إن الله اصطفى [كنانة] من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ،. واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ؛ فأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول

---

(١) التصحيح من مجمع بحار الأنوار وفيه « بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان ، قال عباد أظنها الزرازير والبلسان شجر كثير الورق ينبت بمصر وله دهن معروف ، وقال البيهقى فى دلائل النبوة ما نصه « عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم ﴾ قال طير لها خراطيم كخراطيم الطير وأنف كأنف الكلاب .

مشفع[١] .

قال أبو حاتم : نسبة رسول الله ﷺ تصح إلى عدنان ، وما وراء عدنان فليس عندى فيه شيء صحيح أعتمد عليه غير أنى أذكر اختلافهم فيه بعضهم لبعض من ليس ذلك من صناعته : فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب شيبة - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد مناف - واسم عبد مناف المغيرة - بن قصى - واسم قصى زيد - بن كلاب - وهو المهذب - بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر - وهو قريش - بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٢] إلى هنا ليس بين النسابة خلاف فيه ؛ ومن عدنان هم مختلفون فيه إلى إبراهيم .

فمنهم من قال : عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعقوب بن نبت بن نابت بن أنوش بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن آزر .

ومنهم من قال : عدنان بن أدد بن الهميسع بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر.

ومنهم من قال : عدنان بن أد بن سحب بن أيوب بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .

ومنهم من قال : عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب بن ثعلبة بن عتر بن يربح بن محلم بن العوام بن المحتمل بن دائمة بن العيقان بن علة بن شحدود

(١) ذكره السمعانى فى الأنساب فى نسب بنى هاشم ١ / ١٥ من طريق عبد الوهاب بن المبارك الأنماطى إلى قوله عليه السلام « واصطفانى من بنى هاشم » .

(٢) وفى الأنساب ١ / ١٣ ذكر السمعانى نسب رسول الله ﷺ بروايته عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن عابر بن صالح بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر بن تارح بن ماخور بن شارغ بن فالغ بن عابر - وهو هود النبى ﷺ - بن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ - وهو إدريس - بن أدد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم صلوات الله على الأنبياء أجمعين - رواه الهيثم بن خالد عن موسى بن أيوب » .

ابن الظريف بن عبقر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .

ومنهم من قال عدنان بن أدد بن عوج بن المعطم بن الطمح بن القسود بن العبور بن دعدع بن محمود بن الزائد بن بدان بن الدرس بن حصن بن النزال ابن القاسم بن المجشر بن معدد بن صيفى بن النبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم بن آزر .

ثم اختلفوا أيضاً فيما فوق إبراهيم :

فمنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن ناحور بن شارغ بن الراغ بن القاسم الذى قسم الأرض بين أهلها ابن معن بن السايح بن الرافد بن السايح وهو سام بن نوح نبى الله عليه الصلاة والسلام .

ومنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن ناحور بن صاروح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح .

ومنهم من قال : إبراهيم بن آزر بن تارخ بن ناحور بن ساروح بن أرغو بن فالج بن عبير بن سايح بن أرفخشد بن سام بن نوح .

ثم اختلفوا فيما بعد نوح عليه السلام فمنهم من قال : نوح بن ملكان بن متوشلخ بن إدريس نبى الله ﷺ بن الرائد بن مهلهل بن قنان بن الطاهر بن هبة الله بن شيث بن آدم .

ومنهم من قال : نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس النبى عليه السلام بن يارز بن مهابيل بن قبش بن أنش بن شيث بن آدم .

ومنهم من قال : نوح بن لامك بن شلح بن خنوخ بن يارزا بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .

ومنهم من قال : نوح بن لامك بن متوشلخ بن مهليل بن قينين بن يافش ابن شيث بن آدم .

وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب . ولم يكن لها أخ - فيكون خالاً للنبى ﷺ - إلا

عبد يغوث بن وهب ، ولكن بنو زهرة يقولون : إنهم أخوال رسول الله ﷺ ، لأن آمنة أم رسول الله ﷺ كانت منهم . وأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة اسمها مرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى . وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى . وأمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى . هؤلاء جدات رسول الله ﷺ من قبل أم أمه .

وأما جداته ﷺ من قبل أبى أمه : فإن أم وهب بن عبد مناف بن زهرة اسمها قيلة بنت أبى قيلة ، واسم أبى قيلة فهر بن غالب بن الحارث ، وهو غبشان ، وكان يعير بأبى كبشة الذى نسبت قريش رسول الله ﷺ إليه إذن كان مشركاً فتنصر لما سافر إلى الشام ورجع إلى قريش بدين غير دينها ، فعيرت قريش رسول الله ﷺ به (١) .

وأما أم قيلة خالدة بنت عابس بن كرب بن الحارث بن الفهر . وأم عبد مناف و أم زهرة جدة أم رسول الله ﷺ فاسمها جمل بنت مالك بن سعد بن سعد بن مليح . وأمها سلمى بنت حيان بن غنم . وأم زهرة بن كلاب جدة جدة رسول الله ﷺ اسمها فاطمة بنت سعد بن سيل بن حرب . وأمها طريفة بنت قيس بن ذى الرأسين بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما أمهات آبائه ﷺ فإن أم (٢) عبد الله بن عبد المطلب اسمها عاتكة بنت أرقص بن مالك بن زهرة ، وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله ﷺ .

وأما أم عبد المطلب بن هاشم فهى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار لذلك .

وأم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة وهى الثانية من العواتك ، وهى أم هاشم بن عبد مناف والمطلب بن عبد

---

(١) وفى الدلائل ما لفظه « ونسبوه إليه فقالوا ابن أبى كبشة »

(٢) وفى الطبرى ١٧٢/٢ « وكان عبد الله والزبير وعبد مناف وهو أبو طالب بنو عبد المطلب لأم واحدة وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ »

مناف وعبد شمس بن عبد مناف ؛ وإنما سمى هاشم هاشماً لأنه هشم الثريد لقوله :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكـة مسنتون[1] عجاف[2]

وكان اسمه عمرو العلاء . وأم عبد مناف بن قصى اسمها حبى بنت حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة ، فهى والدة عبد الدار وعبد العزى أولاد قصى بن كلاب . وأم قصى فاطمة بنت سعيد بن سيل بن حرب بن حمالة بن عوف بن الأزد ، وكان قصى يسمى مجمعاً لأن الله به جمع القبائل من فهر . وأم كلاب بن مرة هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، وهى والدة ابن مرة ويقظـة ابنى مرة . وأم مرة بن كعب مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وقد قيل وحشية بنت محارب بن فهر. وأم كعب بن لوى ماوية بنت كعب بن القين بن أسد بن وبرة . وأم لؤى بن غالب سلمى بنت عمرو بن عامر بن حارثة بن خزاعة . وأم غالب بن فهر عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ، وهى إحدى العواتك اللاتى ولدن النبى ﷺ ، ما قال النبى ﷺ يوم حنين : أنا ابن العواتك . وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن عامر بن الحارث الجرهمى .

وأم مالك بن النضر عكرشة بنت عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وأم النضر بن كنانة برة بنت مر أخت تميم بن مر ، وقيل : إنها فكهة بنت هنى بن بَلِىّ ، والنضر هو قيس ، وإنما قيل للنضر : قريش ، لتجمعها من تفرق من بيتها ، لأن التقرش هو التجمع . وأما أم كنانة فهى عوانة – وقد قيل : هند – بنت سعد بن قيس عيلان . وأما أم خزيمة بن مدركة فهى سلمى بنت سعد بن قيس بن الحاف بن قضاعة .

وأما أم مدركة بن إلياس فهى خنذف ، وهى ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وكان لإلياس بن مضر ثلاثة من البنين: عمرو وهو مدركة،

---

(١) مسنتون : جائعون .

(٢) عجاف : يقال عجف عجفا أى هزل وضعف فهو أعجف، وهى عجفاء (ج) عجف وعجاف . وفى القرآن الكريم ﴿ يأكلهن سبع عجاف ﴾ .

وعامر وهو طابخة ، وعمير فهو قمعة ؛ وأمهم خندف ، وإنما سمى هؤلاء بهذه الأسماء لأن الناس خرجوا فى نجعة لهم فنفرت إبلهم من أرنب فخرج فى أثرها عمرو فأدركها فسمى[1] مدركة ؛ وأخذها عامر فنحر منها وطبخها فسمى طابخة ، وانقمع عمير فى الخباء ولم يخرج معها فسمى قمعة ، وخرجت أمهم تمشى فى طلب الإبل فقيل لها : أين تخندفين وقدرت الإبل ، فسميت خندف ، والخندفة ضرب من المشى .

وأم إلياس [2] بن مضر الربابة [3] بنت إياس بن معد .

وأم مضر بن نزار سودة بنت عك [4] بن عدنان بن أدد .

وأم نزار بن معد معانة بنت جوش بن جلهمة بن عمرو بن حليمة بن حرميه.

وأم معد بن عدنان مهددة بنت جلحب بن جديس .

وأم عدنان بن أدد بلها بنت ماعز بن قحطان.

فهذه جوامع ما يحتاج إليه معرفة نسبة أمهات آباء رسول الله ﷺ .

وأما أولاد عبد المطلب فهم عشرة : عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ والزبير بن عبد المطلب ، والعباس بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب، والمقوم بن عبد المطلب واسمه عبد العزى ، والحارث بن عبد المطلب . والغيداق ابن عبد المطلب ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وأبو طالب ابن عبد المطلب اسمه عبد مناف .

---

(١) وقال ابن جرير فى تاريخه ١٨٩/٢ « وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرعيانها فاقتنصا صيداً فقعدا يطبخانه وعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ الصيد فلحق عامر الإبل فجاء بها فلما راحا على أبيهما فحدثاه شأنهما قال لعامر : أنت مدركة وقال لعمرو : وأنت طابخة »

(٢) وفى الروض الآنف ويذكر عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً . وذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى ﷺ بالحج . وإلياس أول من أهدى البدن للبيت » . وفى جمهرة الأنساب أمه « أسمى بنت سودة » .

(٣) وفى الطبرى « الرباب بنت حيدرة بن معد » وفى الروض « وأم إلياس الرباب بنت حميرة بن معد بن عدنان »

(٤) وفى الطبرى ونسب قريش فولد نزار : مضر ، وإياداً ، وأمهما : خبية بنت عكرمة .

فأما عبد الله والد رسول الله ﷺ فإنه لم يكن له ولد غير رسول الله لاذكر ولا أنثى ، وتوفى [١] قبل أن يولد رسول الله ﷺ ، وكان عبد الله والد رسول الله ﷺ وأبو طالب من أم واحد .

وأما الزبير [٢] بن عبد المطلب فكنيته أبو طاهر وكان من أجلة قريش وفرسانها، وكان من المبارزين وكان يقول الشعر فيجيز .

وأما العباس [٣] بن عبد المطلب فإن كنيته أبو الفضل ، وكان إليه السقاية وزمزم فى الجاهلية ، فلما فتح رسول الله ﷺ دفعها إليه يوم فتح مكة ، ومات العباس سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان وهو ابن ثمان وثمانين سنة بالمدينة ، وصلى عليه عثمان بن عفان .

وأما ضرار [٤] بن عبد المطلب فإنه كان يتعاطى بقول الشعر ، ومات قبل الإسلام من غير أن يعقب .

وأما حمزة [٥] بن عبد المطلب فإن كنيته أبو عمارة ، وكان أسد الله وأسد رسول الله ﷺ ، وقد قيل إن كنيته أبو يعلى ، استشهد يوم أحد ، قتله وحشى ابن حرب مولى جبير بن مطعم فى شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان

---

(١) فى تاريخ اليعقوبى « وكانت سنة يوم توفى خمساً وعشرين » وقال ابن جرير فى تاريخه « وبعثه أبوه إلى المدينة فى ميرة يحمل لهم تمراً فمات بالمدينة فبعث عبد المطلب ابنه الحارث فى طلبه حين أبطأ فوجده قد مات . وقل الواقدى : والثابت عندنا ليس بين أصحابنا فيه اختلاف أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام فى عيد لقريش فنزل بالمدينة وهو مريض فأقام بها حتى توفى ودفن فى الدار النابغة ، وقيل التابعة فى الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسار ليس بين أصحابنا فى هذا اختلاف .

(٢) فى تاريخ اليعقوبى « وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة » .

(٣) وله ترجمة فى الإصابة ٣٠/٤ وفيها « ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين وضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت فوجدته فكست البيت الحرير فهى أول من كساه ذلك ، فيقال إنه أسلم وكتم قومه ذلك ، وصار يكتب إلى النبى ﷺ بالأخبار ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين ، ومات بالمدينة فى رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلاثين » .

(٤) وفى تاريخ اليعقوبى « والعباس » ، وضرار أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط » .

(٥) وله ترجمة فى الإصابة ٣٧/٢ ما نصها « حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى ، أبو عمارة عم النبى ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب كما ثبت فى الصحيحين =

حمزة أكبر من النبى ﷺ بسنتين .

وأمـــا المقـوم بن عـبـد المطلب فكان من رجـالات قـريش ، هلك قـبل الإسلام، ولا عقب له .

وأما أبو لهب بن عبد المطلب فكنيته أبو عقبة وإنما سمى أبو لهب لجماله ، وكان أحول ، ممن يعادى رسول الله ﷺ من بين عمومته ، ويظهر له حسداً إلى أن مات عليه من العدسة فى عقب يوم بدر لما بلغه ما كان فى ذلك اليوم من المشركين من النكاية من المسلمين كمد منه حتى مات .

وأما الحارث بن عبد المطلب فهو أكبر ولد عبد المطلب ، واسمه كنيته ، وهو ممن حفر بئر زمزم مع عبد المطلب .

وأما الغيداق بن عبد المطلب فإنه مات ولم يعقب وكان من رجالات قريش .

وأما أبو طالب[1] بن عبد المطلب فكان هو وعبد الله بن عبد المطلب لأم واحدة ، وكان وصى عبد المطلب ، وأوصى إليه عبد المطلب فى ماله بعده وفى حفظ رسول الله ﷺ وتعهده على ما كان يتعهده عبد المطلب فى حياته ، ومات أبو طالب قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بثلاث سنين وأربعة عشر .

وأما عمات رسول الله ﷺ فهن ست بنات لعبد المطلب بن هاشم لصلبه ،

= ، وأسلم فى السنة الثالثة من البعثة ، وعاش دون الستين ، ودفن حمزة وعبد الله بن جحش فى قبر واحد . عن خليفة عن حمزة بن عبد المطلب عن النبى ﷺ قال : « الزموا هذا الدعاء : اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم ورضوانك الأكبر – الحديث » .

(١) وله ترجمة فى الإعلام للزركلى ٤ / ٣١٥ ما نصه : « أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، أبو طالب ، والد على رضى الله عنه ، وعم النبى ﷺ وكافله ومربيه ومناصره ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، ومن الخطباء العقلاء الأباة ، وكان له تجارة كسائر قريش ، نشأ النبى ﷺ فى بيته ، وسافر معه إلى الشام فى صباه ، ولما أظهر الدعوة إلى الإسلام هم أقرباؤه (بنو قريش) بقتله، فحماه أبو طالب وصدهم عنه ، فدعاه النبى ﷺ إلى الإسلام فامتنع خوفاً من أن تعيره العرب بتركه دين آبائه ، ووعد بنصرته وحمايته ، وفيه الآية ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ واستمر على ذلك إلى أن توفى ، فاضطر المسلمون للهجرة من مكة ، وفى الحديث : « ما نالت قريش منى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » وله ترجمة أيضاً فى طبقات ابن سعد (١) : ٧٥ ، وابن الأثير ٢ : ٣٤

أولهن عاتكة بنت عبد المطلب ، وأميمة بنت عبد المطلب ، وأروى [١] بنت عبد المطلب ، والبيضاء بنت عبد المطلب وهى أم حكيم ، وبرة بنت عبد المطلب ، وصفية بنت عبد المطلب .

فأما عاتكة بنت عبد المطلب فكانت عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى .

وأما أميمة بنت عبد المطلب فكانت عند جحش بن رئاب الأسدى .

وأما البيضاء بنت عبد المطلب فكانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأما برة بنت عبد المطلب فكانت عند عبد الأسد بن هلال المخزومى .

وأما صفية [٢] بنت عبد المطلب فكانت عند العوام بن خويلد بن أسد .

وأما أروى بنت عبد المطلب فكانت عند عمير بن قصى بن كلاب . ولم يسلم من عمات النبى ﷺ إلا صفية وهى والدة الزبير بن العوام ، وتوفيت صفية فى خلافة عمر بن الخطاب .

فهذه جوامع ما يجب أن يحفظ من ذكر عمومة رسول الله ﷺ وعماته [٣] .

وأما أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف فإنها لما وضعته جاءت به إلى جده عبد المطلب وأخبرته أنها رأت حين حملت به فى النوم أنه قيل لها

(١) ولها ترجمة فى الاستيعاب ٧٠٢/٢ وفيها : « أروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وذكرها أبو جعفر العقيلى فى الصحابة وذكر أيضاً : عاتكة بنت عبد المطلب وأبى غيره من ذلك وهما مختلف فى إسلامهما ، فأما محمد بن إسحاق ومن قال بقوله فذكر أنه لم يسلم من عمات رسول الله إلا صفية ، وغيره يقول إن أروى وصفية أسلمتا جميعاً من عمات رسول الله ﷺ » .

(٢) ولها ترجمة فى الإصابة ١٢٨/٨ ، وهى والدة الزبير بن العوام أحد العشرة ، وهى شقيقة حمزة أمها هالة بنت وهب ، وهى أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين .

(٣) قال اليعقوبى فى تاريخ ١١/٢ « وكان لعبد المطلب من الولد الذكور عشرة ومن الإناث أربع : عبد الله أبو رسول الله ﷺ ، وأبو طالب وهو عبد مناف ، والزبير وهو أبو الطاهر ، وعبد الكعبة وهو المقوم وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهى أم أم حكيم البيضاء ، وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وصفية بنات عبد المطلب ؛ والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى ، وقثم ، وأمهما صفية بنت جندب بن حجر بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة ؛ وحمزة وهو أبو يعلى أسد الله وأسد رسول الله ، وأمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهى أم صفية بنت عبد=

حملت سيد هذه الأمة ! فإذا وضعتيه فسميه محمداً [1] . فأخذه عبد المطلب فذهب به على هبل فى جوف الكعبة ، وقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، فقالت أمه : رأيت فى المنام كأنه خرج منى نور أضاء لى قصور الشام

ثم التمس له الرضاعة فاسترضع رسول الله ﷺ من امرأة من بنى سعد ابن بكر يقال لها : حليمة بنت أبى ذؤيب وأبو ذؤيب اسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وزوج حليمة اسمه الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة من بنى سعب بن بكر ، وأخو رسول الله الذى أرضعته حليمة مع رسول الله ﷺ اسمه عبد الله بن الحارث بن عبد العزى ولعبد الله هذا أختان من حليمة : إحداهما أنيسة والأخرى جذامة بنت الحارث بن عبد العزى . قالت حليمة : خرجت فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة ، فخرجت على أتان لى قمراء فى سنة شهباء ومعى زوجى ، ومعنا شارف لنا والله إن تبض بقطرة من لبن ، ومعى صبى لى لا ننام ليلتنا من بكائه وما فى ثديى ما يغنيه ، فلما قدمنا مكة لم تبق منا امرأة إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه ، وإنما نرجوا الكرامة فى رضاع من يرضع له من والد المولود وكان يتيماً فكنا نقول : ما عسى أن تصنع به أمه ، فكنا نأباه حتى لم يبق من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعة غيرى ، فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً وقد أخذ صواحبى ما أردن ، فقلت لزوجى والله لأرجع إلى ذلك اليتيم ولآخذنه !

= المطلب والعباس . وضرار ، أمهما نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمر بن قاسط ؛ وأبو لهب وهو عبد العزى . وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضامر الخزاعى ، والغيداق وهو جحل وإنما سمى الغيداق لأنه كان أجود قريش وأطعمهم للطعام . وأمه ممنعة بنت عمرو بن مالك بن نوفل الخزاعى فهؤلاء أعمام رسول الله ﷺ وعماته »

(1) وزاد فى الطبرى ودلائل النبوه « فإذا وضعتيه فقولى أعيذه بالواحد . من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً »

قالت : فأتيته فأخذته ثم رجعت إلى رحلى ، قال زوجى أصبت والله يا حليمة ! عسى أن يجعل فيه خيراً ، قالت فوالله ما هو إلا أن وضعته في حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، ثم قام زوجى إلى شارفنا من الليل فإذا بها حافل فحلب لبناً ، فشربت حتى رويت وشرب حتى روى ؛ فبتنا بخير وقد نام صبينا وروى ، فقال زوجى : والله يا حليمة ! ما أراك إلا أصبت نسمة مباركة ، قالت : ثم خرجنا فوالله ! لخرجت أتانى أمام الركب حتى أنهم ليقولون لى : يا ويحك كفى علينا أليست هذه بأتانك التى خرجت عليها ؟ فأقول والله بلى ، حتى قدمنا أرضنا من حاضر بنى سعد بن بكر ، قالت : قدمنا على أجدب أرض ، فوالذى نفس حليمة بيده ! إن كانوا ليسرحون بأغنامهم إذا أصبحوا ويسرح راعى غنمى فتروح غنمى حفلاً بطاناً لبنا وتروح أغنامهم جياعاً هالكة ما بها من لبن فنشرب ماشئنا من اللبن وما من الحاضر أحد يحلب قطرة ولا يجدها ، قالت فيقولون لرعاتهم : ويلكم ! ألا تسرحون حيث يسرح راعى حليمة ؟ فيسرحون في الشعب الذى يسرح فيه فتروح أغنامهم جياعاً هالكة وتروح غنمى حفلاً لبناً ، قالت : وكان يشب (١) في اليوم شباب الصبى في الشهر ، ويشب في الشهر شباب الصبى في السنة .

فلما بلغ سنتين قدمنا به على أمه ، فقالت : إن لابنى هذا شأناً ! إنى حملت به فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف على منه ! ولقد رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت قصور بصرى - ثم وضعته ، فوالله ! ما وقع كما يقع الصبيان ! لقد وقع معتمداً على يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما فقبضته وانطلقا

(١) وفي الطبرى : « حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً ، فقدمنا به على أمه ونحن نحرص على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه وقلنا لها : يا ظئر لو تركت بنى عندى حتى يغلظ فإنى أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى رددناه معنا ، قالت فرجعنا به »

قال أبو حاتم : فتوفيت أمه ﷺ بالأبواء ورسول الله ﷺ ابن أربع سنين[1] وكان عبد المطلب من أشفق الناس عليه وأبر الآباء به إلى أن توفى عبد المطلب ورسول الله ﷺ بن ثمان [2] سنين ، وأوصى به إلى أبى طالب ، واسم أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب وذلك أن عبد الله وأبا طالب كانا لأم ، فكان أبو طالب الذى يلى أمور رسول الله ﷺ بعد عبد المطلب إلى أن راهقه ؛ وبلغ مبلغ الرجال ، وكان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ قال :

فشق له من اسمه ليُجله فذُو العرش محمود وهذا محمد

ذكر فى الاستيعاب لابن عبد البر بإسناده إلى ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبى ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبة سماه محمداً ؛ قال ابن عبد البر بعد هذا : قال يحيى بن أيوب : ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبى السرى العسقلانى ، قال : وقد روى أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً ـ يعنى : مقطوع السرة .

---

(١) وفى الطبرى ١٣١/١ عن ابن إسحاق أن أم رسول الله ﷺ آمنة توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم فماتت وهى راجعة به إلى مكة . وعن عثمان بن صفوان أن قبر آمنة بنت وهب فى شعب أبى ذر بمكة .

(٢) كذا قال أبو جعفر الطبرى ، وقال : وكان بعضهم يقول توفى عبد المطلب ورسول الله ابن عشر سنين .

ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام

حدثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن أبي شيبة[1] ثنا قراد أبو نوح ثنا يونس ابن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله وأشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب . وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج لهم ولا يلتفت إليهم فأتاهم وهم يحلون رواحلهم وأحلاسهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين ! هذا رسول رب العالمين ! هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ! فقال له أشياخ قريش : ما علمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ؛ ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان هو ﷺ في رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فقال : انظروا إليه، عليه غمامة تظله ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال عليه قال : فبينما هوقائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم لو رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه ناس ، وإنا أخبرنا بخبره فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال لهم : « أفرأيتم أمراً إذا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ » قالوا : لا ، فتابعوه وأقاموا معه ، قال فأتاهم فقال لهم : « أنشدكم بالله أيكم وليه ؟ » قال أبو طالب : أنا ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً وزوده الراهب من الكعك والزيت .

قال أبو حاتم : فقدم رسول الله بمكة ، وكانت سفرته الثانية مع ميسرة غلام خديجة ، ثم تزوج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد ، وهو ابن خمس وعشرين سنة وخويلد هو ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب

(١) أبو بكر بن أبي شيبة هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم الحافظ الكوفي روى عن أبي الأحوص وابن المبارك وشريك وغيرهم وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم وثقه العجلي وأبو حاتم ، مات سنه ٢٣٥ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٦ / ٢ .

ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب وكانت قبل أن يتزوج بها رسول الله ﷺ تحت أبى هالة أخى بنى تميم ثم كانت تحت عتيق بن عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان السبب فى ذلك أن خديجة كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم منه ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكريم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له : « ميسرة » فقبله منها رسول الله ﷺ ، وخرج فى مالها معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ، نزل رسول الله ﷺ فى ظل شجرة قريبة من صومعة راهب من الرهبان ، فأطلع الراهب ميسرة فقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ظلاً على رأس رسول الله ﷺ من الشمس وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بماله باعت ما جاء به ، وأخبرها ميسرة عن قول الراهب وعن ما كان من أمر الإظلال ، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ؛ فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ وقالت : إنى قد رغبت فيك وفى قرابتك وفى أمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً ، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك ﷺ لأعمامه فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمه حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه ، فزوجها [1] من

---

(١) فى الطبرى « فتزوجها »

رسول الله ﷺ؛ فولد له منها زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، والقاسم وكان به يكنى والطاهر [1] والطيب فهلكوا قبل الوحي .

وأما البنات فكلهن أسلمن وهاجرن إلى المدينة ، وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد – وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس– ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان من الإظلال عليه ، فقال ورقة : إن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبى هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن بهذه الأمة سيظهر فى هذا الوقت .

ذكر تفضل الله على رسوله المصطفى ﷺ

بالكرامة والنبوة بين خلق آدم ونفخ الروح فيه

أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائى ثنا العباس بن عثمان البجلى ثنا الوليد ابن مسلم ثنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » – عليه الصلاة والسلام .

ذكر صفة بدء الوحى على رسول الله ﷺ [2]

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة بعسقلان ثنا ابن أبى السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن عائشة [3] قالت : أول ما ابتدئ

(١) وفى الطبرى : « فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا قبل الوحى »

(٢) قال أبو جعفر الطبرى « وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجار بخمس عشرة سنة وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة ، واختلف السلف فى سن رسول الله ﷺ حين نبئ كم كانت ؟ فقال بعضهم نبئ رسول الله ﷺ بعدما بنت قريش الكعبة بخمس سنين وبعدما تمت له من مولده أربعون سنة ، وروى ابن جرير عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة . عن عمر رحمه الله تعالى أنه قال للنبى ﷺ : يا نبى الله صوم الاثنين ؟ قال : « ذاك يوم ولدت فيه ويوم أنزلت على فيه النبوة » قال أبو جعفر : وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل العلم واختلفوا فى أى الأثانين كان ذلك ، فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله ﷺ لثمانى عشرة خلت من رمضان .

(٣) روى ابن جرير فى تاريخه ٢٠٥/٢ بإسناده وفيه « فحدثنى أحمد بن عثمان المعروف بأبى الجوزاء قال : حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبى قال سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهرى عن عروة عن عائشة – إلخ ، رواه البخارى (١/١) فى : باب كيف كان بدؤ الوحى » .

به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة يراها فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد ـ ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق ، وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : ﴿اقرأ﴾ قال رسول الله ﷺ فقلت: « ما أنا بقارئ » ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال لى : ﴿ اقرأ ﴾ فقلت : « ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى » فقال : ﴿ اقرأ ﴾ ، فقلت «ما أنا بقارئ » ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ حتى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾ قال : فرجع بها ترجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال : « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال : « ياخديجة ! مالى ؟ » وأخبرها الخبر وقال : « قد خشيت علىّ » ، فقالت : كلا ! أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً ! إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ؛ ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصى وهو عم خديجة أخو أبيها ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى يكتبه بالعربية من الإنجيل ما شاء أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمر - فقالت له خديجة : أى عم ! اسمع من أخيك ، فقال ورقة : يا ابن أخى : ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ! يا ليتنى أكون فيها جذعاً ! يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك ! فقال رسول الله ﷺ « أمخرجى هم ؟ » قال : نعم، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودى وأوذى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ؛ ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً غدا منه مراراً لكى يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل كى يلقى نفسه منها فيرى له جبريل ، فقال له : يا محمد ! إنك

رسول الله حقاً ! فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طال عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك .

قال أبو حاتم : روى فى بدء الوحى عن النبى ﷺ خبران : خبر عن عائشة وخبر عن جابر ، فأما خبر عائشة فقد ذكرناه ، وأما خبر جابر فحدثناه عبد الله ابن محمد بن سالم ببيت المقدس ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ثنا الوليد عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أى القرآن أنزل أول ؟ قال : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ فقلت : أو ﴿ إقرأ ﴾ ؟ قال : إنى أحدثكم ما حدثنا رسول الله ﷺ ، قال : « جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادى ، فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحداً ، ثم نوديت فنظرت إلى السماء فإذا هو فوقى على العرش فى السماء ، فأخذتنى رجفة شديدة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثرونى ، ثم صبوا على الماء ، وأنزل الله عز وجل على ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله ﴿فطهر﴾ (1) .

قال أبو حاتم : هذان خبران أوهما من لم يكن الحديث صناعته أنهما متضادان وليسا كذلك ، إن الله عز وجل بعث رسوله ﷺ يوم الإثنين وهو ابن أربعين سنة ، ونزل عليه جبريل وهو فى الغار بحراء بـ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① ﴾ فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيت خديجة ودثروه أنزل الله عليه فى بيت خديجة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ ﴾ ، من غير أن يكون بين الخبرين تضاد ولا تهاتر ؛ فكان أول من آمن برسول الله ﷺ زوجته خديجة بنت خويلد ، ثم آمن على بن أبى طالب وصدقه بما جاء به وهو ابن عشر سنين ، ثم أسلم أبو بكر - فكان على بن أبى طالب يخفى إسلامه من

(1) رواه البخارى (1/3) بإسناده ما نصه « قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابربن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى - الحديث »

أبى طالب ، وأبو بكر لما أسلم أظهر إسلامه ، فلذلك اشتبه على الناس أول من أسلم منهما – ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فكان أبو بكر أعلم قريش بأنسابها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً سهلاً بليغاً أظهر الإسلام ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، فأجابه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم أبو بكر إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، ثم أسلم أبو عبيدة ابن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، والأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، وعثمان بن مظعون الجمحى ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعبد الله وقدامة ابنا مظعون الجمحيان ، وخباب بن الأرت ومسعود بن الربيع القارى وعبد الله بن مسعود ، وعمير بن أبى وقاص[1] ، وسليط بن عمرو ، وعياش بن أبى ربيعة المخزومي ، وامرأته أسماء بنت سلامة التميمية ، وعامر بن ربيعة أبو عبد الله ، وعبد الله بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش الأسدى ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وحاطب [2] بن الحارث الجمحى وامرأته فاطمة بنت المجلل وحطاب بن الحارث، وامرأته فكيهة ، وصهيب بن سنان ، ومعمر بن الحارث الجمحى ، وسعيد بن الحارث السهمى والمطلب بن أزهر بن عبد عوف، وامرأته رملة بنت أبى عوف ، والنحام و اسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد، وبلال بن رباح مولى أبى بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وامرأته أميمة بنت خلف بن أسعد ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة التميمى ، وخالد بن البكير ، وإياس بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعبد ياليل

---

(١) شهد بدراً واستشهد بها ، أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما .

(٢) وله ترجمة فى الإصابة ٣١٤/١ « حاطب بن الحارث بن معمر القرشى الجمحى .. مات بأرض الحبشة وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله »

ابن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم .

وفشا ذكر الإسلام بمكة

ودخل فى الإسلام الرجال والنساء إرسالاً ، وأنزل الله عز وجل ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (١) فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى الصفا ثم صعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » ! فاجتمع إليه الناس فمن رجل يجئ ومن رجل يبعث رسوله ، فقال : « يا بنى عبد المطلب ! يا بنى عبد مناف ! يا بنى فلان! أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أصدقتمونى ؟ » قالوا: نعم ، قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، ثم قال : « يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ! لا أغنى عنكم من الله من شئ ، يا عباس بن عبد المطلب ! يا صفية عمة رسول الله ﷺ ! يا بنى كعب بن لؤى ! يا بنى هاشم ! يا بنى عبد المطلب ! اشتروا أنفسكم من النار » فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا ؟ ثم قام : فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ ثم نزل النبى ﷺ ، وجعل يدعو الناس فى الشعاب والأودية والأسواق إلى الله ، وأبو لهب خلفه والحجارة تنكبه يقول : يا قوم ! لا تقبلوا منه ، فإنه كذاب .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ابن عبد ود بن النضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، خطبها رسول الله ﷺ إلى وقدان بن حليس عمها ، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو من بنى عامر بن لؤى ، وكانت سودة امرأة ثقيلة ثبطة وهى التى وهبت يومها لعائشة وقالت : لا أريد ما تريد النساء ؛ وقد قيل أن النبى ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت .

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤

وزوج رسول الله ﷺ ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب ، وأم كلثوم ابنته الأخرى من عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ أمرهما أبوهما أن يفارقاهما ففارقاهما ، ثم زوج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ابنته رقية بعد عتبة بن أبى لهب ، ثم مرض أبو طالب فدخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل ، فقالوا : ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول ، ولو بعثت إليه فنهيته ! فبعث إليه فجاءه النبى ﷺ ودخل البيت وبين أبى جهل وبين أبى طالب مجلس رجل ، فخشى أبو جهل أنه إذا جلس إلى جنب أبى طالب يكون أرق عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس ، ولم يجد النبى ﷺ مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب ، قال أبو طالب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ فقال النبى ﷺ : «أى عم ! إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية » ، فقال أبو طالب : وأى كلمة هى يا ابن أخى ؟ قال: « لا إله إلا الله » ، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ويقولون ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ ﴾ [1] .

ثم توفى أبو طالب بن [2] عبد مناف بن عبد المطلب ، فلقى المسلمون أذى من المشركين بعد موت أبى طالب ، فقال لهم النبى ﷺ حين ابتلوا وشطت بهم عشائرهم بمكة : « تفرقوا » – وأشار قبل أرض الحبشة ، وكانت أرضاً دفئة ترحل إليها قريش رحلة الشتاء ، أول هجرة فى الإسلام ، فأول من خرج من المسلمين إلى الحبشة عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وعثمان بن

(١) سورة صَ آية ٥ .

(٢) فى الطبرى ٢٢٩/٢ « أن أبا طالب وخديجة هلكا فى عام واحد ، وذلك .. قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ » .

مظعون وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم ؛ وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، وسهيل بن وهب بن ربيعة وهو سهيل بن بيضاء ، بيضاء أمه ؛ ثم خرج بعدهم جعفر بن أبى طالب معه امرأته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ومعه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد وعبد الله بن جحش بن رياب ، وأخوه عبد بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار ، ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى ، وعتبة بن غزوان ، وأسد بن نوفل بن خويلد ، ويزيد بن زمعة ابن الأسود بن المطلب وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عمير ابن وهب وسوبط بن سعد بن حريملة ، وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وعامر بن أبى وقاص والمطلب بن أزهر معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة ، وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، والحارث بن خالد بن صخر معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبلة ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب وشماس عثمان بن عبد بن الشريد بن سويد وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة ، ومعتب بن عوف بن عامر بن الفضل ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعماه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر معه امرأته فاطمة بنت المجلل وابناه محمد بن حاطب والحارث بن حاطب وأخوه حطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهى أمهما ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان ، وخنيس بن حذاقة بن قيس ، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذاقة بن قيس ، والحجاج بن الحارث

ابن قيس ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذافة بن قيس ، والحجاج ابن الحارث بن قيس ومعمر بن الحارث بن قيس ، وبشر بن الحارث بن قيس ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعمير بن رئاب ابن حذيفة ومحمية بن جزء حليف لهم ومعمر بن عبد الله بن نضلة ، وعدى ابن نضلة بن عبد العزى ، معه ابنه النعمان ، وأبو عبيدة بن الجراح بعدهم وعامر بن ربيعة معه امرأته ليلى ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وعياض بن زهير بن أبى شداد وربيعة بن هلال بن مالك وعثمان بن عبد غنم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط ، وعبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة جد الزهرى ؛ فخرجوا حتى قدموا أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة ، ثم أن قريشاً إجتمعت فى أن يبعث إلى النجاشى حتى يرد من ثم من المسلمين عليها ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن ربيعة ، وبعثوا معهما بهدايا كثيرة إليه وإلى بطارقته ، فلما قدما عليه ما بقى بطريق من بطارقته إلا قدما إليه بهديته وسألاه أن يكلم الملك حتى يسلمهم إليهما قبل أن يكلمهم ويسمع منهم ، فلما فرغا من بطارقته قدما إلى النجاشى هداياه فقبلها منهما ، ثم قالا له : أيها الملك ! إن قومنا بعثوا إليك فى فتيان منهم خرجوا إلى بلادك فارقوا أديان قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك ولا دينهم ، وقومهم أعلاهم عيناً ، قالت بطارقته : صدقا أيها الملك ! فغضب النجاشى وقال : لايم الله[1] إذاً لا أدفعهم إليهما ، قوم جاءونى لجئوا إلى بلادى حتى أنظر فيما يقولون وأنظر فيما يقول هؤلاء ، فإن كانوا صادقين وكانوا كما قال هؤلاء أسلمناهم إليهما ، وإن كانوا على غير ذلك لم ندفعهم إليهما ومنعتهم منهما ، فقال عمارة بن الوليد : لم نصنع شيئاً ، لو كان دفعهم إلينا من وراء وراء كان ذلك أحب إلينا قبل أن يكلمهم ، ثم إن

(١) ايم الله : كلمة قسم همزتها وصل يقال : وايم الله لأفعلن كذا .

أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما الذى نكلم به الرجل؟ ثم قالوا : نكلمه والله بالذى نحن عليه وعليه نبيناً ! كائناً ما كان فيه، فدخلوا عليه فقالوا لهم : اسجدوا للملك ، قال جعفر بن أبى طالب : لا نسجد إلا لله ! فقال [1] لهم : ما يقول هذان ؟ يزعمان أنكم فارقتم دين قومكم ، ولن تدخلوا فى دينى وأنكم جئتم بدين مقتضب لا يعرف ! فقال جعفر بن أبى طالب : كنا مع قومنا فى أمر جاهلية نعبد الأوثان ، فبعث الله إلينا رسولاً منا رجلاً نعرف نسبه وصدقه ووفاءه ، فدعا إلى أن نعبد الله وحده لا نشرك به ، وأمرنا بالصلاة والزكاة وصلة الرحم وحسن الجوار ونهانا عن الفواحش والخبائث ؛ فقال : هل معك شئ مما جاء به ؟ قال : نعم ، فدعا النجاشى أساقفته فنشروا المصاحف حوله ، فقرأ عليهم جعفر بن أبى طالب : ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾[2] فبكى النجاشى حتى اخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ! فلعمر الله لا أرسلهم معكما ، ولا أكاد ولا هم وكان أتقى الرجلين عمارة بن الوليد فقال عمرو بن العاص : والله ! لأجيبنه بما أبيد به خضراءهم، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهك الذى تعبد عبد فقال له عمارة بن الوليد : لا تفعل فإن لهم رحماً وإن كانوا قد خالفونا ، قال : أحلف بالله لأفعلن ، فرجع إليه الغد فقال : أيها الملك ! إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيماً فابعث إليهم فاسألهم عنه ، فأرسل إليهم فقال : ماذا تقولون فى عيسى؟ قالوا نقول فيه ما قال الله عز وعلا وما قال لنا نبينا فقال له جعفر : هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها الله إلى العذراء البتول ، فأدلى النجاشى يده فأخذ من الأرض عوداً وقال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتم هذا العود ،

---

(١) وفى سيرة ابن هشام : « فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل ؟ »

(٢) سورة مريم آية ١

فنخرت بطارقته فقال : وإن نخرتم والله ! ثم قال : اذهبوا فأنتم شيوم فى أرضى – يقول : آمنون من شتمكم غرم ، ما أحب أن لى دبراً ذهباً –ودبر هو جبل بالحبشة – وأنى آذيت رجلاً منكم ، وقال : ردوا عليهما هداياهما التى جاءا بها لا حاجة لنا بها ، وأخرجوهما من أرضى فأخرجا وأقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جار، لا يصل إليهم شئ يكرهونه .

فولد بالحبشة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد ، وعبد الله بن المطلب بن أزهر ، وموسى بن الحارث بن خالد ، وإخواته : عائشة وزينب وفاطمة بنات الحارث ؛ فلم يزل المسلمون بأرض الحبشة إلى أن ذكر رسول الله ﷺ الخروج إلى المدينة ، فمنهم من رجع إلى مكة فهاجر مع النبى ﷺ إلى المدينة ، ومنهم من بقى بأرض الحبشة حتى لحق رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة .

وخرج أبو بكر الصديق من مكة مهاجراً إلى أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى ، فقال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ! أنت تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ! فأنا لك خافر فارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ! أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم تكذب قريش ما جاء به ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر ، فلبث أبو بكر بعد ذلك يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين

وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفزع ذلك أشراف المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفناء داره ، وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل فإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد يناجى بأعلى صوته : أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله ورجل يتبعه بالحجارة ، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه ويقول : يا أيها الناس ! لا تطيعوه، فإنه كذاب ! قال : قلت : من هذا ؟ قالوا هذا غلام بنى عبد المطلب ، قال فقلت : من هذا الذى يتبعه يدميه ؟ قالوا : عمه عبد العزى أبو لهب .

قال أبو حاتم : كان النبى ﷺ يدعو الخلق إلى الله وحده لا شريك له وكان أبو جهل يقول للناس: إنه كذاب يحرم الخمر ويحرم الزنا ، وما كانت العرب تعرف الزنا ؛ فبينما النبى يصلى فى ظل الكعبة إذ قام أبو جهل فى ناس من قريش ونحر لهم جزوراً فى ناحية مكة ، فأرسلوا فجاءوا بسلاها وطرحوه عليه فجاءت فاطمة وألقته عنه فقال النبى ﷺ : « اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، بأبى جهل بن هشام وعتبة ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط » ثم اجتمعوا يوماً ورسول الله ﷺ يصلى عند المقام وهم جلوس فى ظل الكعبة فقام إليه عقبة بن أبى معيط فجعل رداءه فى عنقه ثم جره حتى وجب النبى ﷺ لركبته ساقطاً وتصايح الناس وظنوا أنه مقتول ، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعى رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عن النبى ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يصلى ، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس فى ظل الكعبة فقال : « يا معشر قريش ! والذى نفس محمد بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح » وأشار بيده إلى حلقه ، فقال له أبو جهل : يا

محمد ! ما كنت جهولاً ! فقال رسول الله « أنت منهم » فقال أبو جهل : ألم أنهك يا محمد ؟ فانتهره النبى ﷺ فقال أبو جهل : لم تنتهرنى والله لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً منى ! فقال جبريل : فليدع ناديه ، ولو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب ؛ فقالت قريش : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ، فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا : أنت يا أبا الوليد ! فأتى عتبة فقال : يا محمد ! أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ ، قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، أما والله ! ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا فى العرب حتى لقد طار فيهم أن فى قريش كاهناً ، والله ! ما تنتظر إلا أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ؛ أيها الرجل ! إن كان إنما بك الباه[1] فاختر أى نساء قريش شئت حتى أزوجك عشراً ، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش مالاً ؛ فقال له رسول الله ﷺ : « أفرغت ؟ قال : نعم فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) ﴾[2] فقال له عتبة : حسبك حسبك ! ما عندك غير هذا ؛ ثم رجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا تكلمت به ، قالوا فهل أجابك ؟ قال : نعم ، لا والذى نصبها – يعنى الكعبة – ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال : « أنذرتكم صعقة مثل صعقة عاد وثمود » قالوا : ويلك ! يكلمك رجل بالعربية ما تدرى ما قال ! قال: فوالله ! ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة ، فكانوا يؤذونه بأنواع

---

(١) أى الولع بالنساء (٢) سورة فصلت آية : ١٣ .

الأذى ورسول الله ﷺ يبلغهم رسالات ربه صابراً محتسباً .

ثم إن الله جل وعلا أراد هدى عمر بن الخطاب ، وكان عمر من أشد قريش على رسول الله ﷺ شغباً وأكثرهم للمسلمين أذى .

وكان السبب في إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم يستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله بن النحام قد أسلم وكان يخفي إسلامه ، وكان خباب بن الأرت ، يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه يريد رسول الله ﷺ ، وذكر له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء ومع رسول الله ﷺ حمزة وعلي وأبو بكر في رجال من المسلمين ممن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج إلى أرض الحبشة ، فلقي نعيم بن النحام ، عمر بن الخطاب فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ! أترى أن عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ! قال : وأي أهل بيتي ؟ فقال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك ، فقد أسلما وبايعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ! فرجع عمر عامداً لختنه وأخته وعندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها طه يقرئها إياهما ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع حين دنا من البيت قراءتهما عليه ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئاً ، قال : بلي والله ! لقد أخبرت أنكما بايعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله

ورسوله ، فاصنع ما بدا لك ! فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤون آنفاً .. أنظر ما هذا الذى جاء به محمد - وكان عمر كاتباً - فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا لنخشاك عليها ، قال : لا تخافى - وحلف لها بآلهته ليردها إليها، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له : يا أخى ! إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا المطهرون ، فقام عمر فاغتسل ، ثم أعطته الصحيفة وفيها « طه » فلما قرأ سطراً منها قال : ما أحسن هذا الكلام ! فلما سمع خباب ذلك خرج إليه فقال له : يا عمر ! والله لأرجو أن يكون خصك الله بدعوة نبيه ﷺ فإنى سمعته يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب ! فقال عمر : دلنى عليه يا خباب حتى آتيه فأسلم ، فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ ، فلما بلغ ضرب عليه الباب ، فلما سمع المسلمون صوته قام رجل فنظر من خلال الباب فرآه متوشحاً بالسيف ، فقال حمزة بن عبد المطلب : أئذن له ، فإن كان يريد خيراً به لناله ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فقال رسول اللــــه ﷺ : « آئذن له » ، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته ثم جبذه جبذة عظيمة ، وقال : « ما جاء بك يابن الخطاب ؟ » والله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ! » فقال له عمر : يا رسول الله ! جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جئت به من عند الله ، قال : فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمراً أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : «يا عمر ! استره » ، فقال عمر : والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ عند ذلك وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر وحمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ولذلك كان يقول ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر .

ثم توفيت خديجة ، فقال النبي ﷺ : « رأيت لخديجة بيتاً في الجنة لا صخب فيه ولا نصب » .

ثم تزوج رسول الله ﷺ عند وفاة خديجة عائشة بنت أبي بكر قبل الهجرة بثلاث سنين في شهر شوال وهي بنت ست[1] لم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت أم عائشة أم رومان [2] بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف المنعة ، وأشراف ثقيف يومئذ عبد ياليل وحبيب ومسعود بن عمرو ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ دعاهم إلى الله ، فقال أحدهم : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ وقال الآخر هو يمرط ثياب الكعبة : إن كان الله أرسلك - وقال الآخر : إن كان كما تقول - ما ينبغي لي أن أكلمك إجلالاً لك وإن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك؛ فقال رسول الله ﷺ وقد سمع ما يكره فالتجأ إلى حائط لبني ربيعة وإذا عتبة وشيبة فيه فلما رأياه تحركت له رحمها ، فدعوا غلاماً لهما يقال له : عداس - نصرانياً فقالا له : خذ هذا العنب واجعله في هذا الإناء واذهب به إلى ذلك الرجل ، فلما أتاه به عداس وضع رسول الله ﷺ يده في العنب وسمى الله ، فنظره عداس في وجهه وقال : إن هذا لشئ ما يقوله الناس اليوم ! قال : ومن أنت ؟ قال أنا رجل نصراني من أهل نينوى ؟ قال : من قرية يونس بن متى ؟ قال : وما يدريك يونس بن متى ؟ قال : ذلك أخي ، كان نبياً من الأنبياء ؛ فجعل عداس يقبل يديه ورجليه، ويقول : قدوس ! قال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ! فلما رجع إليهما فسأله عما قال له ، فقال : لقد أخبرني عن شئ ما يعلمه إلا نبي ! قالا : يا عداس ويحك ! لا تخدع عن دينك .

---

(١) وفي الإصابة في ترجمتها : « ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست ، وقيل سبع ، ويجمع بأنها كانت أكملت السادسة ودخلت في السابعة » ودخل بها وهي بنت تسع ، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى كما أخرجه ابن سعد »

(٢) ولها ترجمة في الإصابة ٢٣٢/١ وفيها : « أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أدينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة امرأة أبي بكر الصديق » .

ثم خرج رسول الله ﷺ لما أيس من الطائف فمر بنخلة فقام يصلى من جوف الليل ، فمر به النفر من الجن أصحاب نصيبين ، فاستمعوا له عامة ليلته فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين ؛ وهم سبعة أنفس .

ثم قدم رسول الله ﷺ مكة يدعوهم إلى الله ويستنصرهم ليمنعوا ظهره حتى ينفذ الله ما بعثه به ، ثم افتقده أصحابه ليلة فباتوا بشر ليلة ، فجعلوا يقولون : استطير أو اغتيل ، وتفرقوا فى الشعاب والأودية يطلبونه ، فلقيه بن مسعود مقبلاً من نحو حراء ، فقال : يا نبى الله ! بأبى أنت وأمى ! بتنا بشر ليلة ، قال رسول الله ﷺ : أتانى داعى الجن فأتيتهم أقرئهم القرآن ، وسألونى الزاد ، فقلت : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما كان لحماً ، والبعر علف لدوابكم ؛ فلذلك نهى رسول الله ﷺ عن الاستنجاء بالروث والعظم ، لأنه زاد إخواننا من الجن ، وكان ابن مسعود يقول : أرانى رسول الله ﷺ ليلة الجن اثارهم ونيرانهم ، ثم أمر الله عز وجل رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب .

ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

أخبرنا الحسن بن عبد الله بن يزيد القطان بالرقة ثنا عبد الجبار بن محمد بن كثير التميمى ثنا محمد بن بشر اليمانى عن أبان بن عبد الله البجلى عن أبان ابن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال حدثنى على بن أبى طالب قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هامتها[١] أم من لهازمها[٢] ؟ فقالوا : لا ، بل من هامتها العظمى ، قال أبو بكر : وأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذهل الأكبر ، قال أبو بكر : فمنكم عوف الذى

---

(١) شبه الأشراف بالهامات ، وهو جمع هامة الرأس ، والهامة : جماعة الناس .

(٢) أى من أوساطها ، واللهازم أصول اللحيين ، جمع لهزمة بالكسر فاستعاره لوسط النسب والقبيله انظر مجمع بحار الأنوار .

يقـال له لا حُـرّ بوادى عـوف ؟ قـالوا : لا ، قـال : فـمنكم بسطام بن قـيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا: لا ، قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك سالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا ، قال أبو بكر : فلستم إذا ذهلاً الأكبر ، أنتم الأصغر ، فقام إليه غلام من بنى شيبان يقـال له دغفل حين بقل وجـهه فقـال : على سائلنا أن نسأله؛ يا هذا ! إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتـمك شيئاً ، فـمـمن الرجل ؟ فقـال أبو بكر : أنا من قريش ، فقال الفتى : بخ بخ ، أهل الشرف والرئاسة ، فمن أى القرشيين أنت؟ قال : من ولد تيم بن مرة ، قال : أمكنت والله الرامى من صفاء الثغرة ! فمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر فكان يدعى فى قريش مجمعاً ؟ قال : لا قال: فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ؟ قال: لا ، قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال: لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كأن وجهه القمر يضىء فى الليلة الظلماء الداجية ؟ قال : لا ،. قال : فمن أهل السقاية ؟ قال : لا ؛ واجتذب أبو بكر زمام الناقة فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام:

صادف درء السيل درئاً يدفعه   يهيضه حيناً وحينا يصدعه[1] .

أما والله لقد ثبت ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ : فقال علىّ : فقلت : يا أبا بكر ! لقد وقعت من الإعرابى على باقعة ! فقال لى : أجل يا أبا الحسن ! ما من طامة إلا و فوقها طامة ، والبلاء موكل بالمنطق ، قال علي : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر وكان مقدماً فى كل خير فسلم وقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما وراء هذا القوم غرر ،

(١) يهيضه ويصدعه أى يكسره ويشقه

هؤلاء غرر قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً ، كان له غديرتان تسقطان على تريبته ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال أبو بكر كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ، ولن يغلب ألف من قلة ! فقال أبو بكر : وكيف المنعة فيكم ؟ قال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد ، قال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ قال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى ، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يديلنا مرة ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ! قال أبو بكر : وقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ فها هو ذا ! قال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، قال: فإلى م تدعو يا أخا قريش ! قال : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وأن تؤوني وتنصروني ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله فكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد، فقال مفروق بن عمرو: إلى ما تدعونا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾[1] الآية ، قال مفروق : وإلى م تدعو يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾[2] الآية فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصه فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ! فقال : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ! وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك لمجلس جلسته إلينا زلة في الرأى وقلة فكر في العواقب، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ! فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ! والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك وإنما نزلنا بين ضرتين ، فقال رسول الله

(١) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

ﷺ : « ما هاتان الضرتان » ؟ قال : أنهار كسرى ومياه العرب ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعو إليه مما تكرهه الملوك ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق و إن دين الله لن ينصره إلا من أحاطه الله من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ، ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه ؟ » فقال النعمان بن شريك : اللهم ! نعم ، قال : فتلا رسول الله ﷺ ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾(١) ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبى بكر وهو يقول : « يا أبا بكر أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض » .

قال : أبو حاتم : إن الله جل وعلا أمر رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله وحده ، وأن لا يشركوا به شيئاً ، وينصروه ويصدقوه؛ فكان يمر على مجالس العرب ومنازلهم ، فإذا رأى قوماً وقف عليهم وقال : « إنى رسول الله إليكم ! يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وتصدقونى » ؛ وخلفه عبد العزى أبو لهب بن عبد المطلب عمه يقول : يا قوم لا تقبلوا منه ، فإنه كذاب – حتى أتى كندة فى منازلهم فعرض عليهم نفسه ودعاهم إلى الله، فأبوا أن يستجيبوا له ؛ ثم أتى كلباً فى منازلهم فكلم بطناً منهم يقال له بنو عبد الله ، فجعل يدعوهم حتى أنه ليقول لهم : « يا بنى عبد الله ! إن الله قد أحسن اسم أبيكم ، إنى رسوله فاتبعونى حتى أنفذ أمره ، فلم يقبلوا منه ؛ ثم أتى بنى حنيفة فى منازلهم فردوا عليه ما كلمهم به ، ولم يكن من قبائل العرب أعنف رداً عليه منهم ؛ ثم أتى بنى عامر بن صعصعة فى منازلهم فدعاهم إلى الله ، فقال قائل منهم : إن اتبعناك وصدقناك فنصرك الله ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال رسول الله ﷺ؛ « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » ، فقالوا : أنهدف نحورنا للعرب دونك

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٦ .

فإذا ظهرت كان الأمر فى غيرنا ! لا حاجة لنا فى هذا من أمرك .

وكان رسول الله ﷺ يحضر الموسم فيعرض نفسه على من حضر من العرب ، فبلغ رسول الله ﷺ العقبة وإذا رهط منهم رموا الجمرة ، فاعترضهم رسول الله ﷺ وقال : « ممن أنتم ؟ قالوا : من الخزرج ، قال : « أمن موالى يهود ؟ » قالوا : نعم ، فكلمهم بالذى بعثه الله به ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم ! إن هذا الذى كانت اليهود يدعوننا به أن يخرج فى آخر الزمان ، وكانت اليهود إذا كان بينهم شيء قالوا : إنما ننتظر نبياً يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وثمود فنتبعه ونظهر عليكم معه ، ثم قالوا لرسول الله ﷺ : نرجع إلى قومنا ونخبرهم بالذى كلمتنا به ، فما أرغبنا فيك ! إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم ، لا نعلم حياً من العرب بينهم من العداوة ما بينهم ، وسنرجع إليهم بالذى سمعنا منك ، لعل الله يقبل بقلوبهم ويصلح بك ذات بينهم ويؤلف بين قلوبهم وأن يجتمعوا على أمرك ! فإن يجتمعوا على أمر واحد فلا رجل أعز منك ؛ ثم قدموا إلى المدينة فأفشوا ذلك فيهم ، ولما رجع حاج العرب كان لبنى عامر شيخ قد كبر ، لا يستطيع أن يوافى معهم الموسم وكان من أمرهم بمكان ، فكانوا إذا رجعوا سألهم عما كان فى موسمهم ذلك ، فلما كان ذلك العام سألهم ، فأخبروه عما قال لهم رسول الله ﷺ ودعاهم إليه ، فوضع الشيخ يده على رأسه وقال : يا بنى عامر ! هل لها من تلاف ؟ هل لذناباها من مطلب ؟ فوالله ما تقوّلها إسماعيلى وإنها لحق ! ويحكم ! أين غاب عنكم رأيكم ! .

وسمعت قريش بمكة بالليل صوتاً ولا يرون شخصه يقول :

فإن يسلم السعدان يصبح محمد ... من الأمر لا يخشى خلاف المخالف

فقالت قريش : لو علمنا من السعدان لفعلنا وفعلنا ، فسمعوا من القائل وهو يقول :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت مانعا ... ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
اجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا ... على الله فى الفردوس زلفة عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدى ... جنان من الفردوس ذات رفارف

«السعدان» يريد به سعد الأوس ـ سعد بن معاذ، وسعد الخزرج ـ سعد بن عبادة

ذكر بيعة العقبة الأولى

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون الرازى ثنا عمار بن الحسن ثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال أخبرني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال : كنا اثني عشر رجلاً في العقبة الأولى ، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ؛ فمن وفى فله الجنة ، ومن غشي من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

قال أبو حاتم : فلما كان الموسم جعل النبي ﷺ يتبع القبائل يدعوهم إلى الله فاجتمع عنده بالليل اثنا عشر نقيباً من الأنصار فقالوا : يارسول الله ﷺ إنا نخاف إن جئتنا على حالك هذه أن لا يتهيأ لنا الذى نريد ولكن نبايعك الساعة وميعادنا العام المقبل ، فبايعهم النبي ﷺ على أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه في معروف ؛ فمن وفى فله الجنة ، ومن غشي من ذلك شيئاً فأمره إلى الله ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .

وأسماؤهم : منهم من بني النجار ثلاثة أنفس : أسعد بن زرارة بن عدس وهو أبو أمامة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث بن رفاعة .

ومن بني زريق بن عامر بن زريق : رافع بن مالك بن العجلان وذكوان بن عبد قيس بن خالدة .

ومن بني غنم : عوف بن عمر بن عوف بن الخزرج .

ومنهم القوافل : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بلي . ومن بني سالم بن عوف : عباس بن عبادة

ابن نضلة .

ومن بني سلمة جعد بن سعيد ، ثم من بني حرام : عقبة بن عامر بن نابي وقطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

ومن بني عبد الأشهل بن جشم : أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك وعُوَيْم ابن ساعدة.

ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة وأخبروهم الخبر وفشا ذكر الإسلام بالمدينة ، فكان الواحد بعد الواحد من الأنصار يخرج من المدينة إلى مكة ، فيؤمن برسول الله ﷺ ثم ينقلب إلى أهله ، فيسلم بإسلامة جماعة حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام .

ثم اختلف الأوس والخزرج في الصلاة وأبوا أن يترك بعضهم يؤم بعضاً ، فبعث رسول الله ﷺ إلى المدينة مصعب بن عمير مع جماعة ، وذلك أنهم كتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يبعث عليهم رجلاً من أصحابه يفقههم في الدين ، فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة ، فكان يأتي به دور الأنصار فيدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن ، ويفقه من كان منهم دخل في الإسلام، وكان إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير على يد مصعب ، وذلك أنه خرج مع أسعد بن زرارة إلى حائط من حوائط بني النجار معهما رجال من المسلمين، فبلغ ذلك سعد بن معاذ فقال لأسيد بن حضير : ائت هذا الرجل ، فلو لا أنه مع أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كما علمت كنت أنا أكفيك شأنه ! فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم خرج حتى أتى مصعباً فوقف عليه متشتماً وقد قال أسعد لمصعب حين نظر إلى أسيد : هذا أسيد ! من سادات قوم ، له خطر وشرف ، فلما انتهى إليهما تكلم بكلام فيه بعض الغلظة ، فقال له مصعب بن عمير : أوتجلس فتسمع ؟ فإن سمعت خيراً قبلته ، وإن كرهت شيئاً أو خالفك أعفيناك عنه ، قال أسيد : ما بهذا بأس ، ثم ركز حربته وجلس ، فتكلم مصعب بالإسلام وتلا عليه القرآن ، قال أسيد : ما أحسن هذا القول ! ثم أمره

فتشهد شهادة الحق ، وقال لهم : كيف أفعل ؟ فقال له : تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق وتركع ركعتين ، ففعل و رجع إلى بنى عبد الأشهل وثبتا مكانهما ، فلما رآه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد رجع إليكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ! فلما وقف عليه قال له سعد : ما وراءك؟ قال : كلمت الرجلين فكلمانى بكلام رقيق ، وزعما أنهما سيتركان ذلك ، وقد بلغنى أن بنى حارثة قد سمعوا بمكان أسعد فاجتمعوا لقتله وإنما يريدون بذلك إحقارك وهو ابن خالتك ، فإن كان لك به حاجة فأدركه ، فوثب سعد وأخذ الحربة من يدى أسيد وقال : ما أراك أغنيت شيئاً ! ثم خرج حتى جاءهما ووقف عليهما متشتماً وقد قال أسعد لمصعب حين رأى سعدا : هذا والله سيد من وراءه ! إن تابعك لم يختلف عليه اثنان من قومه ، فأبلى الله فيه بلاء حسناً، فلما وقف سعد قال لأسعد بن زرارة : أجئتنا بهذا الرجل يسفه شبابنا وضعفاءنا والله لولا ما بينى وبينك من الرحم ما تركتك وهذا ! فلما فرغ سعد من مقالته قال له مصعب : أو تجلس فتسمع ؟ فإن سمعت خيراً قبلته وإن خالفك شيء أعفيناك ، قال : أنصفت ، فركز حربته ثم جلس ، فكلمه بالإسلام وتلا عليه القرآن ، فقال سعد : ما أحسن هذا ! نقبله منك ونعينك عليه ، كيف تصنعون إذا دخلتم فى هذا الأمر ؟ قال : تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق وتركع ركعتين ، ففعل ، ثم خرج سعد حتى أتى بنى عبد الأشهل ، فلما رأوه قالوا : والله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ! فلما وقف عليهم قالوا : مما جئت ؟ قال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون رأيى فيكم وأمرى عليكم ؟ قالوا أنت خيرنا رأياً ، قال فإن كان كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله وحده وتشهدوا أن محمداً رسول الله وتدخلوا فى دينه ، فما أمسى من ذلك اليوم فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أسلم .

وأول جمعة جمعت بالمدينة

جمعها أبو أمامة أسعد بن زرارة وهم أربعون رجلاً فى روضة يقال لها نقيع الخضمات من حرة بنى بياضة ، فكان كعب بن مالك يقول فيما بعد إذا سمع الآذان يوم الجمعة : رحمة الله على أبى أمامة أسعد بن زرارة ! .

ذكر الإسراء برسول الله ﷺ

ليلة المعراج

أخبرنا الحسن بن سفيان الشيبانى وأحمد بن على بن المثنى التميمى وعمران بن موسى بن مجاشع السختيانى قالوا ثنا هدبة بن خالد القيسى ثنا همام ابن يحيى ثنا قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرىَ به قال : « بينا أنا فى الحطيم ـ وربما قال فى الحجر ـ مضطجع إذ أتانى جبريل فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة فغسل قلبى ثم أعيد ثم أتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار ، يضع خطوة عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجىء جاء ! ففتح ، فلما خلصت إذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه ، فرد على السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح ! ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : ما هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجىء جاء ! ففتح له فلما خلصت إذا نحن بعيسى ويحيى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، قال : فسلمت وردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ! ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ؟

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتح ، فلما خلصت إذا بهارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، قال : فسلمت عليه فرد وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ! فلما تجاوزت بكى ، قال : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل مرحباً به ! فنعم المجيء جاء ! ففتحت ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، قال: فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ! ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، قال ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان،

فقلت : ما هذان يا جبريل قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ؛ ثم رفع إلى البيت المعمور ، ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطره وأنت عليها وأمتك ، ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت بموسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بأربعين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم ، إنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بثلاثين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم ، فإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عشراً ، فرجعت إلى موسى ، قال : بما أمرت ؟ قلت : أمرت بعشرين صلاة كل يوم ، قال إن : أمتك لا تستطيع عشرين صلاة وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال : بما أمرت ؟ قلت أمرت بعشر صلوات كل يوم ؛ قال : إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة . فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف

لأمتك ، قلت : قد سألت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم ، فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عباد ى .

قال أبو حاتم : أسرى النبى ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض عليه خمس صلوات ، ثم بعث الله جبريل ليؤم رسول الله ﷺ عند البيت ويعلمه أوقات الصلوات ، فلما كان الظهر نودى : إن الصلاة جامعة ، ففزع الناس واجتمعوا إلى نبيهم ، فصلى بهم حين زالت الشمس على مثل الشراك يؤم جبريل محمداً ويؤم محمد الناس ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين غاب الشفق ، ثم صلى به الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم .

ثم صلى به الظهر من الغد حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم صلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم صلى به المغرب حين أفطر الصائم ، ثم صلى به العشاء حين ذهب ثلث الليل ، ثم صلى به الفجر حين أسفر ، ثم التفت جبريل إلى محمد ﷺ ثم قال : يا محمد ! هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ، الوقت فيما بين هذين الوقتين .

ذكر بيعة الأنصار بالعقبة الآخرة
رسول الله ﷺ

أخبرنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ثنا أبو كريب ثنا إدريس عن يحيى ابن سعيد الأنصارى[1] وعبيد الله بن عمر ومحمد بن إسحاق عن عبادة بن الوليد ابن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمكره والمنشط ، وعلى أثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيث ما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم [2].

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى المدنى من الطبقة الخامسة توفى سنة ١٤٤ هـ أو بعدها أخرج له أصحاب الأصول الستة . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٨ ترجمة ٧٤ .

(٢) ذكره ابن هشام فى سيرته (بهامش الروض ١ / ٢٨٠) ما نصه « قال ابن إسحاق فحدثنى عباده ابن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال : بايعنا — الحديث .

قال أبو حاتم : فلما كان العام المقبل من حيث واعد الأنصار رسول الله ﷺ أن يلقوه من العام المقبل بمكة ، خرج سبعون رجلاً من الأنصار فيمن خرج من أهل الشرك من قومهم من أهل المدينة ، فلما كانوا بذى الحليفة قال البراء[١] بن معرور بن صخر بن خنساء وكان كبير الأنصار : إنى قد رأيت رأياً ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا ! قد رأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر وأن أصلى إليها - يعنى الكعبة ، فقالوا له : والله ما هذا برأى ! وما كنا لنصلى إلى غير قبلة ، فأبوا ذلك عليه وأبى أن يصلى إلا إليها ، فلما غابت الشمس صلى إلى الكعبة وصلى أصحابة إلى الشام حتى قدموا مكة ، قال البراء بن معرور لكعب بن مالك : والله يا ابن أخى ! قد وقع فى نفسى مما صنعت فى سفر هذا فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعت ! وكانوا لا يعرفون رسول الله ﷺ ، إنما كانوا يعرفون العباس بن عبد المطلب ، لأنه كان يختلف إليهم إلى المدينة تاجراً فخرجوا يسألون عن رسول الله ﷺ بمكة حتى إذا كانوا بالبطحاء سألوا رجلاً عنه فقال : هل تعرفونه ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تعرفون العباس بن عبد المطلب ؟ قالوا : نعم ، قال : فإذا دخلتم المسجد فانظروا من الرجل الذى مع العباس جالس فهو هو ، تركته معه الآن ، فخرجوا حتى جاءوا فسلموا عليهما ثم جلسوا ، فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور وهذا كعب بن مالك ، فقال له البراء : يا رسول الله ﷺ ! إنى صنعت فى سفرى هذا شيئاً قد وقع فى نفسى منه شيء فأخبرنى عنه ، رأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر وصليت إليها ، فعنفنى أصحابى وخالفونى ، فقال رسول الله ﷺ : لقد كنت على قبلة لو[٢]

---

(١) له ترجمه فى الإصابة ١ / ١٤٩ وهو أبو بشر ، كان من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة ، وهو أول من بايع فى قول ابن إسحاق ، وهو أول من استقبل القبلة ، وأول من أوصى بثلث ماله ، وهو أحد النقباء .. ».

(٢) فى الطبرى « وقد خالفنى أصحابى فى ذلك » .

صبرت عليها - ولم يزد على ذلك[1] ، ثم خرجوا إلى منى ، فلما كان فى أوسط أيام التشريق ذات ليلة واعدوا رسول الله ﷺ العقبة ، فخرجوا فى جوف الليل ، يتسللون من رجالهم ، ويخفون ذلك من قومهم من المشركين ، فلما اجتمعوا عند العقبة أتى رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس فكان أول من تكلم العباس فقال : يا معشر الخزرج ! إن محمداً ﷺ فى منعة من قومه وبلاده وقد منعناه ممن ليس على مثل رأينا فيه وقد أبى إلا الانقطاع إليكم ، فإن كنتم ترون أنكم توفون له بما وعدتموه فأنتم وما جئتم به ، وإن كنتم تخافون عليه من أنفسكم شيئاً فالآن فاتركوه ، فإنه فى عز ومنعة ، قالوا : قد سمعنا ما قلت ، ثم تكلم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله ، فآمنوا وصدقوه ؛ ثم تكلم البراء بن معرور وأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : بايعنا ، فقال رسول الله ﷺ : أبايعكم على السمع والطاعة فى المنشط والمكره ، والنفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن لا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى وتمنعونى بما تمنعون به أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة ، فبايعوه على ذلك ؛ فقال رجل من الأنصار يقال له عباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الأنصار ! هل تدرون ما تبايعون عليه هذا الرجل ! إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر ، فإن كنتم ترون أنكم لتوفون بما عاهدتموه عليه فهو خير الدنيا والآخرة فخذوه ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه إذا كان ذلك فالآن فدعوه فهو خزى الدنيا والآخرة ؛ فقال أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ﷺ ! إن بيننا وبين قومه رحماً ، وإنا قاطعوها فيك ، فهل عسيت إن نحن بايعناك وأظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ فضحك رسول الله ﷺ وقال : الدم الدم ! الهدم الهدم ! إنى منكم وأنتم منى ، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم ثم قال لهم رسول الله ﷺ : ابعثوا إلىّ منكم

(١) كذا ، وفى الطبرى « فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام ؛ قال : وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم ، ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ من أوسط أيام التشريق .

اثنى عشر نقيباً كفلاً على قومهم بما كان منهم ككفالة الحواريين بعيسى ابن مريم ، فقال أسعد بن زرارة : نعم يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : وأنت نقيب على قومك ، فقال: نعم ، فأخذ رسول الله ﷺ منهم اثنى عشر نقيباً ، فكان نقيب بنى مالك بن النجار أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبه بن غنم بن مالك بن النجار . وكان نقيب بنى سلمة البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو جابر بن عبد الله . وكان نقيب بنى ساعدة المنذر ابن عمرو بن خنيس وسعد بن عبادة بن دليم . وكان نقيب بنى زريق بن عامر رافع ابن مالك بن العجلان . وكان نقيب بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة ابن مالك وسعد بن الربيع بن عمرو . وكان نقيب القوافل عبادة بن الصامت بن قيس . وكان نقيب بنى عبد الأشهل أسيد بن حضير[1] بن سماك وأبو الهيثم بن التيهان . وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خيثمة بن الحارث .

فقال عباس بن عبادة بن نضلة : والله يا رسول الله ! لئن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ! فقال رسول الله ﷺ : لم أؤمر بذلك ، ارجعوا إلى رحالكم ؛ فرجعوا إلى رحالهم وهم سبعون رجلاً ، فلما أصبحوا غدت عليهم قريش قالوا : يا معشر الخزرج ! إنه قد بلغنا عنكم شيء لا ندرى أحق هو أم باطل ، إنه لأبغض قوم إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فجعل من كان من المشركين من قومهم يحلفون بالله ما علمنا ولا فعلنا ، وصدقوا . قال كعب بن مالك : فنظرت إلى عبد الله بن عمرو بن حرام فقلت : يا أبا جابر ! أنت شيخ من شيوخنا وسيد من ساداتنا ألا تتخذ نعلاً مثل نعلى هذا الفتى من قريش - يريد الحارث بن هشام ، فلما سمعه الحارث خلعهما ورمى بهما إليه فقال : البسهما ، قال كعب : قال : والله صالح ! ولئن صدق لأسلبنه .

فرجع الأنصار إلى المدينة ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة ، وكانت هذه البيعة فى ذى الحجة قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة بثلاثة أشهر .

---

(١) أسيد بن حضير هذا الصحابى كان عندما يقرأ القرآن تظلله الملائكة وتسمع القرآن لحسن صوته وتلاوته . انظر ترجمته فى صفه الصفوة لابن الجوزى .

فلما علمت قريش أن القوم قد عاقدوه ورأت من اتبعه من الأنصار اجتمع نفر من أشراف كل قبيلة ودخلوا دار الندوة ليدبروا أمرهم فى رسول الله ﷺ ، فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ ، فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال : رجل من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعدمنكم منى رأى ونصح ، قالوا : أجل ، ثم قال : انظروا فى أمر هذا الرجل ، فقال بعضهم : احبسوه فى وثاق تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فإنما هو كأحدهم ؛ قال النجدى : ما هذا برأى فيخرجنه من محبسه وليوشكن أن يثبوا عليكم حتى يأخذوه من بين أيديكم ثم لا آمن أن يخرج من بلادكم ، انظروا فى غير هذا ، قال قائل : اخرجوه من بين أظهركم ، فإنه إذا خرج غاب أذاه وشره ، وأصلحتم أمركم بينكم ، وخليتم بينه وبين ما هو فيه ؛ قال النجدى : ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه و حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب بما يسمع منه ، ولئن فعلتم استعرض ولا آمن أن يدخل على كل قبيلة فيقبل منه ما جاء به ، ثم يسيره إليكم حتى ينزع أمركم من أيديكم فيخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم ، انظروا رأياً غير هذا ، قال أبو جهل : والله ! لأشيرن برأيى عليكم ما أراكم أبصرتموه بعد ، قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً شاباً ثم نعطيه سيفاً صارماً حتى يضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا تفرق دمه فى القبائل فلا أظن أن بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، فإذا أرادوا ذلك قبلوا العقل[1] واسترحنا منه ، ثم أصلحتم أمركم فاجتمع ملككم على ما كنتم عليه من دين آبائكم ؛ فقال النجدى : القول ما قال هذا الفتى ، لا رأى غيره ، فتفرقوا على ذلك .

وأتاه جبريل وأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم ، فأمر النبى ﷺ علياً فتغشى بردا له أحمر حضرمياً فبات فى مضجعه ، واجتمعت قريش لرسول الله ﷺ عند باب بيته يرصدونه ، فخرج رسول الله ﷺ فى يده حفنة من تراب فرماها فى وجوههم ، فأخذ الله بأعينهم عن رسول الله ﷺ ، فباتوا رصداً على بابه وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته ، فخرج عليهم من

(١) قبلوا العقل أى قبلوا الدية

الدار خارج فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا ، قال : قد خرج عليكم ، فانصرفوا يائسين ينفض كل واحد منهم التراب عن رأسه ؛ قال أبو بكر الصديق، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أخرجوا نبيهم ، ليهلكن ! فنزلت ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1] فأمره الله بالقتال وفرض عليه الجهاد وهى أول آية نزلت فى القتال ثم أمر الله جل وعلا رسول الله ﷺ بالهجرة إلى يثرب .

ذكر هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة[2] اللخمى ثنا ابن أبى السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان » ، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، وتجهز أبو بكر مهاجراً ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن ، فقال أبو بكر : وترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحبته وعلف راحلتين عنده ورق السمر أربعة أشهر ؛ قالت عائشة فبينا نحن جلوس يوماً فى بيتنا فى نحر[3] الظهيرة فقال قائل لأبى : هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنعاً ، فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، قال أبو بكر : فداه أبى وأمى ! إن جاء به فى هذه الساعة إلا لأمر ! قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن ، فأذن له فدخل ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : « أخرج من عندك» ، قال أبو بكر : إنما هو أهلك بأبى أنت يا رسول الله ! فقال رسول الله

---

(١) سورة الحج آية ٣٩ .

(٢) ذكره ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٩ / ٤٢٥ فى ترجمة « محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن ابن حسان الهاشمى مولاهم أبو عبد الله بن السرى الحافظ العسقلانى » فيمن روى عنه .

(٣) أى فى أول وقتها .

ﷺ : « فإنه قد أذن لى بالخروج » ، فقال أبو بكر : فالصحبة بأبى أنت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » ، فقال أبو بكر : بأبى أنت يارسول الله ! خذ إحدى راحلتىّ هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : « بالثمن » ؛ قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر من نطاقها فأوكت به الجراب ، فلذلك كانت تسمى ذات النطاق ، ولحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل يقال له : ثور ، فمكثا فيه ثلاث ليال .

قال أبو حاتم : لما أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ بالهجرة استأجر رسول الله ﷺ رجلاً من بنى الديل وهو من بنى عدى هادياً خريتاً - والخريت : الماهر بالهداية - قد غمس حلقاً فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ودفعا إليه راحلتيهما وأوعداه بغار ثور بعد ثلاث ، وخرج ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الغار فى جبل ثور كمنا فيه ، وخرج المشركون يطلبونهما حتى جاءوا إلى الجبل وأشرفوا على الغار ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! لو أبصر أحدهم تحت قدمه[1] لأبصرنا ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ، فأعمى الله[2] أعينهم عن رسول الله ﷺ ، فلما أيسوا رجعوا ، ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر الصديق وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج[3] من عندهما بسحر ،

(١) وفى السيرة ٢ / ٤ « وفى الصحيح عن أنس قال : قال أبو بكر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ وهما فى الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدمه » .

(٢) وفى السيرة ٢ / ٤ « وروى أيضاً أنهم لما عمى عليهم الأثر جاءوا بالقافة فجعلوا يقوفون الأثر حتى انتهوا إلى باب الغار وقد أنبت الله عليه ما ذكرنا فى الحديث قبل هذا ، فعندما رأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال : إن قتلت فإنما أنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، فعندها قال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إن الله معنا » ألا ترى كيف قال : لا تحزن ! ولم يقل : لا تخف ، لأن حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله ﷺ من النصب وكونه فى ضيقة الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة ، وكان أرق الناس على رسول الله ﷺ وأشفقهم عليه فحزن لذلك .

(٣) يقال أدلج القوم وادّلج : ساروا الليل كله أو فى آخره .

فيصبح بمكة مع قريش كبائت بها ، فلا يسمع أمراً يكاد به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط للكلام ؛ ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منيحة عن غنم[١] فيريحها[٢] عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رسل[٣] ، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث ، ثم خرج النبي ﷺ بعد ثلاث ، معه أبو بكر وعامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهم الدليل طريق الساحل فاجتنوا[٤] ليلتهم حتى أظهروا[٥] وقام الظهيرة رمى أبو بكر بصره هل يرى ظلاً يأوون إليه ، فإذا هم بصخرة فانتهوا إليها فإذا بقية ظلها ، فسوى أبو بكر ثم فرش لرسول الله ﷺ ثم قال : اضطجع يا رسول الله ! فاضطجع ، ثم ذهب ينظر هل يرى من الطلب أحداً ، فإذا هو براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى يريدون من الظل ، فسأله أبو بكر : لمن أنت يا غلام ، قال : لفلان - رجل من قريش ، فعرفه أبو بكر فقال : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، فقال : هل أنت حالب لي ؟ قال : نعم ، فأمره فاعتقل شاة من غنمه وأمره أن ينفض عنها من الغبار ، فحلب له كثبة من لبن ، وكان معه إداوة لرسول الله ﷺ على فمها خرقة ، فصب اللبن حتى برد أسفله ثم ملأها ، فانتهى بها إلى رسول الله ﷺ وقد استيقظ فقال : اشرب يارسول الله ! فشرب وشرب أبو بكر ، فقال أبو بكر : قد أتى الرجل يا رسول الله ! قال : « لا تحزن » ، والقوم يطلبونهم ، قال[٦] سراقة بن مالك بن جعشم : جاءنا رسل

---

(١) وفي الطبري « كان لأبي بكر منيحة من غنم » يقال : منحه الناقة وكل ذات لبن ، إذا جعل له وبرها ولبنها وولدها ، فهي المنحة والمنيحة .

(٢) وفي الطبري « يروح بتلك الغنم » .

(٣) أي تمهل وتؤدة ورفق ، يقال « على رسلك يا رجل » أي على مهلك وتأن .

(٤) أي استتروا .

(٥) يقال : أظهر - إذا سار أو دخل في الظهيرة وهي حد انتصاف النهار .

(٦) وفي السيرة ٢ / ٦ « قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن جعشم قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم » .

كفار قريش يجعلون[١] فى رسول الله ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فقال سراقة : فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج إذ أقبل رجل فقال : يا سراقة ! إنى رأيت آنفاً أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت لهم : إنهم ليسواهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت فى مجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فحطت بزجة الأرض حتى أتيت فرسى ، فركبتها ودفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعرد[٢] بى فرسى فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أخرج أم لا ! فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام ، فقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت فلم تكن تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام ، فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم بأخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم بالزاد والمتاع فلم يرزءانى[٣] ولم يسألانى إلا أنهما قالا : أخف علينا ، فسألته أن يكتب لى كتاب موادعة وأمن، فأمر أبا بكر ، فكتب[٤] لى فى رق[٥] من أدم ، قال سراقة : والله

---

(١) فى الكامل لابن الأثير ٢ / ٥٠ « وكانت قريش قد جعلت لمن يأتى بالنبى ﷺ دية ، فتبعهم سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى فلحقهم وهم فى أرض صلبة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ! قد أدركنا الطلب ، قال : « لا تحزن » .

(٢) أى هرب وفر .

(٣) أى لم يأخذ منى شيئاً .

(٤) فى سيرة ابن هشام « قال قلت تكتب لى كتاباً يكون آية بينى وبينك قال : « اكتب له يا أبا بكر » فكتب لى كتاباً فى عظم أو فى رقعة أو فى خرقة .

(٥) الرق جلد رقيق يكتب فيه .

لأعمين على من ورائى من الطلب ، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً فإنك ستمر على إبلى وغنمى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى إبلك وغنمك ، وانطلق راجعاً إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ فلقى الزبير بن العوام فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء .

ثم ساروا إلى خيمتى أم معبد[١] الخزاعية ، وكانت امرأة برزة[٢] جلدة تحتبى وتجلس بفناء الخيمة ثم تسقى وتطعم ، فينالونها تمراً ويشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، فإذا ، القوم مرملون مسنتون ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر خيمتها فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك ، قال «أتأذنين لى أن ، أحلبها » ؟ قالت : نعم بأبى أنت وأمى ! إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله عليه وقال : « اللهم ! بارك لها فى شاتها » ، فتفاجت[٣] ودرت واجترت ، فدعا بإناء لها يربض الرهط، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء[٤] ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقا أصحابه فشربوا حتى رووا وشرب آخرهم ، وقال : « ساقى القوم آخرهم شرباً » ، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل حتى أراضوا[٥] ، ثم حلب فيه ثانياً عودا على بدء ، فغادره[٦] عندها ثم ارتحلوا عنها ، فقل ما لبثت فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً له حفلا[٧] عجافاً يتساوكن[٨] هزلاً ، مخهن قليل ، لا نقى بهن .

---

(١) اسمها عاتكة بنت خالد – راجع الروض ٢ / ٨ .
(٢) برز برازة : فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة فهو برز وهى برزة .
(٣) أى صارت لها فجوة . (٤) أى ارتفع فوقه الزبد .
(٥) أى رووا . (٦) أى تركه . (٧) جمع حافل ، فقال ناقة أو شاة حافل : كثير لبنها
(٨) من الدلائل لأبى نعيم : أى يسرن سيراً ضعيفاً

فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين لك هذا والشاء عازب ولا حلوبة فى البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال : والله إنى أراه صاحب قريش الذى نطلبه ، صفيه لى يا أم معبد ! قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة[١] ولم تزره صلعة ، وسيم جسيم ، قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف[٢] ، وفى صوته صهل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، رجل شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لا يتشنى من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، وله رفقاء يحفون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تسارعوا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند[٣] ؛ قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ! لو كنت وافقت لالتمست إلى أن أصحب ، ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلاً . وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعونه ولا يدرون من يقوله ، وهو يقول[٤] :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسودد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

---

(١) من الدلائل لأبى نعيم أى عظم البطن .

(٢) من وطف أى كثر شعر حاجبيه وعينيه .

(٣) من الدلائل لأبى نعيم ، وفنده : خطأ رأيه وضعفه .

(٤) راجع الروض ٢ / ٧ والكامل لابن الأثير ٢ / ٥٠ لما ذكر عن أسماء بنت أبى بكر فى جرابها : لا أدرى ، حين سألها أبو جهل ، فلطم خدها لطمة طرح قرطها حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول .

دعـاها بشـاة حـائل فـتحلبت ... له بصـريح ضـرة الشـاة مـزبد
فـغـادره رهناً لديهـا لحـالب ... يرددها فى مـصـدر ثم مـورد

فأجابه حسان بن ثابت

لقد خاب قوم زال عنهم نبيّهم ... وقد سر من يسرى إليه ويغتدى
ترحّل عن قوم فضلت عقولهم ... وحلّ على قـوم بنور مـجـدّد
وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا ... عـمى وهداة يهـتدون بمهـتدى
نبىّ يرى مـالا يرى الناس حـوله ... ويتلو كـتاب الله فى كل مشـهـد
وإن قـال فى يوم مـقـالة غـائب ... فتصديقها فى ضحوة اليوم أو غد
ليـهنىء أبا بكر سـعـادة جـدّه ... بصـحبتـه من يسعد الله يسـعد
ليهنىء بنى كـعب مقام فتاتهم ... ومـقـعـدها للمـؤمنين بمرصـد

فلما سمع المسلمون الأبيات خرج المسلمون سراعاً فوجا فوجاً يلحقون برسول الله ﷺ فأخذوا على خيمة أم معبد .

وسمع المسلمون بالمدينة بخروج النبى ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرون قدومه حتى يردّهم حرّ الظهيرة فكان أول من قدم عليهم من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار بن قصى ، فقالوا : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هو وأصحابه على إثرى ، ثم أتاهم بعده عمرو بن أم مكتوم الأعشى أخو بنى فهر ، فقالوا : ما فعل من وراءك رسول الله وأصحابه ؟ فقال : هم الآن على أثرى ، ثم أتاهم بعده عمار بن ياسر وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود وبلال ، ثم أتاهم عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، وكان رسول الله ﷺ حيث خرج من الغار سلك بهم الدليل أسفل من مكة ، ثم مضى بهم حتى جاوز بهم الساحل أسفل عسفان ، ثم استجاز بهم على أسفل أمج[1] حتى عارض بهم الطريق ، ثم أجاز بهم فسلك بهم الخرار ، ثم

(١) بالجيم وفتح أوله وثانيه بلد من أعراض المدينة – راجع معجم البلدان .

أجاز بهم ثنية المرة ، ثم سلك بهم القفا ، ثم أجاز بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة لفف ، ثم استبطن بهم مدلجة مجاج ، ثم سلك مرجح من ذى العضوين ثم بطن ذى كشد ، ثم أخذ بهما الجداجد ثم الأجرد ، ثم سلك بهم بطن أعداء ثم مدلجة تعهن[١] ثم العبابيد[٢] ثم الفاحة ثم العرج ثم بطن العائر[٣] ثم بطن ريم ، ثم رحلوا من بطن ريم ونزلوا بعض حرار المدينة ، وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، وبعثوا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهم الأنصار ، فجاء البدوى وأذن بهم الأنصار ، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فنظر إلى رسول الله ﷺ مبيضين ؟ فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ! هذا جدكم الذى تنتظرون ! فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهم خمسمائة رجل من الأنصار ، فتلقى الناس والعواتق فوق الأجاجير ، والصبيان والولائد يقولون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع[٤]

وأخذ الحبشة يلعبون بحرابهم لقدوم رسول الله فرحاً بذلك .

ذكر قدوم النبى ﷺ المدينة

أخبرنا أبو خليفة ثنا عبد الله بن رجاء أنا إسرائيل[٥] عن أبى إسحاق قال سمعت البراء يقول : اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب مر البراء : فليحمله إلى أهلى ، فقال له عازب : لا حتى تحدثنى

(١) من سيرة ابن هشام والروض ، فيه : « مدلجة تعهن – بكسر التاء والهاء والتاء فيه أصلية ، وتعهن صخرة يقال لها أم عقى عرفت بامرأة كانت تسكن هناك فمر بها النبى ﷺ واستسقاها فلم تسقه فدعا عليها فمسخت صخرة فهى تلك الصخرة فيما يذكرون » .

(٢) من سيرة ابن هشام ، وفى الروض « العبابيد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هى العبابيب كأنه جمع عباب » وفى الأصل « العنابد » كذا .

(٣) من سيرة ابن هشام وفيه « فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة ويقال ثنية الغائر » .

(٤) تمامه بهامش الخصائص ١ / ١٩٠ : أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع .

(٥) هو اسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السبيعى الهمدانى أبو يوسف الكوفى قال ابن حجر ثقة تكلم فيه بلا حجة من الطبقة السابعة مات سنة ١٦٠ هـ وأخرج له أصحاب الأصول الستة

قال الذهبى : اسرائيل أحد الاعلام اعتمده البخارى ومسلم فى الأصول وهو ثبت كالاسطوانة فلا يلتفت إلى تضعيف من ضعفه . انظر تقريب التهذيب ١/٦٤ ترجمة ٤٦٠ .

كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ فقال : ارتحلنا من مكة - فذكر حديث الرحل ، وقال : حتى أتينا المدينة فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : إنى أنزل الليلة على بنى النجار وأخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك ، فخرج الناس حين قدمنا المدينة فى الطرق وعلى البيوت ، والغلمان والخدم يقولون : جاء محمد ! جاء رسول الله ﷺ ! فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر .

قال أبو حاتم : لما أمسى رسول الله ﷺ الليل عدل بهم فنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب ، لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو كانت من بنى عدى بن النجار ، فلما أصبح ﷺ نزل حمزة بن المطلب وعلى بن أبى طالب وأبو مرثد وابنه مرثد وأبو كبشة وزيد بن حارثة على كلثوم بن الهدم العمرى أخى بنى عمرو بن عوف ، ونزل أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله وصهيب ابن سنان على خبيب بن إساف ، ونزل عمر وزيد ابناً الخطاب وعمر وعبد الله ابنا سراقة وعبد الله بن حذافة وواقد بن عبد الله ، وخولى بن أبى خولى وعياش ابن ربيعة وخالد وعاقل وإياس بن البكير على رفاعة بن عبد المنذر ، ونزل عبيدة والطفيل والحصين بنو الحرب ومسطح بن أثاثة وسويبط مولى أبى سعد وكليب ابن عمير وخباب بن الأرت على عبد الله بن سلعة العجلانى ، ونزلت زينب بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن ، وأم حبيبة بنت نباتة وأمية بنت رقيش وأم حبيبة بنت جحش وأم سخبرة بنت نعيم على سعد بن خيثمة ، وعشّى رسول الله ﷺ المسلمون وأقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً يسلمون ، وأقام رسول الله ﷺ فى بنى عوف بقباء يوم الاثنين و الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس المسجد بقباء وصلى فيه تلك الأيام ، فلما كان يوم الجمعة خرج على ناقته القصوى يوم الجمعة يريد المدينة ، واجتمع عليه الناس فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف ، فكانت أول جمعة[1]

(١) وفى سيرة ابن هشام فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى « وادى رانوناء » .

جمعها رسول الله ﷺ بالمدينة ، ثم جعل رسول الله ﷺ يمر بدور الأنصار فيدعونه للنزول ويعرضون عليه المؤاساة فيجزيهم النبي ﷺ خيراً حتى مر على بني سالم ، فقام عتبان بن مالك في أصحاب له فقالوا له : يا رسول الله ! أقم في العدد والعدة والمنعة، فقال النبي ﷺ : « خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة ، ثم مر ببني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة وأبو دجانة[1] والمنذر بن عمرو وداود[2] راودوه على النزول ، ابن لبيد وراودوه على النزول ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ؛ ثم مر على بني عدى بن النجار فقال أبو سليط بن أبي خارجة : عندنا يا رسول الله ! فنحن أخوالك - وذكروا رحمهم ، فقال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ؛ وأقبلت الناقة حتى انتهت به إلى مربد التمر وهو يومئذ لغلامين يتيمين من بني النجار في حجر أسعد بن زرارة اسمهما سهل وسهيل ابنا رافع ابن أبي عمرو وكان المسلمون بنوا مسجداً يصلون فيه وهو موضع مسجده اليوم، فلما انتهت به الناقة إلى المسجد بركت ، فنزل عنها رسول الله ﷺ وقال : هذا إن شاء الله المنزل ! وجاء أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب فأخذ برحله وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته ، ثم سأل رسول الله ﷺ عن المربد ، فقال معاذ بن عفراء : هو لغلامين يتيمين وأنا مرضيهما عنه ، فدعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، فلما خرج رسول الله ﷺ من المسجد قالوا : يا رسول الله ، المرء مع موضع رحله ، فنزل على أبي أيوب الأنصاري ومنزله في بني غنم بن النجار ، ثم أخذ رسول الله ﷺ والمسلمون في بناء المسجد ، وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن :

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

اللهم إن الخير خير الآخرة ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

---

(١) اسمه « سماك بن خرشة راجع الإصابة ٧ / ٥٧ .

(٢) الأنصاري المازني ، قيل : اسمه عمرو ، راجع الإصابة ٧ / ٥٧ .

وكان عمار بن ياسر جعداً قصيراً وكان ينقل اللبن وقد أغبر صدره فقال له رسول الله ﷺ : يا ابن سمية ! تقتلك الفئة الباغية وقدم طلق بن على على رسول الله ﷺ وكان يعين المسلمين فى بناء المسجد . فكان النبى ﷺ يقول : قربوا الطين من اليمامى فإنه من أحسنكم به مسكاً ، ومات أسعد بن زرارة والمسجد يبنى ، أخذته الشهقة[1] ، ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن بالبقيع من المسلمين فكان النبى ﷺ نازلاً على أبى أيوب حتى فرغ من المسجد وبنى له فيه مسكن ، فانتقل رسول الله ﷺ حين فرغ من المسجد ومسكنه إليه ، ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليقفل سودة بنت زمعة زوجته وبناته ، وبعث أبو بكر الصديق عبد الله بن أريقط إلى عبد الله بن أبى بكر أن يقدم بأهله ، فلما قدم ابن أريقط على عبد الله بن أبى بكر خرج عبد الله بعيال أبى بكر : عائشة وعبد الرحمن وأم رومان أم عائشة وكان البراء بن معرور مات فى صفر قبل قدوم النبى ﷺ المدينة بشهر وأوصى عند موته أن يوجه إذا وضع فى قبره إلى الكعبة ففعل به ذلك ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى على قبره ، وولد مسلمة بن مخلد[2] ؛ وكان آخر الأنصار إسلاماً بنو واقف وبنو أمية وبنو وائل ، وكانت الأنصار كل واحد منهم يهدى لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة تيساً ، وكانت أم سليم لم يكن لها ما تهدى فأتت بابنها أنس إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! ابنى هذا يخدمك وليس عندى ما أهديه ، فادع الله له ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم ! أكثر ماله وولده .

ثم دخل رسول الله ﷺ دار أنس بن مالك وكان أنس[3] له عشر سنين حيث

(١) والشهقة : كالصيحة ، يقال شهق فلان وشهيق وشهقة فمات والشهيق : الأنين الشديد المرتفع جداً (لسان العرب) وفى سيرة ابن هشام والروض « هلك فى تلك الأشهر أبو أمامة أسعد بن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة » .

(٢) له ترجمة فى الإصابة : ٦ / ٩٧ وفيها : « وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق وكيع عن موسى بن على عن أبيه عن مسلمة بن مخلد قال : ولدت حين قدم النبى ﷺ المدينة وقبض النبى ﷺ وأنا ابن عشر سنين » .

(٣) له ترجمة فى الإصابة ١ / ٧١ وفيها « صح عنه أنه قال : قدم النبى ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وأن أمه أم سليم » .

قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكانت أمهاته يحثثنه ، فلما دخل داره حلب له من داجن وشاب له لبنها بماء يسير فى الدار ، وأبو بكر عن شماله وأعرابى عن يمينه ، فناوله رسول الله ﷺ الأعرابى وقال : الأيمن فالأيمن ، وكانت الصلاة ركعتين ركعتين فرآهم رسول الله ﷺ متنفلين فقال : « يا أيها الناس ! اقبلوا فريضة الله » فأقرت صلاة المسافر وزيد فى صلاة المقيم[1] وذلك لا ثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر بعد قدومه عليه السلام المدينة بشهر .

ووعك أصحاب رسول الله ﷺ وعكاً شديداً فدخلت عائشة على أبى بكر وهو يقول :

كل امرىء مصبح فى أهلـه ... والموت أقرب من شراك نعله

ثم دخلت على عامر بن فهيرة وهو يقول :

كل امرىء مدافع[2] طوقه ... الثـور يحمـى جلـده بروقـه[3]

فدخلت على بلال وهو يقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلـة ... بـواد وحولـى إذخـر وجليل

وهـل أردن يومـاً ميـاه مجنة ... وهل يبدون لى شامة وطفيـل

وكان بلال يقول : اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام كما أخرجونا من مكة ، فأخبرت عائشة النبى ﷺ بما رأت من وعكهم ، فقال النبى ﷺ : اللهم ! حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، وبارك لنا فيها كما باركت لنا فى مكة ، وبارك فى صاعها ومدها وانقل وباءها إلى مهيعة وهى الجحفة .

---

(١) وفى الطبرى « وفى هذه السنة زيد فى صلاة الحضر فيما قيل ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين . وذلك بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بشهر فى ربيع الآخر لمضى اثنتى عشرة ليلة » .

(٢) فى السيرة « مجاهد » .

(٣) زاد فى السيرة بيتاً قبله : « لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... إن الجبان حتفه من فوقه » .

ودخل رسول الله ﷺ المسجد وقد حمى الناس وهم يصلون قعوداً ، فقال النبى ﷺ : صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ، فختم الناس الصلاة قياماً ، ثم قال النبى ﷺ : « اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة من البركة ! ثم أراد رسول الله ﷺ أن يؤاخى بين المهاجرين والأنصار فى شهر رمضان ، فدخل المسجد فجعل يقول : أين فلان بن فلان ؟ فلم يزل يعدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده ، فقال : إنى أحدثكم بحديث فاحفظوه وحدثوا من بعدكم إن الله اصطفى من خلقه خلقاً - ثم تلا هذه الآية ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[1] ، خلقاً يدخلهم الجنة ، وإنى مصطفى منكم من أحب أن أصطفيه ، ومؤاخ بينكم كما آخى الله بين الملائكة ، قم يا أبا بكر ! فقام فجىء بين يديه ، فقال : إن لك عند يدا الله يجزيك بها ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتك خليلاً ، وأنت عندى بمنزلة قميصى فى جسدى - وحرك قميصه ، ثم قال : ادن يا عمر ! فدنا فقال : لقد كنت شديد الشغب علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز الدين بك أو بأبى جهل ، ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى ثالث ثلاثة من هذه الأمة ! ثم تنحى وآخى بينه وبين أبى بكر ؛ ودعا عثمان بن عفان فقال : ادن يا عثمان ! ادن يا أبا عمرو ، فلم يزل يدنو حتى ألزق ركبته بركبته ، ثم نظر إلى السماء فقال : سبحان الله العظيم ! ثم نظر إلى عثمان فإذا إزاره محلولة فزرها عليه ثم قال : اجمع لى عطفى ردائك على نحرك ، فإن لك شأناً عند أهل السماء ، أنت ممن يرد على الحوض و أوداجه تشخب دماً ؛ ثم دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : ادن يا أمين الله ! يسلط الله على مالك بالحق ، أما ! إن لك عندى دعوة قد أخرتها ، فقال : خرلى ، فقال : أكثر الله مالك ! ثم تنحى وآخى بينه وبين عثمان » .

ثم دعا طلحة والزبير فقال : ادنوا منى ، فدنوا منه ، فقال : « أنتما حوارى

(١) سورة الحج آية ٧٥ .

كحوارى عيسى بن مريم ! ثم آخى بينهما » .

ثم دعا سعد بن أبى وقاص وعمار بن ياسر فقال : « يا عمار ! تقتلك الفئة الباغية ، ثم آخى بينهما » .

ثم دعا عميراً أبا الدرداء وسلمان الفارسي فقال : « يا سلمان ! أنت منا أهل البيت ، وقد آتاك الله العلم الأول والعلم الآخر ، ثم قال : ألا أنشدك يا أبا الدرداء قال : بأبى أنت وأمى بلى ، قال : إن تنقدهم فينقدوك ، وإن تتركهم لا يتركوك ، فأقرضهم عرضك ليوم فقرك ، واعلم أن الجزاء أمامك ، ثم آخى بينهما ؛ ثم نظر في وجوه أصحابه فقال : ابشروا وقروا عينا ، فأنتم أول من يرد على الحوض ، وأنتم فى أعلى الغرف ؛ ونظر إلى عبد الله بن عمر فقال : الحمد لله الذى يهدى من الضلالة من أحب » .

فقال على بن أبى طالب : يا رسول الله ! ذهب روحى فانقطع ظهرى حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت ، فإن كان من سخطة علىّ فلك العتبى والكرامة ! قال : والذى بعثنى بالحق ! ما أخرتك إلا لنفسى ، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى ، وأنت أخى ووارثى قال : يا رسول الله ! ما أرث منك ؟ قال : ما ورثت الأنبياء قبلى ، قال : وما ورثت الأنبياء قبلك ؟ قال : كتاب الله وسنة نبيهم ، وأنت معى فى قصرى فى الجنة مع فاطمة ابنتى، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ إخواناً على سرر متقابلين ﴾[1] .

ومات الوليد بن المغيرة بمكة وأبو أحيحة بالطائف ، بلغ المسلمين نعيهما ؛ وولد عبد الله بن الزبير فى شوال ، فكبر المسلمون وكانوا يخافون أن يكون اليهود سحرت نساءهم ، وكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، وهنىء به أبو بكر والزبير ، ولم ترضعه أسماء بنت أبى بكر حتى أتت به النبى ﷺ ، فأخذه ووضعه فى حجره فحنكه بتمرة ، فكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول لله ﷺ ثم سماه عبد الله .

(١) سورة الذاريات آية ٤٧ .

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف على ستين من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد ، هى أول راية عقدها [١] بالمدينة ، وبعثه إلى بطن رابغ ، فبلغ ثنية المرة بالقرب من الجحفة ، فالتقوا على ماء يقال له أحياء[٢] ، وأمير السرية أبو سفيان بن حرب فى مائتين من المشركين ، فلم يكن منهم إلا الرمى بالرمى ، ثم انحاز المسلمون على رامية ، وانحاز[٣] من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو بن الأسود وقد قيل : عتبة بن غزوان ، ثم انصرفوا من غير أن يسلوا السيوف ، وقد قيل : إن المشركين أميرهم كان مكرز بن حفص بن الأخيف ، وكان حامل اللواء لعبيدة ابن الحارث مسطح بن أثاثة .

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لحمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين راكباً كلهم من المهاجرين ، بعثه إلى ساحل البحر من قبل العيص من أرض الجهينة ليتعرض لعير قريش ، فلقى أبا جهل بن هشام فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان حليفاً للفريقين ، فانصرف الفريقان من غير قتال ، وكان حامل لواء حمزة يومئذٍ أبو مرثد .

ثم بنى رسول الله ﷺ بعائشة وهى بنت تسع على رأس ثمانية أشهر من هجرته وذلك فى شوال ، وكان تزوج بها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وهى ابنة ست ، فأهديت إلى النبى ﷺ ومعه البهاء ، ولم يزوج من النساء بكراً غيرها.

ثم عقد رسول الله ﷺ اللواء لسعد بن أبى وقاص فى عشرين رجلاً يريد العير

---

(١) وقال ابن الأثير « وقال بعضهم : كان لواء أبى عبيدة أول لواء عقده وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض » .

(٢) فى معجم البلدان « الأحياء جمع حى ، من أحياء العرب ، أوحى ضد الميت ، قال ابن إسحاق : غزا عبيدة بن الحارث بن المطلب الأحياء ، وهو ماء أسفل من ثنية المرة ... » .

(٣) قال ابن الأثير فى الكامل « وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة ، فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك ، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم » .

في ذى القعدة ، فخرجوا على أقدامهم فكانوا يكفون بالنهار ويسيرون بالليل حتى أصبحوا لحرار صبح خامسة وقد سبقهم العير قبل ذلك بيوم فانصرفوا ، وكان حامل اللواء يومئذٍ لسعد المقداد بن عمرو .

وجاء رسول الله ﷺ أبو قيس بن الأسلت فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فقال : ما أحسن ما تدعو إليه ! انظر فى أمرى ثم أعود إليك ، فلقيه عبد الله بن أبى فقال : كرهت والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلم سنة ، فمات فى ذى الحجة .

السنة الثانية من الهجرة

حدثنا عبد الله بن محمد بن المداينى ثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ فوجد اليهود يصومون عاشوراء فقال لهم : ما هذا ؟ قالوا : يوم عظيم ! نجّى الله فيه موسى وأغرق فرعون فيه وقومه ، فصامه موسى شكراً لله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ . « أنا أولى بموسى وأحق بصيامه منكم ، فصامه وأمر بصيامه » .

قال[1] : وجد رسول الله ﷺ اليهود يصومون يوم عاشوراء فى أول قدومه المدينة وهو أول السنة الثانية من الهجرة ، فسألهم فأخبروه أن الله نجّى موسى فى ذلك اليوم وأغرق آل فرعون فصامه موسى شكراً لله ، فأمر رسول الله ﷺ بصيامه وقال : أنا أولى بموسى ، فصامه (ﷺ) والمسلمون .

ثم زوّج رسول الله ﷺ ابنته فاطمة علياً فى صفر ، وقال له : « أعطها شيئاً» ، فقال : ما عندى يارسول الله شيىء ، قال : « فأين درعك الحطمية ؟ فبعث إليها بدرعه » .

وقد روى فى تزويجها أخبار فيها طول تؤدى إلى مسلك القصّاص فتنكبت

(١) أى أبو حاتم

عن ذكرها لعلمى بعدم صحتها من جهة النقل .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة الأبواء ، وهى أول غزوة غزاها بنفسه ، وبين الأبواء وودان ستة أميال ، خرج رسول الله ﷺ فى المهاجرين ليس فيهم أنصارى، وذلك فى شهر ربيع الأول على رأس سنة من مقدمه المدينة ، واستخلف سعد بن عبادة بن دليم وكان حامل لوائه حمزة بن عبد المطلب ، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، والأبواء جبل ، وودان والأبواء بينهما الطريق ، كلاهما ورد رسول الله ﷺ ، وفى هذه الغزاة وادع رسول الله ﷺ مخشى بن عمرو الضمرى .

ثم غزا رسول الله ﷺ فى مائتين من أصحابه إلى ناحية رضوى يريد عير قريش فيها أمية بن خلف .

واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ، وكان يحمل لواءه سعد بن أبى وقاص ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيدا .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبى وقاص فى سبعة نفر أو ثمانية حتى انتهى إلى الخرار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيداً[1]. وكان سرح فى المدينة يرعى فى الحمى فاستاقه كرز بن جابر الفهرى ، فخرج رسول الله ﷺ فى إثره فى المهاجرين ، وكان حامل لوائه على بن أبى طالب .

واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وطلب رسول الله ﷺ حتى بلغ بدراً ، فلم يلحقه وفاته كرز فرجع إلى المدينة ، وهذه الغزوة تسمى غزوة بدر الأولى .

ثم ولد النعمان بن بشير فى جمادى الأولى ، فحملته أمه عمرة بنت رواحة إلى رسول الله ﷺ ، فحنكه رسول الله ﷺ ، وهو أول مولود من الأنصار ولد بعد قدوم النبى ﷺ المدينة .

---

(١) فى الطبرى ٢ / ١٢٦٥ « عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبى وقاص إلى الخرار لواء أبيض يحمله المقداد بن عمرو فى ذى القعدة » .

ثم بعث رسول الله ﷺ فى رجب عبد الله بن جحش فى اثنى عشر نفساً من المهاجرين ليس فيهم أنصارى ، وكتب له كتاباً وقال : أمسك كتابك فإذا سرت يومين فانشره فانظر ما فيه ، ثم امض . وخرج مع عبد الله بن جحش أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب ، وسعد بن أبى وقاص ، وسهيل بن بيضاء ، وعتبة بن غزوان وواقد بن عبد الله التميمى حليف بنى عدى بن بيضاء ، وخالد بن البكير حليف بنى عدى ، وعكاشة بن محصن ؛ فسار عبد الله بن جحش ليلتين على ما أمره رسول الله ﷺ ، ثم فتح الكتاب فإذا فيه : سر حتى تنزل نخلة على اسم الله ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك ، وامض فيمن تبعك منهم حتى تقدم بطن نخلة فترصد بها عير قريش . فلما قرأ الكتاب قال : لست بمستكره أحداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة فليمض ، فإنى متاضى لأمر رسول الله ﷺ ؛ فمضى ومضى القوم معه حتى إذا كانوا ببحران معدن بالحجاز فوق الفرع - أضل عتبة بن غزوان وسعد بن أبى وقاص بعيراً فتخلفا فى طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش حتى أتى المكان الذى أمره رسول الله ﷺ ، فوجد عير قريش فيها عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، فلما رأى أصحاب العير القوم هابوهم وحلزوهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه قال عمار : لا بأس عليكم ! وأمنوا ، فاستشاروا أصحاب رسول الله ﷺ فى أمرهم ، وكان آخر يوم من رجب .

فقال المسلمون : إن أخرنا عنهم هذا اليوم دخلوا الحرم فامتنعوا ، وإن أصبناهم أصبناهم فى الشهر الحرام ، فرمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، واستأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، والحكم بن كيسان ، وأعجزهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ ، فوقف رسول الله ﷺ العير ولم يأخذ منها شيئاً وحبس الأسيرين، وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ، فسقط فى أيدى القوم

وظنوا أنهم هلكوا ؛ وقالت قريش : استحل بهذا الشهر الحرام ، قد أصاب فيه الدم والمال ، فأنزل الله فيما كان قول رسول الله ﷺ وما عظم فى أنفس أصحابه وما جاؤوا به ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ ﴾ - إلى قوله : ﴿ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(١) يريد أنهم كانوا يفتنونكم فى دينكم وأنتم فى حرم الله حتى تكفروا بعد إيمانكم ، فهذا أكبر عند الله من أن تقتلوهم فى الشهر الحرام مع كفرهم وصدهم عن سبيل الله وإخراجكم منه ، فلما نزل القرآن بذلك أخذ رسول الله ﷺ العير ، وأما الأسيران فإن الحكم أسلم وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان ففاداه رسول الله ﷺ ورجعوا به مكة ، ومات بها مشركاً .

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى ذى العشيرة فى المهاجرين ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، وكان حامل لوائه حمزة بن عبد المطلب حتى بلغ بطن ينبع ، فوادع بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ثم رجع . وكان النبى ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فقال له عمر بن الخطاب : يا رسول الله ! لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى ! فأنزل ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾(٢) الآية ، وقال السفهاء من الناس : من اليهود ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾(٣) فأنزل الله ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾(٤) الآية ، فصرفت القبلة إلى الكعبة فى الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان ؛ فكانت صلاته نحو بيت المقدس بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً(٥) وثلاثة أيام ، فخرج رجل بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار وهم ركوع فى صلاة العصر نحو بيت

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٥) فى الطبرى « عن ابن إسحاق قال : صرفت القبلة على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة » .

المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه قد وجه إلى الكعبة ، فانحرف القوم حتى توجهوا إلى الكعبة .

ثم أنزل الله جل وعلا فريضة الصوم فى شعبان ، فلم يأمرهم رسول الله ﷺ بعد فرض رمضان بصيام عاشوراء ولا نهاهم عنه .

ثم كانت غزوة بدر

خرج رسول الله ﷺ في شهر رمضان لاثنتى عشرة ليلة خلت منه يريد اعتراض عير قريش ومعه المهاجرون والأنصار ، وضرب بعسكره قبل أن يخرج من المدينة ببئر أبى عينة ، وعرض أصحابه ورد من استصغر منهم ، فكان ممن رد فى ذلك اليوم من المسلمين عبد الله بن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير ، وكان عمير بن أبى وقاص يستتر فى ذلك اليوم لأن لئلا يراه النبى ﷺ ، فقال له سعد : ما لك يا أخى ؟ قال : إنى أخاف أن يرانى النبى ﷺ فيستصغرنى فيردنى ! لعل الله أن يرزقنى الشهادة ؛ فرآه رسول الله ﷺ فرده ، فبكى بكاءً شديداً فأجازه رسول الله ﷺ ، وقتل ببدر شهيداً .

ثم رحل رسول الله ﷺ من بئر أبى عيينة فى ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً ، منهم أربعة وسبعون رجلا من المهاجرين وسائرهم من الأنصار ، وكان لهم من الإبل سبعون بعيراً يتعاقب النفر البعير الواحد ، فبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على طريق الساحل إلى الحوران يتجسسان خبر العير .

ورأت عاتكة بنت عبد المطلب بمكة رؤيا أفزعتها فبعثت إلى العباس فقالت : يا أخى ! لقد رأيت البارحة رؤيا أفظعتنى فاكتم علىّ ، قال : وما رأيت ؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا ! انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ، فإذا الناس قد اجتمعوا إليه فدخل المسجد والناس يتبعونه ، فبيناهم حوله إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم

خرج بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت ، فما بقى بيت بمكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة ، قال العباس: والله ! إن هذه لرؤيا فاكتميها ولا تذكريها .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان له صديقاً فذكرها له ، فذكرها الوليد لأبيه ، ففشا الحديث بمكة ، فقال أبو جهل : ما يرضى بنو عبد المطلب أن يتنبأ رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم .

وكان أبو سفيان بن صخر أقبل من الشام فى عير لقريش عظيمة فيها أموالهم وتجاراتهم وفيها ثلاثون - وقيل : أربعون - رجلاً من قريش ، منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهرى .

وكان أبو سفيان يتحسس الأخبار ويسأل من لقى من الركبان ، فأصاب خبراً من الركبان أن محمداً قد نفر فى أصحابه ، فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم ابن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها ، فدخل ضمضم فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة مكة وهو يصرخ ببطن الوادى وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ! اللطيمة ! اللطيمة ! قد عرض لها محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تدركوها أو لا تدركوها ، الغوث ، الغوث ! الغوث ! فتجهزت قريش سراعاً ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وخرجت تريد العير .

ولما بلغ رسول الله ﷺ الصفراء - بينها وبين المدينة ثلاث ليال - بعث عدى ابن أبى الزغباء الجهنى حليف بنى النجار وبسبس بن عمرو الجهنى حليف بنى ساعدة قدامه إلى مكة ، فلما نزلا الوادى أناخ إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شناً لهما يستسقيان فيه ، وعلى الماء إذ ذاك مجدى بن عمرو الجهنى ، فسمع عدى وبسبس جاريتين من جوارى جهينة وهما يتلازمان فقالت الملزومة لصاحبتها : إنما يأتى العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك الذى علىّ ،

فقال مجدى : صدقت وخلص بينهما ؛ فلما سمع بذلك عدى وبسبس ركباً راحلتيهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه ، وأقبل أبو سفيان وقد تقدم العير حتى ورد الماء حذراً من الذى كان يخافة ، فقال لمجدى بن عمرو : وهل أحسست أحداً ؟ فقال : والله ! ما رأيت أحداً إلا أنى رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففته فإذا فيه النوى ، فقال : هذا والله علائف يثرب ! فرجع وضرب وجوه عيره فساحل بها وترك بدراً يساراً وانطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش فلما نزلوا الجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة رؤيا فقال: أنا بين النائم واليقظان رأيت رجلاً قد أقبل على فرس له حتى وقف ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف - وفلان وفلان ، ثم ضرب فى لبة بعيره وأرسله فى العسكر ، فما بقى خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه ، فبلغ أبا جهل رؤياه فقال : هذا نبى آخر من بنى المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا ! فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش ، قال : إنكم خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاهما الله فارجعوا ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ! - وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق - فنقيم عليه ثلاثاً وننحر الجزور ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، فتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ؛ ثم رحلت قريش حتى نزلت العدوة القصوى من بدر.

ولما بلغ رسول الله ﷺ عرق الظبية دون بدر استشار الناس فقال : أشيروا على أيها الناس ! فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر فقال مثل ذلك ، ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله ! امض بنا لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك مثل ما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فاذْهبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتلا إِنَّا هَاهُنَا

قَاعِدُونَ (٢٤) ﴾[١] . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والذى بعثك بالحق ! لو سرت بنا إلى برك الغماد [٢] لجالدنا معك من دونه حتى تنتهى إليه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

ثم قال : أشيروا علىّ أيها الناس ! وإنما يريد رسول الله ﷺ الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس[٣] ، فقال سعد بن معاذ : كأنك يا رسول الله إنما تريدنا ! قال : أجل ، فقال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا بما جئت به أنه الحق ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا نبى الله لما أردت فنحن معك ، والذى بعثك لو ! استعرضت هذا البحر وخضت بنا لخضناه معك ما بقى منا رجل ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعض ما تقر به عينك ! فسر بذلك رسول الله ﷺ ، ثم ركب ورجل من أصحابه قدام الجيش ، ومضى حتى وقف على شيخ قريباً من بدر فقال له : أيها الشيخ ! ما بلغك عن محمد وأصحابه ؟ فقال : ما أنا مخبرك حتى تخبرنى من أنت ! قال رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك من نحن » ، فقال الشيخ : أذاك بذاك ؟ قال : « نعم » ، فقال الشيخ : بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن يكن الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بكذا وكذا - بالمنزل الذى كان فيه رسول الله ﷺ ؛ وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن يكن الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بكذا وكذا - بالمنزل الذى هم فيه ، ثم قال : ممن أنت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » ؛ ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤ .

(٢) بفتح الباء وكسرها وضم الغين وكسرها ، وهى موضع باليمن .

(٣) وزاد فى السيرة ٢ / ٦٤ « وإنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ! إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دورنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ .. إلخ » .

وأصاب على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص راوية لقريش وفيها غلام لبنى العاص وغلام لمنبه بن الحجاج ، فأتوا بهما رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ قائم يصلى ، فقالوا لهما : من أنتما ؟ فقالا : نحن سقاة قريش، بعثونا لنسقى لهم الماء ، فكره القوم خبر قريش ورجوا أن يكونا لأبى سفيان ، فقالوا لهما : من أنتما ؟ ألا لأبى سفيان ؟ فأنكرا فضربوهما ، فلما آذوهما قالا : نحن لأبى سفيان ، فأمسكوا عنهما ؛ فانصرف رسول الله ﷺ من صلاته وأقبل عليهم فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما! والله إنهما لقريش ! ثم دعاهما فقال : لمن أنتما ؟ فأخبراه ، ثم قال : أين قريش ؟ قالا : خلف هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى من الوادى ، قال : وكم هم ؟ قالا : هم كثير ، قال : ما عددهم ؟ قالا : ما ندرى ، قال : فكم تنحر فى اليوم ؟ قالا : يوما عشراً ويوما تسعاً ، فقال رسول الله ﷺ : « هم بين التسعمائة إلى الألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ » فسميا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فى رجال من قريش ، وكان الذى ينحر لقريش تسعة رهط من بنى هاشم : العباس بن عبد المطلب ، ومن بنى عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، ومن بنى نوفل : الحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل ، ومن بنى عبد الدار : النضر بن الحارث ، ومن بنى أسد : حكيم بن حزام ، ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام ، ومن بنى جمح : أمية بن خلف، ومن بنى سهم : منبه بن الحجاج ، ومن بنى عامر ابن لؤى : سهيل بن عمرو.

ثم أقبل رسول الله ﷺ على المسلمين فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، وبعث الله السماء فأصاب رسول الله ﷺ والمسلمين ماء لبدلهم الأرض ، وأصاب قريشاً ماء لم يقدروا أن يرتحلوا معه » .

ثم رحل رسول الله ﷺ بالمسلمين وقال لهم : « سيروا على بركة الله ، فإنه قد وعدنى إحدى الطائفتين ، فكأنى أنظر إلى مصارع القوم ، ثم مضى يبادر

قريشاً إلى الماء حتى إذا جاء أدنى من ماء بدر نزل به » ، فقال حباب بن المنذر ابن الجموح أحد بنى سلمة : يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحرب والرأى والمكيدة ، قال : فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض حتى نأتى أدنى قليب القوم فننزله ثم نغور ما سواه من القلب ثم نبنى حوضاً فنملأه ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أشرت بالرأى ؛ ثم نهض رسول الله ﷺ وسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل وبنى حوضاً على القليب وقذفوا فيه الآنية ، ثم أمر بالقلب فغورت ؛ فقال سعد بن معاذ : يا نبى الله ! ألا نبنى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كان علينا يا نبى الله جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام وما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وبنى له عريش ، فقعد فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : « اللهم ! هذه قريش قد أقبلنا بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسلك ، اللهم ! فنصرك الذى وعدتنى ! اللهم ! فاحنهم الغداة» . ورأى رسول الله ﷺ عتبة بن ربيعة على جمل له أحمر فقال : « إن يك فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشد » ؛ فلما نزلت قريش أقبل نفر منهم حتى أقبلوا حوض رسول الله ﷺ فيهم حكيم ابن حزام ، فقال النبى ﷺ : دعوهم بما شرب رجل منهم شربة إلا قتل غير حكيم بن حزام .

فلما اطمأنت قريش بعثوا عمير بن وهب الجمحى فقالوا احزر لنا محمداً وأصحابه ، فاستحال عمير بن وهب بفرس حول العسكر ، ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكن امهلونى حتى أنظر هل

لهم من كمين أو مدد ، فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم فقال : ما رأيت شيئاً ولكنى رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع[1] ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ! ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منا ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم ، فلما سمع بذلك حكيم بن حزام مشى فى الناس حتى أتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد ! أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ! فهل لك أن لا تزال تذكر بخير آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك ، قال : قد فعلت أنت على بذلك ، إنما هو حليفى فعلىّ عقله - يعنى عمرو بن الحضرمى - وما أصيب من ماله ، ولكن أنت ابن الحنظلية ، فإنى لا أخشى على الناس غيره - يعنى أبا جهل ، ثم قام عتبة فقال : يا معشر قريش ! إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه ، والله ! لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه الرجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بينه وبين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألقاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون ؛ فجاء حكيم بن حزام أبا جهل فوجده قد نثل درعاً له من جرابها وهو يهنئها فقال : يا أبا الحكم ! إن عتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، فقال أبو جهل : انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! ثم قال أبو جهل : اللهم ! اقطعنا الرحم وأتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة ! ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى فقال : هذا حليفك عتبة يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك ، والله ما ذلك بعتبة ولكنه قد عرف أن ابنه فيهم وأن محمداً وأصحابه إنما هم أكلة جزور وقد رأيتم ثأركم فقم فانشد مقتل أخيك ، فقام عامر بن الحضرمى ثم صرخ : واعمراه ! واعمراه ! فحميت الحرب وحمى

(١) يقال سم ناقع : بالغ وقاتل .

الناس واستوثقوا فأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة ، فلما بلغ عتبة قول أبى جهل قال : سيعلم المصفر إسته من انتفخ سحره ! ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتم على رأسه بعمامة له ، وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان رجلاً شرساً فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ! فلما خرج يريد الحوض خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قدميه بنصف ساقه وهو دون الحوض فخبا إلى الحوض فاقتحم فيه واتبعه حمزة بضربة أخرى فقتله فى الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، فلما دنا إلى الصف دعا إلى البراز ، فخرج إليه فتية ثلاثة من الأنصار : عوف ومعوذ ابنا الحارث – وأمهما عفراء – وابن رواحة ، فسألهم فقالوا : رهط من الأنصار ، فقال عتبة : أكفاء كرام ، ما لنا بكم حاجة ، إنما نريد قومنا ، ثم نادى مناديهم : يا محمد ! اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله ﷺ « قم يا حمزة بن عبد المطلب ! قم يا على بن أبى طالب ! قم يا عبيدة بن الحارث ! وكان أسن القوم فبارز عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز على بن أبى طالب الوليد بن عتبة » .

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، ولم يمهل علىّ الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلى على عتبة واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقال رسول الله ﷺ « لأصحابه أن لا تحملوا حتى آمركم ، وهو فى العريش مع أبى بكر ، ليس فى العريش معه غيره ، وهو يناشد الله ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، وأبو بكر يقول : يا رسول الله ! أقصر من مناشدتك الله ، فإن الله موفيك بما وعدك ، وشجع الله المسلمين على لقاء عدوهم وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا

فيهم ، وخفق رسول الله خفقة وهو فى العريش ثم انتبه ثم قال : ابشر يا أبا بكر ! هذا جبريل معتجر بعمامة يقول : أتاك نصر الله وعونه ، فبعث الله الملائكة مسومين ، فكان أبو أسيد مالك بن ربيعة شهد بدراً قال بعد أن ذهب بصره : لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ! لا أشك ولا أمترى ؛ ولم تقاتل الملائكة فى غزاة إلا ببدر ، وإنما كانت تنصر وتعين ، وكانت عليهم عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم .

ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصى بيده وخرج من العريش فاستقبل القوم وقال : شاهت الوجوه ! ثم نفخهم بها ثم قال : « والذى نفسى بيده ! لا يقاتلهم رجل اليوم فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » ! فقال عمير بن الحمام أحد بنى سلمة وفى يده تمرات : يا رسول الله ! أرأيت إن قاتلت حتى قتلت مقبلاً غير مدبر ما لى ؟ قال : لك الجنة ، فألقى التمرات من يده وتقدم فقاتل حتى قتل .

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : احملوا ، ومن لقى العباس منكم فليدعنه ، فإنه أخرج مستكرهاً ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألجمنه السيف ! فبلغ رسول الله ﷺ قوله فقال لعمر : « يا أبا حفص ! أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف » ؟ فقال عمر : دعنى أضرب عنقه يا رسول الله ! والله لقد نافق ! فكان أبو حذيفة بعد ذلك يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلت ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عنى الشهادة – فقتل يوم اليمامة شهيداً . وكان العباس قد أسلم بمكة ولكنه كان خاف قومه فيكتم إسلامه فحمل أصحاب رسول الله ﷺ على المشركين فلم يكن إلا الهزيمة ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم ، فلما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله ﷺ فى وجه سعد ابن معاذ الكراهة ، فقال له ﷺ : « والله يا سعد ! لكأنك تكره ما يصنع الناس» ! فقال : أجل يا رسول الله ﷺ ! قال : « كانت هذه أول وقعة أوقعها الله

بأهل الشرك ، فكان الإثخان فى القتل أعجب إلى من استبقاء الرجال ؛ وكان ذلك يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً ، منهم أربعة وسبعون رجلاً من قريش والمهاجرين ، وسائرهم من الأنصار ، والمشركون تسعمائة وخمسون مقاتلاً ، فقتل من المسلمين فى ذلك اليوم من قريش ستة أنفس : من بنى المطلب عبيدة بن الحارث بن المطلب، ومن بنى زهرة بن كلاب : عمير بن أبى وقاص أخو سعد و ذو الشمالين ابن عبد عمرو بن نضلة حليف لهم من خزاعة ، ومن بنى عدى بن كعب : عاقل بن البكير حليف لهم من بنى سعد بن ليث ومهجع مولى عمر، ومن بنى الحارث بن فهر : صفوان بن بيضاء .

وقتل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر . ومن بنى الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث وهو الذى يقال له ابن فسحم . ومن بنى سلمة : عمير بن الحمام . ومن بنى حبيب بن عبد الحارثة بن مالك بن غضب بن جشم : رافع بن المعلى . ومن بنى النجار : حارثة بن سراقة بن الحارث . ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : عوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء .

فجميع من استشهد من بنى قريش والأنصار أربعة عشر رجلاً .

وقتل على بن أبى طالب فى ذلك اليوم الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وقتل طعيمة بن عدى بن نوفل أخا طعمة ، فلما علاه بالسنة قال : والله ! لا تخلصنا فى الله بعد اليوم أبداً ؛ وشارك حمزة فى قتل عتبة بن ربيعة ، وقتل عامر بن عبد الله الأنمارى حليف بنى عبد شمس ، وقتل النضر بن الحارث بن كلدة أحد بنى عبد مناف ، وقتل العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، وقتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة .

فجميع من قتل من المشركين فى ذلك اليوم أربعة وسبعون رجلاً وأسر مثل

ذلك .

ثم أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس أبو جهل فسمع معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يطلبه جماعة من المشركين يقولون : أبا الحكم ! لا يصلون إليك ، فلما سمعها علم أنه أبو جهل ، جعله من شأنه وقصد نحوه ، فلما أمكن منه حمل عليه وضربه ضربة فقطع قدمه بنصف ساقه ، وكان عكرمة بن أبي جهل ابنه معه فحمل على معاذ ، فضربه ضربة على عاتقه طرح يده فتعلقت بجلدة من جنبه وترك أبا جهل ، وأجهضه القتال فقاتل عامة يومه وإنه يسحب يده خلفه بجلدة منه ، فلما آذته وضع عليها قدمه حتى طرحها ، وعاش بعدها بلا يد حتى كان زمن عثمان . ومر معوذ بن عفراء بأبي جهل وهو مطروح فضربه حتى أثر فيه وتركه وبه رمق .

ثم مر عبد الله بن مسعود فوجده بآخر رمق فعرفه فوضع رجله على عاتقه ثم قال : أخزاك الله يا عدو الله ! قال : وبماذا أخزاني هل إلا رجل قتلتموه ! أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقال ابن مسعود : لله ولرسوله ، ولما رآه أبو جهل قد وطي عنقه قال له : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً ! فاحتز عبدالله رأسه ثم جاء به فقال : يا رسول الله ! هذا رأس عدو الله أبي جهل ، فقال النبي ﷺ: « الله الذى لا إله غيره »؟ فقال ابن مسعود: نعم، والله الذى لا إله غيره ! فحمد الله رسول الله ﷺ على ذلك : وكان عبد الرحمن بن عوف صديقاً لأمية بن خلف بمكة : أرغبت عن اسم سماك أبوك؟ فيقول : نعم فيقول أمية: فإني لا أعرف الرحمن[1] ، فاجعل بيني و بينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول و أما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ، فقال له عبد الرحمن: قل ما شئت ، قال فأنت عبد الإله ، فكان يسميه بمكة عبد الإله ، فمر به عبد الرحمن بن عوف في المعركة و هو واقف ومعه ابنه ، و مع عبد الرحمن

(١)وكان اسمه عبد عمرو قبل الإسلام ، فتسمى حين أسلم عبد الرحمن – كذا في الكامل والسيرة ٧٠/٢

أدرع يحملها ، فلما رآه أمية بن خلف قال : عبد عمرو ! فلم يجبه عبد الرحمن ، قال : يا عبد الإله ! فقال : نعم ، فقال : أنا خير لك من هذه الأدرع التى معك ، فقال عبد الرحمن : نعم والله هو الله إذا فطرح عبد الرحمن الأدرع و أخذ بيده و يد ابنه ، فقال له أمية بن خلف : يا عبد الإله! من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل ، فبينما عبد الرحمن يقودهما إذ رآهما بلال فقال : رأس الكفر أمية بن خلف! لا نجوت إن نجا ! فقال عبد الرحمن : أتسمع يا ابن السوداء قال : لا نجوت إن نجا ! ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوت إن نجا ! فأحاط به المسلمون و عبد الرحمن يذب عنه ، فخالف رجل بالسيف فضرب رجل ابنه فوقع ، فقال عبد الرحمن : انج بنفسك ، فوالله ما أغنى عنك شيئا ! فعلاهم المسلمون بأسيافهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبد الرحمن يقول بعد ذلك : يرحم الله بلالاً ! اذهب أدرعي و فجعني بأسيرى. و أسر أبو اليسر كعب بن همرو العباس بن عبد المطلب وأوثقه، فبات رسول الله ﷺ تلك الليلة ساهراً ، فقيل له[1] فقال : سمعت حنين العباس فى وثافه ، فأطلق من وثاقه ، فقال المسلمون : يارسول الله ! عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه و هو أسير : لا يصلح ! فقال رسول الله ﷺ : (ولم ؟ قال : لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما و عدك) .

ثم قال النبى ﷺ للمسلمين : (ماتقولون فى هؤلاء الأسرى) ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله ! قومك و أهلك استبقهم و استأنهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، و قال عمر : كذبوك و أخرجوك قدمهم قدمهم فأضرب أعناقهم ! قال رسول الله ﷺ (إن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[2] ، و إن مثلك يا عمر مثل نوح قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[3] .

---

(١) وفى الكامل « فقال له أصحابه : يا رسول الله ! مالك لا تنام ؟ »

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٦

(٣) سورة نوح آية ٢٦

ثم نادى منادى رسول الله ﷺ : من أسر أم حكيم فليخل سبيلها فإن رسول الله ﷺ أمنها ، و كان أسرها رجل من الأنصار و كتفها بذؤابتها ، فلما سمع منادى رسول الله ﷺ .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالقليب فطرح فيه جيف المشركين ، ثم وقف عليهم فقال ! يا أهل القليب ! هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً فقال المسلمون : يا رسول الله ! تنادى قوماً قد ماتوا ؟ فقال رسول الله ﷺ : (لئن كنتم تسمعونها لقد سمعوها) . ثم قام رسول الله ﷺ يعرضهم ثلاثاً .

و بعث رسول الله ﷺ بالفتح إلى أهل المدينة ، فبعث عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، و زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ؛ فقدم زيد المدينة والناس يسوون على ابنة رسول الله ﷺ رقية التى كانت تحت عثمان ، فكان عثمان استأذن رسول الله ﷺ فى التخلف عن بدر ليقيم على امرأته رقية و هى عليلة ، فأذن له رسول الله ﷺ فى ذلك و ضرب له بسهمه وحده ، فلما فرغوا من دفنها أتاهم الخبر بفتح الله المسلمين ، فجاء أسامة بن زيد أباه ، وهو واقف بالمصلى قد غشيه الناس و هو يقول : قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وزمعة بن الأسود و العاص بن هشام ، فقال : يا أبتاه! أحق هذا ؟ فقال : نعم ، يا بنى! فقال المنافقون : ما هذا إلا أباطيل ، فلم يصدقوه ؟ حتى جىء بهم مصفرين مغللين .

و كان أول من قدم مكة من قريش بالخبر بمصابهم الحيسمان بن جابس ابن عبد الله المدلجى فقيل له ما وراءك ؟ فقال : قتل عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و أبو الحكم بن هشام و أمية بن خلف ؛ فقال صفوان بن أمية بن خلف : و الله إن يعقل هذا بما يقول فسلوه عنى ، فقال : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : ها هو ذلك جالس فى الحجر ! و قد و الله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مكة ، و كان أبو لهب قد

تخلف عن بدر و بعث مكانه العاص بن هشام ، فلما رأى أبو لهب بن الحارث مقبلاً قال : هلم يا ابن أخي فعندك الخبر فجلس إليه و الناس قيام عليهما ، فقال : يا ابن أخي ! كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء و الله ! إن هو إلا لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا حتى قتلونا كيف شاءوا و أسرونا كيف شاءوا ، وأيم الله مع ذلك مالمت الناس لأنا لقينا رجالاً بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض ، و الله لا يقوم له شيء فعاش أبو لهب بعد هذا الخبر سبعة أيام ورماه الله بالعدسة فمات فدفنوه بأعلى مكة ، و كانت قريش لا تبكي على قتلاها مخافة أن يبلغ رسول الله ﷺ و أصحابه فيشمتوا بهم .

و لما وقع بأيدي المسلمين ما وقع من المشركين اختلفوا فكانوا ثلاثاً : فقال الذين جمعوا المتاع : قد كان رسول الله ﷺ نفل كل امرىء ما أصاب[1] ، وقال الذين كانوا يطلبون العدو : و ا لله! لولا نحن ما أصبتموه ، و نحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ، و قال الحرس الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو : و الله! ما أنتم أحق به منا ، لو أردنا أن

(١) كذا ، وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٣ / ١٥٩ أقوالاً مختلفة في تفسير آية ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾ وفيه « أخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردوية والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا – أصحاب بدر – نزلت حين اختلفنا في النفل ، فساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه . رسول الله ﷺ بين المسلمين عن براء – يقول : عن سواء » . وبإسناده عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدر فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طائفة في آثارهم منهزمون يقتلون ، وأكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا ، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به ، فنزلت ﴿يسئلونك عن الأنفال ﴾ ... عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال النبي ﷺ : « من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا ، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات » ، وأما الشبان فتسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقالت المشيخة للشبان : أشركونا معكم فإنا كنا لكم رداً ، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا ، فاختصموا إلى النبي ﷺ ، فنزلت ﴿ يسئلونك عن الأنفال ﴾ .

نقبل العدو حين منحونا أكتافهم و أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد دونه فعلنا! و لكنا خفنا على رسول الله ﷺ كرة العدو فقمنا دونه ، فما أنتم بأحق به منا ! و ذلك أن النبى ﷺ قال لهم : من صنع كذا فله كذا ، فتنازعوا فى ذلك شباب الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات ، فلما كان القائمون جاؤا يطلبون الذى جعل لهم رسول الله ﷺ فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإنا كنا وراءكم و كنا تحت الرايات ، و لو أنا كشفنا لكشفتم إلينا ، فتنازعوا فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ﴾[1] إلى آخر السورة ، فانتزع الله ذلك من أيديهم و جعله إلى رسول الله ﷺ ، فولى رسول الله ﷺ الغنائم عبد الله بن كعب المازنى

ثم رحل رسول الله ﷺ من بدر بعد ثلاث يريد المدينة و حمل الأسارى معه ، فلما انحدر من بدر إذا بطلحة بن عبيد الله و سعيد بن زيد قد أقبلا من الحوران ، فضرب لهما النبى ﷺ بسهميهما و أجرهما ، فلما[2] بلغ النبى ﷺ الصفراء و بينهما و بين المدينة ثلاث ليال أمر بقتل النضر بن الحارث و كان أسيراً ، قتله على بن أبى طالب فلما بلغ عرق الظبية قتل عتبة بن أبى معيط فقال لرسول الله ﷺ : من للصبية يامحمد ، فقال النبى ﷺ : « النار » .

ثم قسم الغنائم بين الناس بالصفراء ، و بين الصفراء و بين بدر سبعة عشر ميلا ، قسمها على من حضر بدراً و أخذ سهمه مع المسلمين .

ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلى المدينة قبل الأسارى بيوم ثم قدم بالأسارى يوم الثانى ، فلما بلغوا الروحاء لقيهم المسلمون يهنؤونهم بفتح الله عليهم ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنئون به ! و الله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة ننحرها ! فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : (يا ابن أخى ! أولئك الملأ من قريش) .

---

(١) سورة الأنفال ، آية ١ .

(٢) فى الأصل « فما » خطأ ، وفى السيرة « حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء » .

ثم قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب : افد نفسك و بنى أخيك عقيل بن أبى طالب و نوفل بن الحارث ، و حليفك عتبة بن عمر أحد بنى الحارث بن فهر ، فإنك ذو مال يا رسول الله إنى كنت مسلما و لكن القوم استكرهونى ، فقال رسول الله ﷺ : (الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فكان علينا فافد نفسك و قد كان رسول الله ﷺ أخذ منه عشرين أوقية من ذهب ، فقال العباس : يا رسول الله ! فاحسبها من فدائى ، قال : لا ذلك شيء أعطانا الله منك فقال العباس : فإنه ليس لى مال ، فقال رسول الله ﷺ (فأين المال الذى وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل بنت الحارث فليس معكم أحد فقلت لها : إن أصبت فى سفرى فللفضل كذا و لقثم كذا و لعبد الله كذا) قال : فو الذى بعثك بالحق! ما علم بهذا أحد من الناس غيرى وغيرها، و إنى لأعلم أنك رسول الله.

ثم بعث قريش فى فك الأسارى جبير بن مطعم إلى رسول الله ﷺ فقتل النبى ﷺ من قتل منهم و فادى من فادى منهم ، و من لم يكن له مال من عليهم ، و فادى من كان من العرب فيهم بأربعين أوقية ، من كان منهم من الموالى بعشرين إوقية في غزوة بدرٍ ، ونزلت ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا ﴾[1] فقال النبى ﷺ لم تحل الغنائم لقوم سود الرءوس من قبلكم ، و ذلك أن الله جل و علا رأى ضعفكم فطيبها لكم ، وكانت الغنائم فيما قبل تنضد فتجيء النار فتأكلها.

ذكر عدد و تسمية من شهد بدراً مع رسول الله ﷺ

أخبرنا الحسن بن سفيان أنبأنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن سلمة[2] عن عاصم بن أبى النجود عن أبى صالح عن أبى هريرة قال

(١) سورة الأنفال آية : ٦٩ .

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، أبو سلمة . ثقه عابد أثبت الناس فى ثابت ، وتغير حفظه فى آخره من كبار الطبقة الثامنة ، مات سنة ١٦٧ هـ أخرج له : البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . انظر تقريب التهذيب ١ / ١٩٧ ترجمة ٥٤٢ .

: قال رسول الله ﷺ : إن الله أطلع على أهل بدر فقال : « **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »[1] .

قال شهد بدرا مع رسول الله ﷺ من المهاجرين و الأنصار ثلاثمائة و ثلاثة عشر نفسا عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر و إني ذاكر ما يحضرنى من أساميهم على قبائلهم ، لكيلا يبعد على سالك سبيل العلم الوقوف على أساميهم إن وفقه الله لذلك .

فنبدأ من ذلك من شهد منهم بدرا من قريش ، ثم من بنى هاشم و من بنى المطلب ابنى عبد مناف : حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف عم رسول الله ﷺ ، و على بن أبى طالب بن عبد المطلب ، و زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرىء القيس الكلبى ، و أنسة مولى رسول الله ﷺ و أبو كبشة مولى رسول الله ، و أبو مرثد كناز بن حصين ابن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خرشة بن سعد بن طريف بن جلان بن غنم ابن غنى بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، و ابنه مرثد بن أبى مرثد حليفا حمزة بن عبد المطلب و حصين بن الحارث بن المطلب ، و مسطح ابن أثاثة بن المطلب ، ومن بنى تيم بن مرة بن كعب : أبو بكر الصديق و اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة و بلال ابن رباح مولى أبى بكر ، و عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، و طلحة بن عبيد ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، لم يحضر بدرا ، كان النبى ﷺ بعثه لتجسس الخبر فوافاهم و قد فرغ النبى ﷺ من بدراً و ضرب له بسهمه .

و من بنى عدى كعب بن لؤى : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، و أخوه زيد بن الخطاب بن نفيل و مهجع مولى عمر بن الخطاب و هو أول قتيل قتل

(١) وقد أخرجة الترمذى فى جامعة ٢ / ٤٠٦ فى تفسير سورة الممتحنة .

بدر و عامر بن ربيعة ، ، وعمرو بن سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاة بن رباح ابن عدى بن كعب ، و أخوه عبد الله بن سراقة ، و واقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، و خولى بن أبى خولى ، و عاقل بن البكير و إياس بن البكير ، و خالد بن عبد البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد و إياس بن لبث ، و سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، لم يحضر بدراً ، كان مع طلحة ، بعثهما رسول الله ﷺ يتجسسان خير العير فوافيا ، و قد فرغ رسول الله ﷺ من بدر فضرب لهما بسهميهما و أجرهما .

و من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، تخلف بالمدينة عن رسول الله ﷺ على امرأته رقية ، و كانت عليلة ، أذن له رسول الله ﷺ فى ذلك ، وضرب له بسهمه و أجره ؛ و أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

و من حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، و عكاشة بن محصن بن حرثان ابن قيس بن مرة بن كبير بن غنم ، و شجاع بن وهب بن ربيعة ، و أخوه عقبة ابن وهب بن ربيعة ، و زيد بن رقيش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ، و أبو سنان أخو عكاشة بن محصن بن حرثان ، و ابنه سنان بن أبى سنان و محرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن أكثم بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم و مالك بن عمرو .

و من زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب ، و سعد بن أبى وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وعمير بن أبى وقاص بن أهيب أخو سعد .

و من حلفائهم المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد،ومسعود ابن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن الهون بن خزيمة من القارة وذو الشمالين بن عبد عمرو ابن نضلة بن غبشان بن سليم بن مالك بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن خزاعة ، وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل ، وخباب بن الأرت ، و صهيب[1] بن سنان بن عبد عمرو بن الطفيل بن عامر بن جندلة .

و من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ، و حاطب بن أبى بلتعة ، وسعد مولى حاطب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة، و خباب عتبة بن غزوان.

و من بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى ، و كان صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر قتل يوم أحد ، و سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى

و من بنى مخزوم بن يقظة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، و شماس بن عثمان بن الشريد بن هرمى بن عامر بن مخزوم ، و الأرقم بن أبى الأرقم واسم أبى الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، و عمار بن ياسر و معتب بن عامر بن الفضل بن عفيف .

---

(١) قال ابن هشام « وصهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو ، ويقال إنه رومى ، إنما كان أسيراً فى الروم فاشترى منهم ، وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ صهيب الروم » ، وفيه « قال ابن إسحاق صهيب ابن سنان من النمر بن قاسط » انظر الإصابة .

و من بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى : عثمان بن مظعون بن حبيب بن حذافة بن جمح ، و قدامة بن مظعون ، و عبد الله بن مظعون بن حبيب و معمر بن الحارث بن حبيب بن وهب .

و من بني سهم بن عمرو بن هصيص : خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم .

و من بني عامر بن لؤى : ابن غالب بن مالك بن حسل ، و عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي القيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، و عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو و سعد بن خولة حليف له .

و من بني الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجراح و اسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، و عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، و سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، و أخوه صفوان بن وهب و هما ابنا بيضاء أمهما ، و عمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب .

فجميع من شهد بدراً من المهاجرين و من ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من قريش ثلاثة و ثمانون رجلاً .

و ممن شهد بدراً من الأنصار ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، و عمرو بن النعمان بن امرىء القيس أخوه ، و الحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان ، و الحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس ، و سعد بن زيد بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ، وسلمة ابن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل ، و عباد بن بشر بن

وقش و سلمة بن ثابت بن وقش و رافع بن يزيد بن كرز بن السكن بن زعوراء ابن عبد الأشهل ، و الحارث بن خزمة بن عدى بن أبى غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الحارث بن الخزرج ، و محمد بن مسلمة بن خالد بن عدى بن مجدع بن حارثة بن الحارث حليف لهم ، و سلمة بن أسلم ابن حريش بن عدى بن مجدعة حليف لهم ، و أبو الهيثم بن التيهان اسمه مالك ، و عبيد بن التيهان حليف لهم ، و عبد الله بن سهل .

و من بنى سواد بن كعب : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ، و عبيد بن أوس بن مالك بن سواد .

و من بنى رزاح بن كعب : نصر بن الحارث ، و عبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد حليفان لهم .

و من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس مسعود بن سعد بن عامر بن عدى بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، و أبو عبس اسمه عبد الرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة ابن حارثة بن الحارث ، و أبو بردة بن نيار و اسمه هانىء حليف لهم .

و من بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح و أبو الأفلح قيس بن عصمة ابن مالك بن أمية بن ضبيعة ، و معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف ، و عمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف ، و سهل بن حنيف بن واهب ابن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو .

و من بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : مبشر بن عبد المنذر بن زنبر ، و سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية ، و عويم بن ساعدة بن قيس ، و رافع بن عنجدة ، و عبيد بن أبى عبيد ، و ثعلبة بن حاطب ، و قد قيل إن أبا لبابة بن عبد المنذر و الحارث بن حاطب

شهدا بدراً .

و من بنى عبيد بن زيد بن مالك : أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد و سالم مولى بنت يعار و هو الذى يقال له سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة ، و كانت بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة .

و من حلفائهم : معن بن عدى بن الجد بن عجلان ، و ربعى بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن عدى بن العجلان ، و قد قيل : إن عاصم بن عدى ابن الجد بن العجلان رده النبى ﷺ و ضرب له بسهمه .

و من بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جبير بن النعمان . وعاصم ابن قيس ، و أبو ضياح بن ثابت ، و سالم بن عمير ، و الحارث بن النعمان بن أبى خزمة ، و خوات بن جبير بن النعمان .

و من بنى جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : النذر بن محمد ابن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى ، و أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بيحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أنيف حليف له .

و من بنى غنم بن السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس بن حارثة : سعد بن خيثمة ، و المنذر بن قدامة ، و مالك بن قرامة ، و ابن عرفجة و تميم مولى بنى غنم بن سلم .

و من بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جابر بن عتيك ابن الحارث بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، و النعمان بن عصر حليف له من بلى ، و مالك بن نميلة حليف لهم .

و من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن ثعلبة ، و خارجة بن زيد بن أبى زهير بن مالك بن امرىء القيس ، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس .

و من بنى زيد بن مالك بن ثعلبة : بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك ، و سبيع بن قيس بن عيشة بن مالك ، و عبادة بن قيس ، وسماك بن سعد ، و عبد الله بن عبس ، و يزيد بن الحارث بن قيس و هو الذى يقال له ابن فسحم .

و من بنى جشم بن الحارث : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد ابن الحارث بن الخزرج الذى رأى النداء فى النوم ، و أخوه حريث بن زيد بن ثعلبة ، و خبيب بن إساف بن عِنَبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جشم ، وسفيان بن بشر .

و من بنى جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : زيد بن المرى بن قيس ابن عدى بن أمية بن جدارة ، و تميم بن يعار بن قيس بن عدى بن أمية بن جدارة ، و عبد الله بن عمير بن حارثة .

و من بنى الأبحر بن عوف : عبد الله بن الربيع بن قيس بن عمرو بن عمرو بن عباد بن الأبحر .

و من بنى عوف بن الخزرج : عبد الله بن أبى بن مالك بن الحارث بن عبيد ابن مالك ، و أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك .

و من بنى جزء بن عدى بن مالك بن سالم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ، و رفاعة بن عمرو بن زيد و عقبة بن وهب بن كلدة ، و عامر ابن سلمة بن عامر حليفان لهم ، و معبد بن عباد بن قشعر بن المقدم بن سالم ابن غنم و يكنى معبد أبا خَميصة ، و عامر بن البكير حليفة .

و من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : نوفل بن عبد الله ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم ، و مليل بن و برة ابن خالد بن العجلان بن زيد و عتبان بن مالك ، عمرو بن العجلان ، وعصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان .

و من بني قربوس بن غنم : أمية بن لوذان بن سالم بن ثابت بن هزال بن عمرو بن قربوس .

و من بني أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ، و أخوه أوس بن الصامت .

و من بني دعد بن فهر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد و هو من الذين يقال لهم القواقل[1] .

و من بني مرضخة بن غنم بن عوف : مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم .

و من بني لوذان بن غنم : الربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لوذان ، و ورقة بن إياس ، و عمرو بن إياس .

و من حلفائهم : المجذر بن زياد بن عمرو بن زمزمة بن عمر وبن عمارة وعباد الخشخاش بن عمرو بن زمزمة وعبد الله بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم ونحاب بن ثعلبة بن خزمة وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية حليف لهم .

و من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : أبو دجانة و اسمه سماك بن أوس ابن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة .

و من بني البدن : عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، و أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدن ، و مالك بن مسعود .

و من بني طريف بن الخزرج : عبدالله بن حق بن أوس بن وقش بن ثعلبة ابن طريف . و من حلفائه : كعب بن حمار بن ثعلبة بن خالد ، و بسبس بن عمرو ، و ضمرة ، و زياد .

و من بني جشم بن الخزرج : خراش بن الصمة بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، و تميم مولى خراش بن الصمة ، و عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ، و عمير

(١) جمع قوقل بمعنى أرتق (القاموس المحيط ٤ / ٣٩) .

ابن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ، و الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ، و معاذ بن عمرو بن الجموح ، و معوذ ابن عمرو بن الجموح، و خلاد بن عمرو بن الجموح ، و عقبة بن عامر بن نابيء بن زيد بن حرام ، و حبيب بن الأسود مولاهم و ثابت بن ثعلبة بن زيد ابن الحارث بن حرام وهو الذى يقال له الجذع، و عمير بن الحارث بن ثعلبة.

و من بنى عبيد بن عدى بن غنم : عبد الله بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء ، و بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء ، و سنان بن صيفى بن صخر بن خنساء ، و الطفيل بن النعمان بن خنساء ، و عبد الله بن حمير وخارجة بن حمير حليفان لهم من أ شجع .

و من بنى النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم : جابر بن عبد الله ابن رثاب بن النعمان بن سنان ، و عبد الله بن عبد مناف بن النعمان بن سنان، و خليدة ، بن قيس بن النعمان بن سنان .

و من بنى خناس : جبار بن صخر بن أمية بن خناس ، و يزيد بن النذر بن سرح بن خناس ، و عبد الله بن النعمان بن بلدمة بن خناس ، و الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة ، و سواد بن زريق بن ثعلبة ، و معبد بن قيس بن صخر ابن حرام ، و عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام .

و من بنى سواد بن غنم بن كعب : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو ابن سواد ، و قطبة بن عامر بن حديدة ، و يزيد بن عامر بن حديدة أبو المنذر ، و عنترة مولى سليم بن عمرو .

و من بنى عدى بن نابى بن عمرو بن سواد بن كعب : معاذ بن جبل بن عمرو بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد ابن ساردة بن تزيد بن جشم ، و عبس بن عامر بن عدى بن نابى ، و ثعلبة بن غنمة بن عدى ، و أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد ،

وعبد الله بن أنيس ، و عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب ، وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين بن كعب .

و من بنى زريق بن عامر بن زريق : سعد بن عثمان بن خلدة بن مخلد ، والحارث بن قيس بن خالد بن مخلد ، و جبير بن إياس بن خالد بن مخلد ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق ، و أسعد بن يزيد بن الفاكه ابن زيد بن خلدة بن عامر ، و الفاكه بن بشر بن الفاكه بن زيد بن خلدة ، وعائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، و أخوه معاذ بن ماعص ، و مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة .

و من بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعة بن رافع بن مالك ابن العجلان ، و أخوه خلاد بن رافع ، و عبيد بن زيد بن عامر بن العجلان .

و من بنى بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر ابن عدى بن أمية بن بياضة ، و فروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة ، ورخيلة بن ثعلبة بن عامر بن بياضة ، و خالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، و خليفة بن عدى بن عمرو ومالك بن عامر بن فهير بن بياضة .

و من بنى حبيب بن عبد حارثة : رافع بن المعلى بن لوذان بن حارثة بن عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة .

و من بنى النجار و هو تيم الله بنثعلبه بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب خالد ابن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم .

و من بنى عمرو بن عبد عوف : عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان ، و سراقة ابن كعب بن عبد العزى بن غزية ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة .

و من بنى عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك : حارثة بن النعمان بن رافع بن

زيد بن عبيد ، و سليم بن قيس بن قهد و اسم قهد خالد بن قيس بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة .

و من بنى عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك : سهيل بن رافع بن أبى عمرو ابن عائذ بن ثعلبة ، و عدى بن أبى الزغبا حليف لهم .

و من بنى زيد بن ثعلبة بن غنم : مسعود بن أوس بن زيد ، و أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة ، و رافع بن الحارث بن سواد بن زيد .

و من بنى سواد بن مالك بن غنم : عوف بن الحارث ، و معوذ بن الحارث، و معاذ بن الحارث ، و رفاعة بن الحارث بن سواد و أمهم عفراء ، و النعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد ، و عامر بن مخلد بن الحارث بن سواد ، و عبد الله بن قيس بن زيد بن سواد ، و قيس بن عمرو بن قيس ، و ثابت بن عمرو بن زيد ، و عصيمة ، و وديعة بن عمرو حليفان لهم .

و من بنى عامر بن مالك بن النجار ثم من بنى عمرو بن مبذول : ثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك ، و سهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو ابن عتيك ، و الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك كسر به بالروحاء فرجع فضرب له النبى ﷺ بسهمه .

و من بنى قيس بن عبيد بن زيد : أبى بن كعب بن قيس ين عبيد ، و أنس ابن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد .

و من بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار : أبو طلحة و اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى ، و أوس بن ثابت بن النذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ، و أبو شيخ بن ثابت بن النذر أخوه .

و من بنى عدى بن النجار ثم من عدى بن عامر بن غنم بن النجار : حارثة ابن سراقة بن الحارث بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر و عمرو بن ثعلبة ابن وهب بن عدى بن مالك بن عدى بن عامر ، و عمرو أبو خارجة بن قيس

ابن مالك بن عدى بن عامر و سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك ابن عدى ، و أبو سليط اسمه أسيرة ، و ثابت بن الخنساء بن عمرو بن مالك ابن عدى ، و عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى ، و سواد ابن غزية بن و هيب حليف لهم .

و من بنى حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار : أبو الأعور كعب بن الحارث بن ظالم بن عبس بن حرام بن جندب و قيس بن السكن بن قيس بن زعور بن حرام ، و سليم بن ملحان ، و حرام بن ملحان و اسم ملحان مالك بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب .

و من بنى مازن بن النجار ثم من بنى عوف بن مبذول : قيس بن أبى صعصعة و اسم أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، و عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف و عصيمة حليف لهم .

و من بنى ثعلبة بن مازن : قيس بن مخلد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن.

و من بنى مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار : النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل ، و الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود ، و سليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن حارثة أخوهما لأمهما ، و جابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة و سعد بن سهل بن عبد الأشهل .

ومن بنى قيس بن مالك : كعب بن زيد بن مالك بن كعب بن حارثة ، وبجير بن أبى بجير حليف لهم .

فجميع من شهد بدراً من المسلمين مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً ، ثلاثة و ثمانون رجلاً من المهاجرين و ستون رجلاً من الأوس ، و مائة وسبعون رجلاً من الخزرج .

ثم كان قتل عصماء ، و العصماء هذة بنت مروان من بنى أمية بن زيد ،

زوجها زيد بن الحصن الخطمى ، كانت تحرض على المسلمين و تؤذيهم وتقول الشعر ، فجعل عمير[١] بن عدى عليه نذراً لئن رد الله رسوله سالماً من بدر ليقتلنها ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة بعد فراغة من بدر عدا عمير بن عدى على عصماء فدخل عليها فى جوف الليل لخمس ليال بقين من رمضان فقتلها ، ثم لحق يانبى ﷺ ؛ فصف مع الناس و صلى معة الصبح و كان ﷺ يتصلخهم ، إذا قام يريد الدخول إلى منزله فقال لعمير بن عدى : أقتلت عصماء ؟ قال : يا رسول الله ! هل على فى قتلها شىء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا ينتطح فيها عنزان » .

و مات أبو قيس بن الأسلت فى آخر شهر رمضان .

ثم خطب النبى ﷺ قبل الفطر بيوم[٢] ، و أمرهم بزكاة الفطر قبل أن يغدوإلى المصلى ، ثم خرج[٣] رسول الله ﷺ إلى الفضاء و العنزة ركزت بين يديه وصلى إليها من غير أذان و لا إقامة ركعتين ، ثم خطب خطبتين بينهما جلسة و كانت العنزة[٤] للزبير بن العوام أعطاها إياه النجاشى ، فوهبها الزبير لرسول الله ﷺ .

---

(١) له ترجمة فى الإصابة ٥ / ٣٤ وفيه « عمير بن عدى بن خرشة ... وكان أبوه عدى شاعراً وأخوه الحارث بن عدى قتل بأحد وهو الأنصارى ثم الخطمى ، ذكره ابن السكن فى الصحابة وقال هو البصير الذى كان رسول الله ﷺ يزوره فى بنى واقف ويشهد بدراً لضرارته ، وقال ابن إسحاق كان أول من أسلم من بنى خطمة وهو الذى قتل عصماء بنت مروان .. »

(٢) فى الطبرى ٢ / ٢٦٦ « أمر الناس بإخراج زكاة الفطر وقيل إن النبى ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين وأمرهم بذلك » .

(٣) كذا ، وفى الطبرى « خرج إلى المصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خرجة خرجها بالناس إلى المصلى لصلاة العيد » .

(٤) كذا ، وفى الطبرى « فيما ذكر : حملت العنزة إلى المصلى فصلى إليها وكانت للزبير بن العوام كان النجاشى وهبها له فكانت بين يديه فى الأعياد وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذنين بالمدينة » .

ثم كانت غزوة بني قينقاع

في شوال ، و ذلك أن المسلمين لما قدموا المدينة و ادعتهم اليهود أن لا يعينوا عليهم أحداً ، فلما قفل رسول الله ﷺ من قتل بدر ورجع إلى المدينة أظهروا البغي و قالوا : لم يلق محمد أحداً من يحسن القتال ، لو لقينا للقى عندنا قتالاً لا يشبه قتالهم ، فأنزل الله ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ ﴾[1]

فصار رسول الله ﷺ إليهم ، يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، حتى أتاهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأمر بهم رسول الله ﷺ فكتفوا وأراد قتلهم ، فكلمه فيهم عبد الله بن أبى و أخذ بجمع[2] درع رسول الله ﷺ و قال : ما أنا بمرسلك: حتى تهبهم لى فقال النبى ﷺ : « خلوا عنهم» ثم أمر بإجلائهم . و غنم رسول الله ﷺ و المسلمون ما كان لهم من مال ، و كانوا صاغة لم يكن لهم الأرضوان و لا قراب ، فأخذ رسول الله ﷺ سلاحهم و آلة صياغة ، و ولى أكثر ذلك لرسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ، ثم أمر رسول الله ﷺ عبادة بن الصامت أن يجليهم و يخرجهم بذراريهم من الدنية ، فمضى بهم عبادة حتى بلغوا ذباب و أجلاهم . و هذه الغنيمة أول خمس خمسها رسول الله ﷺ فى الأسلام ، أخذ منهم صفيه وخمسه ، و قسم أربعة أخماساً على المسلمين .

---

(١) سورة الأنفال آية ٥٨ .

(٢) وفى الطبرى ٢ / ٢٩٧ « فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقال له عبد الله بن أبى ابن سلول حين أمكنه الله منهم : يا محمد أحسن فى موالى ، فأعرض عنه النبى ﷺ ، قال فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أرسلنى - وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا في وجهه ظلالاً - يعنى تلوّناً ، قال : « ويحك أرسلنى » ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع ، قد منعونى من الأسود والأحمر تحصدهم فى غداة واحدة وإنى والله لا آمن وأخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ « هم لك » .

ثم كانت غزوة السويق

في ذى القعدة . و ذلك أن أبا سفيان لما رجع من الشام بالعير و أفلت بها نذر أن النساء و الدهن عليه حرام حتى يطلب ثأره من محمد ﷺ و أصحابه ، فخرج في مائتى راكب حتى أتى بنى النضير و سلك النُّجدية ودق على حيى ابن أخطب بابه ، فأبى أن يفتح له ، و دق على سلام من مشكم ففتح له فقراه و سقاه خمراً و أخبره سلام بأخبار النبى ﷺ و أخبار المدينة .

فلما كان فى السحر خرج فمر بالعريض ، فإذا رجل معه أجير له معبد بن عمرو من المسلمين فقتلهم و حرق أبياتاً هناك و تبناً ورأى أن يمينه قد بر ؛ فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ فى أثره فى مائتى رجل من المهاجرين و الأنصار ، و استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأعجزهم أبو سفيان و كان هو و أصحابه عامة زادهم السويق ، فجعلوا يلقون السويق يتخفون بذلك ، فسميت هذه الغزوة (غزوة السويق) و رسول الله ﷺ فى أثرهم ، فلما أعجزهم و لم يلحقهم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

ومات أبو السائب عثمان بن مظعون فى ذى الحجة[1] . ثم ضحى رسول الله ﷺ فخرج بالناس إلى المصلى ، و هى أول ضحية ضحى رسول الله ﷺ ، ذبح كبشين أملحين أقرنين بيدة ، و وضع رجله على صفاحهما وسمى و كبر ، وضحى المسلمون معه . ثم بنى علىٌّ بفاطمة بنت رسول الله ﷺ فى ذى الحجة.

السنة الثالثة من الهجرة

أخبرنا أحمد بن على بن المثنى ثنا أبو يعلى بالموصل ثنا إسحاق بن إبراهيم ابن أبى إسرائيل ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول قال النبى ﷺ : « من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله و رسوله » ! فقال له

(١) زاد فى الطبرى : « فدفنه رسول الله ﷺ بالبقيع ، وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره » .

محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله أتأذن لى أقول شيئا ؟ قال : (بلى) ، فأتاه فقال إن هذا سألنا صدقة فى أموالنا ، قال أيضا : و الله قال فإنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه ، و إنى قد أتيك استسلفك ، قال : فارهنوا نسائكم ، قالوا : كيف نرهنك نساءنا ؟ و كنت أجمل العرب ، قال فارهنونى أبناءكم ، قالوا كيف نرهنك أبناءنا ؟ تسب الدهر و تعير ، فيقال: رهين بوسق أو وسقين ، و لكنا نرهنك اللامة أى السلاح ، فأتاه و معه أبو عبس بن جبر و الحارث بن أوس بن معاذ و عباد بن بشر و أبو نائلة ، فقال لهم محمد بن مسلمة : إنى ممس رأسه و ممسكه ، فإذا قلت اضربوا فأضربوا . فقال له محمد بن مسلمة : أتأذن رأسك ؟ فقال : نعم فمس و قال : ما أطيبك و ما أطيب ريحك ! قال : عندى فلانة و هى أعظم نساء العرب ، ثم قال له : أتأذن لى أن أشم رأسك ؟ قال : نعم فمس رأسه حتى استمكن منه ، قال لهم : اضربوه ، فضربوه حتى قتلوه ، فرجعوا إلى النبى ﷺ فأخبروه .

قال : خرج كعب بن الأشرف إلى مكة فقدمها و وضع رجله عند المطلب ابن أبى وداعة السهمى و جعل ينشد الأشعار و يحرض الناس على رسول الله ﷺ و يبكى على قتلى بدر من أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله و رسوله ! فقال محمد بن مسلمة : أنا إن تأذن أن أقول يريد كذباً فى الحرب فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج محمد بن مسلمة و معه أربعة نفر : أبو عبس بن جبر ، و عباد بن بشر بن وقش ، و أبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش ، و الحارث بن أوس بن معاذ بن أخى سعد بن معاذ ! فانتهوا إلى كعب بن الأشرف و هو فى أطم من آطام المدينة ،فقال له محمد بن مسلمة : إن محمداً يأخذ صدقة أموالنا و أراد المال منه ثم قال له : أتيتك أستسلفك فأرهن السلاح ، ثم جاء يغمر رأسه ، فلما استمكن منه ضربه و ضربوه حتى قتل ، و احتزوا رأسه و جاءوا به إلى النبى ﷺ .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة قرقرة الكدر ، حامل لواءه علي بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم رجع و لم يلق كيداً .

ثم زوج رسول الله ﷺ أم كلثوم ابنته الأخرى من عثمان بن عفان في أول شهر ربيع الأول .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بذى أمر في شهر ربيع الأول ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذا أمر عسكر به ذا من غطفان ، أصاب رسول الله ﷺ مطر فبل ثوبه ، ثم نزع ثيابه فعلقها على شجرة ليستجفها و نام تحتها ، فقال غطفان لدعثور بن الحارث و كان شجاعاً : تفرد محمد من أصحابه و أنت لا تجد أخلى منه الساعة ! فأخذ سيفاً صارماً ثم انحدر و رسول الله ﷺ مضطجع ينتظر جفوف ثيابه ، فلم يشعر إلا بدعثور بن الحارث واقف على رأسه بالسيف و هو يقول : من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : الله ! و دفعه جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف ، ثم قام على رأسه و قال : من يمنعك مني ؟ قال : لا أحد ، فقال له رسول الله ﷺ : (قم فاذهب لشأنك) فلما ولى قال : أنت خير نبي يا محمد ! قال رسول الله ﷺ : « أنا أحق بذلك منك » فلما سمعت الأعراب من غطفان برسول الله ﷺ لحقت بذى الجبال ، فلما أعجزوه رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

و ولد السائب بن يزيد ابن أخت نمر .

وغزا رسول الله ﷺ في شهر جمادى الأولى بحران معدن بناحية الفرع ، ثم رجع رسول الله ﷺ و لم يلق كيداً .

ثم كانت سرية الفردة

و ذلك أن قريشاً قالت : قد عور علينا محمد متجرنا و هو على طريقنا ، وإن أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا ؛ فقال أبو زمعة بن الأسود بن المطلب : أنا أدلكم على رجل يسلك بكم طريقاً ينكب عن محمد و أصحابه ، لو سلكها

مغمض العينين لا هتدى فقال صفوان بن أمية : من هو ؟ قال فرات بن حيان العجلى و كان دليلاً ، فاستأجره صفوان بن أمية و خرج بهم فى الشتاء و سلك بهم على ذات عرق ثم على غمرة ، فلما بلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث زيد ابن حارثة فى جمادى الأولى ، فاعترض العير فظفر بها ، و أفلت أعيان القوم وأسر فرات بن حيان العجلى، كان له مال كثير و أواقى من فضة ، فقسم رسول الله ﷺ الغنائم على من حضر الواقعة و أخذ الخمس عشرين ألفاً ، وأطلق رسول الله ﷺ فرات بن حيان فرجع إلى مكة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب ، قال عمر بن الخطاب : لما تأيمت حفصة[1] لقيت عثمان بن عفان فعرضتها عليه ، فقال : إن شئت زوجتك حفصة ، قال : سأنظر فى ذلك ، فمكث ليال ثم لقينى فقال: بدأ بى أن لا أتزوج يومى هذا ؛ قال عمر : فلقيت أبا بكر فقلت له : إن شئت زوجتك حفصة ! فصمت أبو بكر و لم يرجع إلى بشىء ، فكنت على أبى بكر أوجد منى على عثمان ، ثم مكثت ليال فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقينى أبو بكر فقال : لعلك وجدت فى نفسك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو بكر : لم يمنعنى أن أرجع إليك فيها بشىء إلا أن النبى ﷺ قد كان ذكرها فلم أكن أفشى سره ، و لو تركها قبلتها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة من بنى هلال التى يقال لها أم المساكين ، و دخل بها حيث تزوجها فى أول شهر رمضان ، و كانت قبله تحت الطفيل بن الحارث فطلقها ؛ ثم ولد الحسن بن على بن أبى طالب فى

(١) لها ترجمة فى الإصابة ٨ / ٥٠ وفيها « حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين هى أم المؤمنين .. وكانت قبل أن يتزوجها النبى ﷺ عند خنيس بن حذافة وكان ممن شهد بدراً ومات بالمدينة فانقضت عدتها فعرضها عمر على أبى بكر فسكت فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت النبى ﷺ فقال : ما أريد أن أتزوج اليوم ، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فقال: يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة ، فلقى أبو بكر عمر قال : لاتجد على فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم أكن أفشى سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها لتزوجتها ، وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بعد عائشة » .

النصف من شهر رمضان ، وعق عنه رسول الله ﷺ بكبشين و حلق رأسه ، وأمر أن يصدق بوزن شعره فضة على الأوقاص[1] من المساكين .

ثم كانت غزوة أحد

و ذلك أن أبا سفيان لما رجع بعيره إلى مكة قال عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى و عكرمة بن أبى جهل ورجال من قريش ممن أصيب آباؤهم و أبناؤهم و إخوانهم ببدر : يا معشر قريش ! إن محمد قد وتركم و قتل خياركم ، فأعينونا على حربه لعلنا أن ندرك منه بعض ما أصاب منا ! فاجتمعت قريش على المسير إلى رسول الله ﷺ بأحابيشها و من أطاعها من قبائل مكة و غيرها ، و خرجوا معهم بالظعن ، فخرج أبو سفيان بن حرب بهند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية ، و خرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، و خرج صفوان بن أمية ببرة ابنة مسعود بن عمرو و هى أم عبد الله بن صفوان ، و خرج عمرو بن العاص بريطة ابنة منبه بن الحجاج السهمى و هى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طلحة بن أبى طلحة بسلافة بنت سهيد أحد بنى عروة بن عوف مع نسوة غيرهن ، و دعا جبير بن مطعم غلامه و حشيا فقال : إن قتلت عم محمد حمزة بعمى طعيمة بن عدى فأنت عتيق . فخرجت قريش تريد رسول الله ﷺ حتى نزلوا بعين جبل ببطن السبخة على شفير الوادى مما يلى المدينة وهم ثلاثة آلاف رجل ، معهم من الخيل مائتا فرس ، و من الظعن خمسة عشر امرأة ؛ فقال رسول الله ﷺ لما سمع بهم : « إنى رأيت فيما يرى النائم فى ذباب سيفى ثلمة ، و رأيت بقرة نحرت ، و رأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة ؛ فتأولتها المدينة » . و كره رسول الله ﷺ الخروج إليهم ، فقال عبد الله بن أبى ابن سلول : يا رسول الله ﷺ ! لا تخرج إليهم ، فو الله ما خرجنا إلى عدو قط

---

(١) الأوقاص أى الزعانف ، وهى الطائفة من كل شيء ، يقال: أتانا أوقاص من بنى فلان – انظر تاج العروس (وقص) .

إلا أصـاب منا ، و ما دخلها علينا إلا أصبناه . فقـال رجل من المسلمين ممن كان فاتهم بدر : يا رسول الله ، لا يرون أنا جبنا عنهم أو ضعفنا ، فقال عبد الله ابن أبى : يا رسول الله ! أقسم فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس ، و إن دخلوا علينا قاتلهم الرجال فى وجوههم و رماهم النساء و الصبيان بالحجارة من فوقهم . فلم يزل برسول الله ﷺ فلبس لامته ثم خرج عليهم ، و قد ندم الناس و قالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ و لم يكن لنا ذلك ، ثم قالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، إن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسول الله ﷺ (ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل) ! فخرج رسول الله ﷺ فى شـوال يوم السبت فى ألف رجل ، و استخلف على المدينة ابن أم مكتـوم ، وصلى المغرب بالشيـخين فى طرف المدينة و قد قيل : بالشـوط . ثم عرض المقاتلة فأجاز من أجاز ورد من رد ، فكان فيمن رد زيد بن ثابت و عبد الله بن عمر و أسيد بن ظهير و البراء بن عازب و عرابة بن أوس الحارثى و أبو سعيد الخدرى . و أجاز سمرة بن جندب ، و أما رافع بن خديج فإن رسول الله ﷺ استصغرة ، فقام على خفين و تطاول على أطرافه ، فلما رآه رسول الله ﷺ أجازه . و كان دليل النبى ﷺ أبو حثمة الحارثى . فقال عبد الله بن أبى لمن معه : أطاعهم رسول الله ﷺ و عصانى ، و الله ما ندرى على ما نقتل أنفسنا معه ، أيها الناس ارجعوا ! فعزل من العسكر ثلاثمائة رجل ممن تبعه و رجع بهم المدينة .

و مضى رسول الله ﷺ فى سبعمائة رجل و سلك حرة بنى حارثة ثم نزل حتى مضى بالشعب من أحد فى عدوة الوادى و جعل ظهره إلى أحد ، و قال : (لا يقاتلن أحد حتى آمره) .

ثم أمر رسول الله ﷺ على الرماة عبد الله بن جبير أحد بنى عمرو بن عوف ، و هم خمسون رجلاً ، و قال : « انضح عنا الخيل لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت علينا أو لنا فاثبت مكانك ، لا نؤتين من قبلك » ! ثم ظاهر رسول الله

ﷺ في درعين ، و أعطى اللواء على بن أبى طالب[1] ، و قال من يأخذ منى هذا السيف بحقه ؟ قال أبو دجانة سماك بن خرشة وماحقه يارسول الله قال تضرب به العدو حتى ينحنى ، فقال : يا رسول الله ! أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه و كان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، و كان إذا أعلم بعصابة له حمراء و يعصب بها رأسه ، فإذا رأوا ذلك علموا أنه سيقاتل ؛ فأخذ السيف من رسول الله ﷺ و أخرج عصابة فعصب بها رأسه ثم أخذ يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : (إنها لمشية يبغضها الله إلا فى هذا الموطن) . و تعبأت قريش ، و جعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ؛ و قال أبو سفيان بن حرب لأصحابه : إنكم قد و ليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا مالت مالو فإما أن تكفونا لواءنا و إما أن تخلوا بيننا و بينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوة و قالوا: نحن نسلم إليك ستعلم كيف نصنع ! و جاءت هند بنت عتبة و النسوة اللواتى معها يحرضنهم على القتال و تقول فيما تقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق

أو تدبروا نفارق فراق غير دامق

و أول من خرج من المشركين أبو عامر بن أمية فى الأحابيش و قال : يا معشر الأوس ! أنا أبو عامر ! قالوا : فلا أنعم الله بك عينا ، ثم راضخ المسلمين بالحجارة و قاتلهم قتالاً شديداً ، و قاتل أبو دجانة فى رجال من المسلمين حتى حميت الحرب و أنزل الله النصر و كشفهم المسلمون عن معسكرهم ، و كانت الهزيمة عليهم ، فلم يكن بين أخذ المسلمين هندا و صواحبها إلا شيء يسير ، و قتل على بن أبي طالب طلحة و هو حامل لواء قريش ، و أبا الحكم بن الأخنس بن شريق ، و عبيد الله بن جبير بن أبي زهير ، و أمية بن أبي حذيفة ابن المغيرة . و أخذ اللواء بعد طلحة أبو سعد فرماه سعد بن أبي وقاص فقتله ، وبقي اللواء صريعا لا يأخذه أحد ، فتقدم رجل من المشركين يقال له صؤاب

(١) فى الطبرى ٣ / ١٤ : أعطى رسول الله ﷺ اللواء رجلاً من قريش يقال له مصعب بن عمير ؟ .

فأخذ اللواء و أقامه لقريش ، فكر المسلمون عليه حتى قطعوا يديه ثم قتل ، وصرع اللواء .

فلما رأى الرماة الذين خلف رسول الله ﷺ أن المشركين قد انهزموا و تركوا مصافهم يريدون النهب و خلوا ظهور المسلمين للخيل ، و أتاهم المشركون من خلفهم و صرخ صارخ : ألا ! أن محمداً قد قتل ! فانكشف المسلمون فصاروا بين قتيل و جريح و منهزم حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ و أصيب رباعيته ، فجعل يمسح الدم عن وجهه و يقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم » .

ثم قام زياد بن السكن فى خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً حتى قتلوا ، و كان آخرهم زياد بن السكن فأثبتته الجراحة ، وجاء المسلمون فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « ادنوه منى » ! فوسده قدمه حتى مات فى حجره ، و ترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه . فكانت النبل تقع فى ظهره و هو ينحنى عليه حتى كثرت فيه النبل . و قاتل مصعب ابن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، أصابه ابن قميئة الليثى و هو يظن أنه رسول الله ﷺ .

ثم رجع إلى قريش و قال : قتلت محمداً ! و التقى حنظلة بن أبى عامر وأبو سفيان فاستعلى حنظلة أبا سفيان بالسيف ابن شعوب أن أبا سفيان قد علاه حنظلة بالسيف ضربه فقتله ، فقال رسول الله « إن صاحبكم لتغسله الملائكه»[1] و خرج حمزة بن عبد المطلب فمر به سباع بن عبد العزى الخزاعى وكان يكنى أبا نيار ، فقال : هلم يا ابن مقطعة البظور فالتقيا فضربه حمزة فقتل ، ثم جعل يرتجز و معه سفيان إذ عثر دابته فسقط على قفاه و انكشف الدرع عن بطنه ، فانتزع و حشى[2] حربته فهزها ورماها فبقر بها بدنه ثم أخذ

(١) ولهذا سمى حنظله بن أبى عامر بغسيل الملائكة

(٢) هو غلام جبير بن مطعم – كما فى الطبرى .

حربته وتنحاه .

و قد انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب و طلحة ابن عبيد الله و رجال من المهاجرين و الأنصار قد أسقطوا ما في أيديهم و ألقوا بأيديهم فقال[١] ما يجلسكم ؟ قالوا قتل رسول الله ﷺ ؛ قال : فما تصنعون بالحياة بعده ! قوموا فموتوا على ما مات عليه ! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، و وجد فيه سبعون ضربة بالسيف و الرمح .

و كان أول من عرف رسول الله ﷺ حيث كانت الهزيمة كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بصوتي : يا معشر المسلمين ! أبشروا فهذا رسول الله ﷺ ! فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا إليه ، فيهم : أبو بكر و عمر و علي و طلحة و الزبير و سعد و الحارث بن الصمة ، فكان رسول الله ﷺ يناول النبل سعداً و يقول : « ارم فداك أبي و أمي » .

ثم أدرك رسول الله ﷺ أبي بن خلف و هو يقول : يا محمد لا نجوتُ إن نجوت : فقال القوم : يا رسول الله ! أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : « دعوه » ! فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربه من الحارث بن الصمة ثم انتفض بها انتفاضة ثم استقبله و طعنه بها فمال عن فرسه ، و قد كان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : إن عندى العود أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك إن شاء الله » . فرجع أبي بن خلف إلى المشركين و قد خدشته حربه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير ، فقال : قتلني و الله محمد ، فقالوا : ذهب و الله فؤادك و الله إن بك من بأس ، فقال : إنه قد كان يقول بمكة : إني أقتلك ، و الله ! لو بصق عليّ لقتلني ، فمات بسرف و هم قافلون إلى مكة .

فانتهى رسول الله ﷺ بمن معه من أصحابه إلى الشعب[٢]، ومر علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس ، و جاء بها إلى رسول الله ﷺ ، فأراد رسول

(١) بفتح السين وكسر الراء موضع على ستة أميال من مكة – انظر معجم البلدان ٥ / ٧١ .

(٢) الشعب : الطريق الضيق بين جبلين (ج) شعاب .

الله ﷺ شربه فوجد له ريحاً فعافه فلم يشرب منه ، و غسل عن و جهه الدم و صب على رأسه و قال : « اشتد غضب الله على من دمّى وجه رسول الله ﷺ . ثم نهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة ليعلوها ، فلما ذهب لينهض لم يستطيع ذلك ، فجلس طلحة تحته فنهض رسول الله ﷺ حتى استوى على الصخرة ، ثم قال : « أوجب طلحة الجنة » !

و كانت هند و اللاتى معها جعلن يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان و الآناف حتى اتخذت هند قلائد من آذان المسلمين و آنفهم و بقرت عن كبد حمزة فلاكته فلم تستصغه فلفظته ، ثم علت صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها بشعر لها طويل أكره ذكره . فقتل من المسلمين سبعون رجلاً فى ذلك اليوم ، منهم أربعة من المهاجرين . و كان المسلمون قتلوا اليمان[1] أبا حذيفة و هم لا يعرفونه ، فأمرهم رسول الله أن يخرجوا ديته. وقتل من المشركين ثلاثة و عشرون رجلاً .

ثم أن أبا سفيان أراد الانصراف فصرخ بأعلى صوته : الحرب سجال أعلُ هُبَل يوم بيوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ ثم ناحية : « الله أعلى و أجل لا سواء ! قتلانا فى الجنة و قتلاكم فى النار » . فقال أبو سفيان : يا عمر أنشدكم الله أقتلنا محمداً ؟ فقال : اللهم لا و إنه ليسمع كلامك . فقال أنت أصدق عندى من ابن قميئة ، و لكن موعدكم بدر ، فقال رسول الله ﷺ : « هو بيننا وبينكم»[2]

(١) وفى الطبرى ٣ / ٢٥ « لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد وقع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة ابن اليمان وثابت بن وقش بن زعوراء فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبالك ما تنتظر ؟ فوالله إن بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ ، حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ ! فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر بن اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه وصدقوا . قال حذيفة الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده رسول الله ﷺ خيراً » .

(٢) فى الطبرى ٣ / ٢٤ « فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه قل : « نعم هى بيننا وبينك موعد » .

رحل أبو سفيان بالمشركين ، فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أخرج فى آثار القوم ، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، و إن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، و الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم فخرج فى آثارهم فرآهم قد اجتنبوا الخيل و امتطوا الإبل و وجهوا إلى مكة ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره .

و فرغ الناس لقتلاهم ، و خرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده و مثل به ، فوقف عليه و قال : « لو لا أن تحزن صفية أن تكون سنة بعدى ما غيبته و لتركته حتى فى بطون السباع و الطير ، ولئن أظهرنى الله عليهم لأمثلن »[1] فأنزل الله ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا ﴾[2] ، ثم أمر رسول الله ﷺ فسجى ببرده .

ثم قال ﷺ : (من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ، أفى الأحياء هو أم فى الأموات) ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ﷺ ! فنظره فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق فقال له : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر فى الأحياء أنت أم فى الأموات ، فقال أنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول ؛ جزاك الله عنا خير ما جزى نبى عن أمته ، وأبلغ قومك السلام ، و قل لهم إن سعد يقول لكم إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم و فيكم عين تطرف ثم مات ؛ فجاء إلى رسول الله ﷺ وأخبره .

و احتمل الناس قتلاهم ، فأمر رسوله الله ﷺ أن يدفنوهم حيث صرعوا بدمائهم و أن لا يغسلوا و لا يصلى عليهم ، فكان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد فى ثوب واحد ، و يقول : « أيهم أكثر أخذاً للقرآن » ؟ فإذا أشير إليه

---

(١) زيد فى الطبرى « بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فعل بعمه قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط »

(٢) سورة النحل آية ١٢٦ .

بأحدهما قدمه فى اللحد ، و قال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة . قال : انظروا عمرو بن الجموح و عبد الله بن عمرو فإنهما كان منتصافين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد .

ثم قال ﷺ : « إن الله جعل أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها ، و تأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم و مأكلهم و سقياهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع ربنا بنا » فأنزل الله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾(1) . و كان ابن عمير لم يترك إلا بردة واحدة ، فكانوا إذا غطوا رأسه بدت رجلاه ، و إذا غطوا رجليه بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : « غطوا رأسه و اجعلوا على رجليه شيئاً من الإذخر » .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة بمن معه من المسلمين ، فمر بدار من دور الأنصار فسمع البكاء على قتلاهم ، فقال : « لكن حمزة لا بواكى له ! فلما سمع سعد بن معاذ و أسيد بن حضير أمرا نساء عبد الأشهل أن يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن قال : « اجعل » .

ثم ناول على بن أبى طالب سيفه فاطمة و قال : اغسلى عن هذا دمه ، فو الله ! لقد صدقنى اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سهل بن حنيف و أبو دجانة .

فلما كان ثانى يوم أحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج فى طلب القوم ، فخرج رسول الله ﷺ و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، و قال : « لا يخرج معنا إلا من حضر يومنا بالأمس ، و كان أكثر أصحاب رسول الله ﷺ جرحى . فمر على رسول الله ﷺ معبد بن أبى الخزاعى و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة فقال : و الله يا محمد ! لقد عز علينا ما أصابك و لوددنا أن الله كان أعفاك منهم . ثم خرج فلحق أبا سفيان بالروحاء

---

(1) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

ومن معه من قريش و قد أزمعوا الرجوع إلى رسول الله ﷺ و قالوا : رجعنا قبل أن نصطلم أصحاب محمد ، نرجع فنكر على بقيتهم ؛ فلما رأى أبو سفيان معبداً مقبلاً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه فى طلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً ؛ قال : ويلك ما تقول ! و الله لقد أجمعنا الكرة على أصحابه لنصطلمهم . قال فأنى والله أنهاك عن ذلك بهم عليكم من الجد بشىء ما رأيته بقوم على قوم قط ، فساءه ذلك .

و مر بأبى سفيان ركبة من عبد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : و لم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فاخبروا محمداً أنا قد أجمعنا الكرة عليه و على أصحابه لنصطلمهم .

ثم رحل أبو سفيان راحلاً إلى مكة ، و مر الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بما قال أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ و المسلمون : حسبنا الله و نعم الوكيل! فأنزل الله جل و علا فى ذلك ﴿ الذين استجابوا الله و الرسول ﴾ إلى قوله ﴿ و الله ذو فضل عظيم ﴾(١) لما صرف عنهم من لقاء عدوهم ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾(٢) الآية فأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد ثلاثاً، ثم انصرف إلى المدينة .

السنة الرابعة من الهجرة

أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصارى قال أنا أحمد بن أبى بكر الزهرى عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال : دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً ، يدعو على رعل وذكوان و عصية ، قال أنس : فأنزل الله فى الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً حتى نسخ « بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه » .

قال فى أول هذه السنة كانت غزوة بئر معونة ، و ذلك أن أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة قدم المدينة فأهدى لرسول الله ﷺ فرسين وراحلتين فقال

(١) سورة النساء آية ١٧٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٧٥ .

رسول الله ﷺ « لا أقبل هدية مشرك فعرض رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلم وقال : يا محمد ! لو بعثت معى رجالاً من أصحابك إلى نجد رجوت أن يستجيبوا لك ؛ فقال رسول لله ﷺ « إنى أخاف عليهم من أهل نجد » فقال أبو براء : أنا لجار فابعثهم فليدعوا الناس إلى ما أمرك الله به فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الساعدى فى أربعين راكبا ، و قد قيل فى سبعين رجلاً من الأنصار ، حتى نزلوا ببئر معونة وهى بئر أرض بنى عامر و حرة بنى سليم ، ثم بعثوا حرام بن ملحان من بنى النجار بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلما أتاه فلم ينظرنى به حتى عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا بما دعاهم إليه و قالوا : لن نخفر أبا براء إنه قد عقد لهم عقداً . فاستصرخ عليهم قبائل من سليم : رعلاً و ذكوان و عصية ، فأجابوا إلى ذلك، فخرج حتى غشى القوم فى رحالهم فأحاطوا بهم ، فلما رآهم المسلمون أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد ، فإنهم تركوه وبه رمق .

و كان فى المسلمين عامر بن فهيرة طعنه جبار بن سلمى الكلابى[1] بالرمح، ثم طلب فى القتلى فلم يوجد جثته ، فمن ذلك قيل : رفع عامر بن فهيرة إلى السماء .

و كان فى سرحهم ابن أمية و رجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف[2] فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : إن لهذا الطير لشأناً ! فأقبلا لينظر فإذا القوم فى دمائهم و إذا الخيل التى أصابتهم واقفة، فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ماذا : ترى ؟ قال أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب عن موطن قتل فيه هؤلاء ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . و رجع عمرو بن أمية حتى قدم رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فدعا النبى ﷺ على رعل و ذكوان و عصية ثلاثين صباحاً ، فأنزل الله فيهم « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا و رضينا عنه »

(١) هو عمرو بن أمية ، انظر الطبرى ٣ / ٣٤ والمغازى ١ / ٣٤٨ .

(٢) اسمه الحارث بن الصمة – كما فى المغازى .

ثم كانت غزوة الرجيع في صفر

أميرها مرثد بن أبى مرثد ، فيها قتل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح و خالد ابن البكير و أسر خبيب بن عدى و زيد بن الدثنة ، و خرجوا بهما إلى مكة وباعوهما .

ثم كانت غزوة بني النضير

و كان السبب فى ذلك أن عمرو بن أمية لما انفلت من رعل و ذكوان

وعصية وجاء إلى رسول الله ﷺ و أخبره بقتل أصحاب بئر معونة لقيه فى الطريق رجلان من بنى عامر ، و قد كان معهم عهد من رسول الله ﷺ و جوار لا يعلم عمرو بذلك ، فلما نزلا سألهما عمرو : من أنتما ؟ قالا : رجلان من بنى عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب ثأره من بنى عامر بما أصابوا من أصحاب بئر معونة : فلما أخبر رسول الله ﷺ قال: «بئس ما عملت قد كان لهما منى جوار» . و كتب عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ إنك قد قتلت رجلين لهما منك جوار فابعث بديتها، فأنطلق رسول الله ﷺ إلى قباء ثم إلى بنى النضير ليستعين فى ديتها و معه نفر من المهاجرين ، فجلس رسول الله ﷺ إلى مجلسهم فاستند إلى جدار هناك فكلمهم، فقالوا : أنى لك أن تزورنا ، يا أبا القاسم ! نفعل ما أحببت ، فأقم عندنا حتى تتغدى وتآمروا ، بينهم ، فقال عمرو بن جحاش بن عمرو بن كعب: يا معشر بنى النضير ! و الله لا تجدونه أقرب منه الساعة ! أرقى على ظهر هذا البيت فأدلى عليه صخرة فأقتله بها ، فنهاهم سلام بن مشكم فعصوه . وصعد عمرو بن جحاش ليدحرج الصخرة ، و أخبر الله جلا و علا رسوله فقام كأنه يريد حاجة، و انتظر أصحابه من المسلمين فأبطأ عليهم ، و جعلت اليهود تقول : ما حبس أبا القاسم ! فلما أبطأ على المسلمين انصرفوا ، فقال كنانة بن صوريا: جاءه والله الخبر الذى هممتم به ! فلقى أصحاب النبى ﷺ رجلاً مقبلاً من المدينة فقالوا : أرأيت رسول الله ﷺ ؟ فقال رأيته داخلاً المدينة ، فانتهوا إليه

وهو جالس فى المسجد فقالوا : يا رسول الله ! انتظرناك فمضيت و تركتنا ، فقال : «همت اليهود بقتلى ، ادعوا لى محمد بن مسلمة » فأتى بمحمد ، فقال : «اذهب إلى اليهود فقل لهم : اخرجوا من المدينة ، لا تساكنوننى و هممتم بما هممتم من الغدر .

فجاءهم محمد بن مسلمة فقال لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تظعنوا من بلاده فقالوا : يا محمد ! ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ، فقال محمد بن مسلمة : تغيرت القلوب و محا الإسلام العهود ، فقالوا : نتحمل ؛ فأرسل إليهم عبد الله بن أبى : لا تخرجوا فإن معى ألفى رجل من العرب يدخلون معكم ، و قريظة تدخل معكم.. فبلغ الخبر كعب بن أسد صاحب عهد بنى قريظة ، فقال ، لا ينقض العهد رجل من بنى قريظة و أنا حى .

فأرسل حيى بن أخطب إلى رسول الله ﷺ و كان من سادات بنى النضير : إنا لا نفارق ديارنا فاصنع ما بدا لك ! فكبر رسول الله ﷺ و المسلمون و قال : حاربت يهود

ثم زحف إليهم رسول الله ﷺ يحمل لواءه على بن أبى طالب ، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، حتى أتاهم فحاصرهم خمسة عشر يوماً ، و قطع نخلهم و حرقها ، و كان الذى حرق نخلهم و قطعها عبد الله و عبد الرحمن ابن كعب أبو ليلى الحرانى من أهل بدر ، فقطع أبو ليلى العجوة ، و قطع ابن سلام اللون ، فقال رسول الله ﷺ : « لم قطعتم العجوة » ؟ قال أبو ليلى : يا رسول الله ! كانت العجوة أحرق لهم و أغيظ ، فنزل ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا ﴾(١) ، فاللينة ألوان من النخل ، و القائمة على أصولها العجوة ، فنادوا: يا محمد ! قد كنت تنهى عن الفساد و تعيبه على من صنعه فما لك وقطع النخل و تحريقها .

ثم تربصت اليهود نصرة عبد الله بن أبى إياهم ، فلما لم يجىء و قذف الله

(١) سورة الحشر آية ٥ .

في قلوبهم الرعب صالحوا رسول الله ﷺ على أن يحقن لهم دماءهم و له الأموال ، و يتجلون من ديارهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم . فاحتملوا ما استقلت به الإبل ، حتى أن كان الرجل منهم يهدم بيته فيضع بابه على ظهر بعيره فينطلق به ، و خرجوا إلى خيبر و ذلك قوله ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾(١) .

و لم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير بن كعب ، و أبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما ، فأحرزاها ؛ فقسم رسول الله ﷺ غنائمهم على المهاجرين ، فأنزل الله سورة الحشر إلى آخرها .

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم بعث رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد إلى ماء لبني أسد فقتل عروة بن مسعود الأنصاري و غنم نعماً وشاء ، ورجع إلى المدينة .

و مات عبد الله بن عثمان بن عفان و هو ابن ست سنين ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، و نزل في حفرته عثمان بن عفان . ثم ولد الحسين بن علي ابن أبي طالب لليالي خلون من شعبان .

ثم كانت بدر الموعد

و ذلك أن أبا سفيان لما انصرف من أحد قال لرسول الله ﷺ : موعدك بدر الموسم ، و كان بدر موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كل سنة ثمانية أيام ، فلما قرب الميعاد جهز رسول الله ﷺ لغزوة الموعد .

و كان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر و قدم على قريش فقالوا : يا نعيم من أين وجهك ؟ قال : من يثرب ، قالوا : هل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : نعم تركته على هيئة الخروج ليغزوكم و ذلك قبل أن يسلم نعيم ، فقال له أبو سفيان : يانعيم ! إن هذا عام جدب و لا يصلحنا إلا عام غيداق ترعى فيه الإبل

(١) سورة الحشر آية ٢ .

الشجر و نشرب اللبن ، و قد جاء أوان موعد محمد. فالحق بالمدينة فثبطهم وأخبرهم أننا في جمع كثير و لا طاقة لهم بنا حتى يأتى الخلف منهم ، و لك عشر فرائض أضعها لك على يد سهيل بن عمرو ! فجاء نعيم سهيلاً فقال : يا أبا يزيد ! تضمن لى هذه الفرائض و انطلق إلى محمد فأثبطه ؟ فقال : نعم .

فخرج نعيم حتى أتى المدينة ، فوجد الناس يتجهزون فجلس لهم و يقول : هذا ليس برأيى قدموا عليكم فى عقر دوركم و أصابوكم فتخرجون إليهم ، ليس هذا برأيى ، ألم يجرح محمد بنفسه ! ألم يقتل عامة أصحابه ! فثبط الناس عن الخروج حتى بلغ رسول الله ﷺ ، قال : « و الذى نفسى بيده ! لو لم يخرج معى أحد خرجت وحدى » .

ثم خرج رسول الله ﷺ و المسلمون فى شهر رمضان ، و استخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، و مع المسلمين تجارات كثيرة ، حتى وافوا بدر الموعد فأصابوا بها سوقاً عظيما ، و ربحوا لدرهم درهماً ، و لم يلقوا عدواً ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة بنت أبى أمية فى شوال ، و دخل بها فى ذلك الشهر ، و كانت قبله تحت أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى .

ثم رجم رسول الله ﷺ يهودياً ويهودية تحاكما إليه و كانا محصنين .

وأمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود و قال : إنى لا آمن أن يبدلوا كتابى ! فتعلم زيد بن ثابت ذلك فى خمسة عشر يوماً .

ثم كانت سرية الخزرج إلى سلام بن أبي الحقيق

و ذلك أنه كان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : و الله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ فى الإسلام قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا

مثلها ، و إذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك ، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : من رجل في العداوة لرسول الله ﷺ ككعب ابن الأشرف[1] فذكروا اسلام بن أبي الحقيق بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم و نهاهم عن قتل النساء و الولدان . فخرج عبد الله بن أنيس ومسعود بن سنان و أبو قتادة بن ربعي بن بلدمة بن سلمة و خزاعي بن أسود حليف لهم من اسلم ، حتى قدموا خيبر فدخلوا على سلام بن أبي الحقيق داره ليلاً ، و لم يبق في الدار بيت إلا أغلقوه ، ثم صعدوا في درجة إلى عليه له فضربوا عليه ، فخرجت امرأته و قالت : من أنتم ؟ قالوا نفر من العرب أردنا الميرة ، فقالت : هو ذاك في البيت ، فدخلوا عليه و غلّقوا الباب عليهم ، فما دلهم عليه إلا بياضه في ظلمة البيت و كان أبيض و كأنه قبطي ، فابتدروه بأسيافهم ، و تحامل عليه عبد الله بن أنيس فوضع سيفه في بطنه ، و هتفت امرأته ، و خرجوا . و كان عبد الله بن عتيك أمير القوم و كان في بصره شيء، فسقط من الدرجة فوثئت يده و ثأ شديداً .

فلما قدموا على رسول الله ﷺ و أخبروه ، و اختلفوا في قتله و ادعى كل واحد منهم أنه قتله فقال رسول الله ﷺ : هاتوا سيوفكم ، فأعطوه ، فنظر فقال: سيف عبد الله بن أنيس هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

السنة الخامسة من الهجرة

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عون الدماتي ثنا عمار بن الحسن الهمداني ثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنت رجلاً مجوسياً من أهل حي من أهل أصبهان ، و كان أبي دهقان قريته ، وكنت أحب الخلق إليه فما زال به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما

(١) في السيرة « قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، قال : فتذاكر وأمن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف » .

تحبس الجارية ، و كنت قد اجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لا يتركها تخبو ساعة ، و كانت لأبى ضيعة فيها بعض العمل ، بنى أبى بنياناً له فى داره فدعانى فقال : أى بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها فاطلعها ، و أمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : و لا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى كنت أهم عندى مما أنا فيه ، فخرجت فمررت بكنيسة النصارى و هم يصلون فيها ، فسمع أصواتهم و دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فو الله ! ما زلت قاعداً عندهم وأعجبنى دينهم و ما رأيت من صلاتهم ، و أخذ بقلبى فأحببتهم حباً لم أحبه شيئاً قط ، و كنت لا أخرج قبل ذلك و لا أدرى ما أمر الناس ، فقلت فى نفسى : هذا و الله خير من ديننا، فو الله ما برحت حتى غربت الشمس ، و تركت حاجة أبى التى أرسلنى إليها وما رجعت إليه، ثم بعث فى الطلب يلتمس لى ، فلم يجد حيث أرسلنى ، فبعث فبغونى بكل مكان حتى جئته عشياً ، و قد قلت للنصارى حين رأيت ما أعجبنى من هيئتهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ؛ فلما أتيت أبى فقال : أى بنى أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك أن لا تحتبس على ؟ فقلت بلى ، و إنى مررت على كنيسة النصارى فأعجبنى ما رأيت من أمرهم و حسن صلاتهم ، و رأيت دينهم خيراً ، قال كلا يا بنى ! إن ذلك الدين لا خير فيه ، دينك و دين آبائك خير منه ، فقلت : كلا و الله إنه لخير من ديننا ! قال فخافنى أن أذهب من عنده فكلبنى ثم حبسنى ، فأرسلت إلى النصارى وأخبرتهم أنى قد رضيت أمرهم ، و قلت : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم أذهب معهم .

فقدم عليهم ركب من الشام فأخبرونى بهم فأرسلوا إلى ، فأرسلت إليهم إذا أرادوا الرجعة فأخبرونى ، فلما أرادوا الخروج جئتهم فانطلقت معهم ، فلما قدمت الشام سألت عن عالمهم ، فقالوا : صاحب الكنيسة أسقفهم ، فدخلت عليه فأخبرته خبرى و قلت له : إنى أحب أن أكون معك فى كنيستك أخدمك و أصلى معك و أتعلم منك ، فإنى قد رغبت فى دينك ، قال : أقم ! فمكثت

معه فى الكنيسة أتفقه فى النصرانية ، و كان رجل سوء فاجر فى دينه ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه الأموال اكثرها لنعسه وكنت أبغضه لما أرى من فجوره وقد جمع سبع قلال دنانير ودراهم ثم إنه مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم تعلمون أن صاحبكم هذا رجل سوء كان يأمركم بالصدقة فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا :وما علامة ذلك ؟ قلت : أدلكم على كنزه ؟ قالوا : أنت و ذاك ، فدللتهم عليه ، فأخرجوا قلالاً مملوءة ذهباً و ورقاً قال : فلما رأوها قالوا : و الله لا نغيبه أبداً ! فصلبوه على خشبة و رجموه بالحجارة و جاءوا برجل فجعلوا مكانه ، قال: فيقول سلمان يا ابن أخى ! ما رأيت رجلاً لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه زهادة فى الدنيا و لا أرغب فى الآخرة و لا أدأب ليلاً و لا نهاراً منه اجتهاداً فى العبادة ، قال سلمان : فأقمت معه و أحببته حباً ما علمت أنى أحببت شيئاً كان قبله ، فكنت معه أخدمه و أصلى معه فى الكنيسة حتى حضرته الوفاة ، قلت : يا فلان ! إنى قد كنت معك و ما أحببت حبك شيئاً قط فإلى من توصى بى ؟ و من ذا الذى تأمرنى ، متبع أمرك و مصدق حديثك؟ قال : أى بنى ! ما أعظم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بالموصل يقال له فلان ، فإنى و إنه كنا على أمر واحد في الرأى و الدين ، و هو رجل صالح ، و ستجد عنده بعض ما كنت ترى منى ، فأما الناس قد بدلوا و هلكوا . فلما توفى لحقت بصاحب الموصل فأخبرته خبرى ، فقال : أقم فكنت فى كنيسته فوجدته كما قال صاحبى رجلاً صالحاً ، فكنت معه ما شاء الله فلما حضرته الوفاة قلت : يا فلان ! إن فلاناً أوصانى إليك حين حضرته الوفاة، و قد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بى ؟ و إلى من تأمرنى ؟ قال : أى بنى ! ما أعلم أحداً على أمرنا إلا رجلاً بنصيبين يقال له فلان فالحق به . فلما توفى لحقت بصاحب نصيبين و أخبرته خبرى ، و أقمت عنده فوجدته على مثل ما كان عليه صاحباه ، فمكثت معه ما شاء الله ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلاناً أوصانى إلى صاحب الموصل ثم أوصانى صاحب الموصل إليك ، فإلى من توصى بى بعدك ؟ قال أى بنى ! ما أعلم أحداً على

مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية فى أرض الروم ، فإنك واجد عنده بعض ما تريد ، فإن استطعت أن تلحق به فالحق به . فلما توفى لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبرى ، فقال أقم ، فأقمت عنده فوجدته على مثل ما كان عليه أصحابه و أثاب لى شيئاً حتى اتخذت بقرات و غنيمة ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : إن فلاناً أوصانى إلى فلان صاحب الموصل ، ثم أوصانى صاحب الموصل إلى فلان صاحب نصيبينثم أوصانى نصيبين إليك ، فإلى من توصى بى؟ قال يا بنى! ما أعلمه ما أصبح فى هذه الأرض أحد على ما كنا عليه لكنك قد أظلك خروج نبى يخرج بأرض العرب ، يبعث بدين إبراهيم الحنفية ، يكون منها مهاجره و قراره إلى أرض يكون بها النخل بين حرتين نعتها بكذا وكذا ، بظهره خاتم النبوة بين كتفيه ، إذا رأيته عرفته ، يأكل الهدية و لا يأكل الصدقة ، ثم مات . فمر بى ركب من كلب فسألتهم من هم ؟ فقالوا : من العرب ، سألتهم عن بلادهم ، فأخبرونى عنها ، فقلت لهم : أعطيكم بقرى وغنمى هذا على أن تحملونى حتى تقدموا أرضكم ، قالوا : نعم ، فأعطيتهم إياها و حملونى معهم ، حتى إذا جاءوابى وادى القرى ظلمونى فباعونى برجل من اليهود . فأقمت و رأيت بها النخل ورجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ، حتى قدم رجل من يهودبنى قريظة فابتاعنى من ذلك اليهودى ؟

ثم خرج بى حتى قدم المدينة ، فوالله ! ما هو إلا أن رآيتها فعرفتها بصفة صاحبى و أيقنت أنه البلد فمكثت بها أعمل له فى ماله فى بنى قريظة حتى بعث محمد و خفى علىّ أمره و أنا فى رقى مشغول ، حتى قدم المدينة مهاجراً فنزل فى قباء فى بنى عمرو بن عوف وإنى لفى رأس نخلة أعمل لصاحبى فيها و صاحبى تحتى جالس إذ أقبل ابن عم له من اليهود فقال : يا فلان ! قاتل الله بنى قيلة إنهم آنفاً لمجتمعون يقبلون على رجل بقباء قدم من مكة يزعمون أنه نبى ؛ فوالله ما هو إلا أن قالها له أخذتنى رعدة من النخلة، حتى ظننت أنى سقطت على صاحبى ، فنزلت سريعاً فقلت : أى سيدى ! ما الذى تقول ؟

فغضب مما رأى فيّ و رفع يده فضربني بها ضربة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا أقبل على عملك ، قلت : لا شيء ، سمعت منك شيئاً فأردت أن أعلمه، فسكت عنه ثم أقبلت على عملي . فلما جمعت ما عندي حتى أتيت رسول الله ﷺ و هو بقباء ، فدخلت عليه و معه نفر من أصحابه ، فقلت : بلغني أنك رجل صالح و أن معك أصحاباً لك أهل حاجة و غربة ، و قد كان عندي شيء و ضعته للصدقة من طعام يسير فجئتكم به و هو ذا فقربت إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا، و امسك يده و أبى أن يأكل فقلت في نفسي : هذه واحدة من صفة فلان ، ثم رجعت ؛ فتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فجمعت شيئاً ثم جئته فسلمت عليه فقلت : هذا شيء كان لي وأحببت أن أكرمك و هو هدية أهديها لك كرامة ليست بصدقة ، فإني رأيتك لا تأكل الصدقة فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فأكلوا و أكل معهم ؛ فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، ثم رجعت فمكثت شيئاً ثم جئته و هو ببقيع الغرقد ، مشى مع جنازة و حوله أصحابه ، و عليه شملتان مرتدياً بواحدة و متزراً بالأخرى ، فسلمت عليه ، ثم تحولت حتى قمت وراءه لأنظر في ظهره ، فعرف رسول الله ﷺ إني إنما أريد أن أنظر و أثبته ، فقال بردائه فألقاه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصفه لي صاحبي ، فأكببت على رسول الله ﷺ أقبل موضع الخاتم من ظهره و أبكي ، فقال : « تحول عني » فتحولت عنه فجلست بين يديه و قصصت عليه قصتي وشأني وحديثي ، فأعجب رسول الله ﷺ وأحب أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم مكثت مملوكاً حتى مضى شأن بدر و شأن أحد ، و شغلني الرق فلم أشهد مجامع النبي ﷺ . ثم قال لي رسول الله ﷺ «كاتب نفسك » ، فسألت صاحبي الكتابة ، فلم أزل حتى كاتبني على أن أفي له ثلاثمائة نخلة و أربعين أوقية ورق وتلك أربعة آلاف؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «أعينوا أخاكم بالنخل» ، فأعانني الرجل بقدر ما عنده ، منهم من يعطيني العشرين والثلاثين والعشرة والخمس والست والسبع والثمان والأربع والثلاث حتى جمعتها ، فقال لي رسول الله ﷺ :

« اذهب فإذا أردت أن تضعها فأتني حتى أكون أنا أضعها لك بيدى ، فقمت في تفقيرها و أعانني أصحابه حتى فرغنا من شربها ، و جاء أصحابى كل رجل بما أعانني من النخل فوضعته ، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فخرج فجعلنا نحمل إليه النخل فيضعها بيده ، فما مات منها ودية ؛ و بقيت الدراهم ثم قال رسول الله ﷺ « ياسلمان ! إذا سمعت بشيء قد جاءنى فأتنى أغنيك بمثل ما بقى من مكاتبتك ، فبينا رسول الله ﷺ ذات يوم فى أصحابه إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابها فى بعض المغازى ، فقال رسول الله ﷺ : خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » قال قلت و أين تقع هذه مما على من المال ؟ قال : إن الله سيؤديها عنك فو الذى نفسى بيده ! لقد وزنت لهم أربعين أوقية حقهم جميعاً . و عتق سلمان و غزا مع رسول الله ﷺ الخندق وما كان بعده من المغازى . قال فى أول هذه السنة كان فك سلمان من الرق وأداؤه بما كوتب عليه .

ثم كانت غزوة ذات الرقاع في المحرم[1]

خرج رسول الله ﷺ و استخلف على المدينة عثمان[2] بن عفان يريد بنى محارب و بنى ثعلبة من غطفان ، حتى نزل نخلا ، فلقى بها غطفان فتقارب الناس و لم يكن بينهم حرب إلا أن الناس قد خاف بعضهم من بعض حتى صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ، و أنما سميت هذه الغزوة ذات الرقاع لأن الخيل كان فيها سواد و بياض فسميت الغزوة بتلك الخيل[3] .

(١) فى سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٤ « فى سنة أربع » ، وذكره الطبرى أيضاً فى حوادث السنة الرابعة ، انظر ٣ / ٣٩ ، وفيه « وأما الواقدى فإنه زعم أن غزوة رسول الله ﷺ ذات الرقاع كانت فى المحرم سنة خمس من الهجرة » .

(٢) وفى سيرة ابن هشام « قال ابن إسحاق : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام » .

(٣) وفى الطبرى ٣ / ٣٩ « وإنما سميت ذات الرقاع لأن الجبل الذى سميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة فسميت الغزوة بالجبل » وفى السيرة ٢ / ١٣٤ « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » انظر معجم البلدان ٤ / ٢٦٨ .

ثم انصرف رسول الله ﷺ فوالمسلمون فبينا جابر إذ أبطأ عليه جمله فقال لحقه رسول الله ﷺ قال : « يا جابر » ! قال : نعم ، قال : ما شأنك » ؟ قال: أبطأ على جملى ، فحجنه رسول الله ﷺ بمحجنه و قال «اركب » فقال جابر : و لقد رأيتنى أكفه عن رسول الله ﷺ ، فقال : « يا جابر تزوجت » ؟ قلت : نعم ، قال : « بكراً أم ثيباً ؟ قلت : بل ثيباً ، قال «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك » ؟ قلت إن لى أخوات فأحببت أن أتزوج بمن يجمعهن و يمشطهن و تقوم عليهن ، قال : « أما ! إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس » ! ثم قال « أتبيع جملك » ! فقلت : نعم فاشتراه منه بأوقية، ثم قدم المدينة ، ﷺ قال جابر : فوجدته عند باب المسجد فقال : « الآن قدمت»؟ قلت : نعم ، قال : «فدع جملك و ادخل المسجد فصل ركعتين ». فدخلت فصليت ركعتين ، ثم أمر بلالاً أن يزن لى أوقية ، فوزن لى فأرجح فى الميزان ، فانطلقت حتى إذا وليت فقال : « ادعوا لى جابراً » ، قلت الآن يرد على الجمل ، وليس شيء أبغض إلى منه ، قال : « خـذ جملك و لك ثمنه»[1] .

(١) رويت هذه القصة فى سيرة هشام بما نصه « قال ابن إسحاق وحدثنى وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لى ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ قال : جعلت الرفاق تمضى وجعلت أتخلف حتى أدركنى رسول الله ﷺ فقال : « مالك يا جابر » ؟ قال قلت : يا رسول الله ! أبطأ بى جملى هذا ، قال : « أنخه » ، قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطنى هذه العصا من يدك – أو اقطع لى عصا من شجرة » ، قال: ففعلت ، قال : فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت فخرج والذى بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة ، قال : وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لى : « أتبيعنى جملك هذا يا جابر » ؟ قال قلت : يا رسول الله ! بل أهبه لك ، قال : « لا ولكن بعنيه » ، قال قلت : فثمنيه يا رسول الله ! قال : « قد أخذته بدرهم » ، قال قلت : لا ، إذن تغبننى يا رسول الله ! قال : « بدرهمين » ؟ قال قلت : لا ، قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله ﷺ فى ثمنه حتى بلغ الأوقية ، قال فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قلت : فهو لك ، قال : « قد أخذته » ؛ قال ثم قال : يا جابر ! هل تزوجت بعد » ؟ قال قلت : نعم يا رسول الله ! قال : « أثيباً أم بكراً » ؟ قال قلت : بل ثيباً ، قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك » ؟ قال قلت : يا رسول الله إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن ، قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت وأ قمنا عليها يومنا ذاك وسمعت بنا فنفضت نمارقها » ، قال قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ، قال : « إنها ستكون ! فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً » ، قال : فلما جئنا صراراً أمر =

ثم كانت غزوة دومة الجندل(١)

و ذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ، فغزاهم رسول الله ﷺ حتى بلغ دومة الجندل فلم ير كيداً ، و استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ، ثم رجع إلى المدينة .

و توفيت أم سعد بن عبادة و سعد مع رسول الله ﷺ بدومة الجندل ، فلما رجع جاء رسول الله ﷺ قبرها و صلى عليها ، فقال سعد : يا رسول الله ﷺ ! إن أمى أفتلتت نفسها و لم توصى أفأقضى عنها ؟ قال : « نعم » .

و كسف القمر فى جمادى الآخرة ، فجعلت اليهود يرمونه بالشهب ويضربون بالطاس و يقولون : سحر القمر ، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف.

و بلغ رسول الله ﷺ أن قريشاً أصابتهم شدة حتى أكلوا الرمة ، فبعث رسول الله ﷺ بشىء من الذهب إليهم مع عمرو بن أمية و سلمة بن أسلم بن حريش.

ثم قدم رسول الله ﷺ و فد من مزينة ، و هو أول وفد قدم عليه فى رجب وفيهم بلال بن الحارث المزنى فى رجال من المزينة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : «أنتم مهاجرون أينما كنتم » فرجعوا إلى بلادهم .

ثم قدم بعدهم ضمام(٢) بن ثعلبة ، بعثه بنو سعد بن بكر فقال : يا محمد !

= رسول الله دخل ودخلنا ، قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لى رسول الله ﷺ ، قالت : فدونك سمع وطاعة ، قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، قال : ثم جلست فى المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال : « ماهذا » ؟ قالوا : يا رسول الله ! هذا جمل جاء به جابر ، قال : « فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ، قال فقال : « يا ابن أخى ! خذ برأس جملك فهو لك » ، ودعا بلالاً فقال له : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » ، قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية وزادنى شيئاً يسيراً ، قال : فوالله مازال ينمى عندى ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصب لنا - يعنى يوم الحرة » .

(١) فى سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٧ « غزوة دومة الجندل فى شهر ربيع الأول سنة خمس » .

(٢) ترجمة فى الإصابة ٣ / ٢٧١ وقال « ضمام بن ثعلبة السعدى من بنى سعد بن بكر ، وقع ذكره فى حديث أنس فى الصحيحين ، قال : بينما نحن عند النبى ﷺ إذا جاء أعرابى فقال : أيكم ابن عبد المطلب

أتانا رسولك فزعم أن الله أرسلك ، قال : « صدق » ، قال : فمن خلق السماء؟ قال ، « الله » ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : « الله » ، قال فمن نصب هذه الجبال ؟ قال : « الله » ، قال : فمن جعل فيها هذه المنافع ؟ قال: « الله » ؛ آلله تعالى أرسلك ؟ قال : « نعم » ، قال : فبالذى خلق السماوات والأرض و نصب الجبال و جعل فيها هذه المنافع هو الله الذى أرسلك ؟ قال : «نعم» ؛ قال : و زعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا و ليلتنا ، قال : « صدق » ، قال : فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » ؛ قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا ، قال « صدق » ، قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فو الله الذى بالحق ! لا أزيدن عليهن و لا أنقص منهن شيئاً ، فلما قفا قال النبى ﷺ « لئن صدق ليدخلن الجنة » ! فأسلم ضمام و رجع إلى قومه بالإسلام .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة المريسيع

فى شعبان ، قصد بنى المصطلق من خزاعة على ماء لهم قريب من الفرع ، فقتل منهم رجالهم و سباهم ، و كان فيمن سبى جويرية بنت[١] الحارث بن أبى ضرار . تزوجها رسول الله ﷺ ، و جعل صداقها أربعين أسيراً من قومها .

فى هذه الغزوة سقط عقد عائشة ، فأقام رسول الله ﷺ بالناس على التماسه و ليسوا على ماء و ليس معهم ماء ، فنزلت آية التيمم ، فقال أسيد[٢] بن حضير

= الحديث . وفيه أنه أسلم وقال : أنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة . وكان عمر بن الخطاب يقول : مارأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة . وروى أبو داود من طريق ابن إسحاق عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال : بعث بنوسعد ضمام بن ثعلبة إلى النبى ﷺ – فذكره مطولاً .. وزعم الواقدى أن قدومه كان فى سنة خمس » .

(١)لها ترجمة فى الإصابة ٨ / ٤٣ وفيه غزا النبى ﷺ بنى المصطلق غزوة المريسيع فى سنة خمس أو ست وسباهم وقعت جويرية وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقى فى سهم ثابت بن قيس .. فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لايراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها » .

(٢)له ترجمة فى الإصابة ١ / ٤٨ وفيه « أسيد بن الحضير بن سماك ، الأنصارى ، وكان ممن ثبت يوم أحد وجرح يومئذ سبع جراحات ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « نعم الرجل أسيد بن حضير » .

: ما هى بأول بركتكم يا آل أبي بكر ! فبعثوا العير التى كانت عليه ، فوجدوا العقد تحته .

و بعث رسول الله ﷺ أبا نملة الطائى بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة الخندق

و كان من شأنها أن النبى ﷺ لما أجلى بنى النضير خرج نفر من اليهود فيهم حيى بن أخطب النضرى و هوذة بن قيس الوائلى و كنانة بن الربيع النضرى فى نفر من بنى النضير و بنى وائل وحزبوا الأحزاب حتى قدموا على قريش مكة و دعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ و قالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله و من معه ، فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود ! إنكم أهل الكتاب و العلم أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم ، و أنتم أولى بالحق منه ؛ فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ و أجمعوا لذلك واعتدوا له ، ثم خرجوا حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، و أخبروهم أن قريشاً قد تابعوهم على ذلك و أجمعوا معهم على ذلك .

و خرجت قريش

و قائدها أبو سفيان بن حرب ، و خرجت ، غطفان و قائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، و كان قائد أشجع مسعود بن رخيلة .

فلما سمع رسول الله ﷺ بأمرهم استشار المسلمين ، فأشار عليه سلمان بضرب الخندق على المدينة ، و هى أول غزوة غزاها سلمان مع رسول الله ﷺ فخندق على المدينة فيما بين المذاد إلى ناحية راتج .

و أقبلت قريش

حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة فى عشرة آلاف رجل من أحابيشهم

ومن تابعهم من أهل كنانة و أهل تهامة ، و أقبلت غطفان حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد .

و خرج رسول الله ﷺ و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم و ذلك فى شهر شوال حتى جعل سلعاً وراء ظهره و الخندق بينه و بين القوم ، و هو فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، و خرج حيى بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد صاحب بني قريظة ، فلم يزل يفتله[1] حتى بايعه على ذلك .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير يستخبرون خبر كعب بن أسد أهم على وفاء أم لا ، فمضوا إليه فسألوه ، فقال : لا عهد بيننا وبين محمد ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه .

فأقام رسول الله ﷺ بحذاء المشركين بضعاً وعشرين ليلة . ثم قال النبى ﷺ : « من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال النبى ﷺ : « إن لكل نبى حوارياً ، وإن حوارىّ الزبير . ولم يكن بينهم حرب إلا الرمى بالنبل ، غير أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبى قيس أخو بنى عامر وعكرمة ابن أبى جهل المخزومى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى وضرار بن الخطاب بن

---

(١) من الطبرى والسيرة والعبارة فيهما كما يلى « وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناداه حيى : ياكعب ! افتح لى ، قال : ويحك ياحيى ، إنك امرؤ مشؤوم ، إنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ، قال : ويحك ! افتح لى أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا على جشيشتك أن آكل معك منها ، فاحفظ الرجل ، ففتح له فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاقدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه ، فقال له كعب بن أسد : جئتنى والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شىء ، ويحك ! فدعنى ومحمداً وما أنا عليه ، فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ » .

مرداس المحاربى ، قد تهيأوا للقتال وتلبسوا وخرجوا على خيلهم ومروا بمنازل كنانة ، ثم أقبلوا حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ! ثم أتوا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم ، فاقتحمت منه وجالت في السبخة بين الخندق وسلع . فلما رآهم المسلمون خرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الموضع الذى منه اقتحموا وأقبلت الفوارس تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبدود فارس قريش وقد كان قاتل يوم بدر ولم يشهد أحداً ، فخرج عام الخندق معلماً ليرى مشهده ، فلما وقف هو وخيله قال على بن أبى طالب : يا عمرو ! إنى أدعوك إلى البراز ، قال : ولم يا ابن أخى ؟ فوالله : ما أحب أن أقتلك ! قال على : لكنى والله أحب أن أقتلك ! فحمى عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسه وعقره ثم أقبل إلى على ، فتنازلا وتجاولا إلى أن قتله على وخرجت خيله منهزمة من الخندق .

وحبس رسول الله ﷺ عن الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وذلك بعد أن كفوا ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾[1] .

ولم يقتل من المسلمين غير ستة نفر : كعب بن زيد الدنبانى[2] ، ورمى سعد ابن معاذ بسهم فقطع أكحله ، وعبد الله بن سهل ، وأنس بن أوس بن عتيك، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، وثعلبة بن غنمة ، وقتل من المشركين جماعة .

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى أتى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ! إنى أسلمت وإن قومى لا يعلمون بإسلامى فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا ، فإن الحرب خدعة » ، فخرج

(١) سورة الأحزاب آية ٢٥ .

(٢) كذا ، ولعله الأنصارى » ، وفى الإصابة ٥ / ٣٠٣ « كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب ابن حارثة بن دينار بن النجار الأنصارى ... » .

نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديماً فى الجاهلية فقال : يا معشر قريظة ! إنكم قد عرفتم ودّى لكم وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، قال : فإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وإنهم ليسوا كهيئتكم ، البلد بلدكم لا تقدرون على أن تتحولوا عنه ، وإن قريشاً وغطفان إن وجدوا فرصة أشهروها ، وإن كان غير ذلك هربوا وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم على أن يقاتلوا مع القوم حتى تناجزوه ، فقالوا : قد أشرت برأى ونصح . ثم خرج نعيم حتى أتى قريشاً وأبا سفيان فقال : يا معشر قريش ! إنكم قد عرفتم ودى لكم ، قد رأيت أن حقاً علىّ أن أبلغكموه وأنصح لكم فاكتموه علىّ ، قالوا : نفعل ، قال : إن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم، فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون رهناً فلا تدفعوا إليهم .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ! إنكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى ، قالوا : صدقت ، قال : فاكتموا علىّ ، قالوا : نفعل ، فقال لهم مثل ما قال لقريش فى شأن بنى قريظة وحذرهم مثل الذى حذرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان عكرمة بن أبى جهل فى نفر معه من رؤوس غطفان إلى بنى قريظة فقالوا : لسنا بدار مقام ، قد هلك الكراع والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ بيننا وبينه ، فأرسلوا أن غداً السبت وهو يوم لا نعمل فيه ، ولسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من أشرافكم يكونون عندنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى الحرب إن اشتدت أن تتشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، فلما رجع عكرمة إلى قريش وغطفان بما قالت بنو قريظة قالوا : والله ! إن الذى جاءكم به نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة أنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً ! فإن كنتم

تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا ، فقالت بنو قريظة : إن الذى ذكر لنا نعيم لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان أنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً . وبعث الله على المشركين ريحاً تطرح آنيتهم وتكفأ قدورهم فى يوم شديد البرد ، فلما انتهى إلى رسول الله ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ، قال : « اذهب فادخل بين القوم وانظر ما يقولون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينى وذلك ليلاً » ، فدخل حذيفة فى الناس ، وقام أبو سفيان بن حرب وقال : يا معشر قريش ! لينظر كل امرىء من جليسه؟ قال حذيفة : وأخذت رجلاً إلى جنبى وقلت له : من أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ! إنكم والله ! ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ! ما يستمسك لنا بناء ولا تطمئن لنا قدور ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ثم قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله ﷺ إلى ألا أحدث شيئاً حتى تأتينى لقتلته بسهمى ، فرجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فسمعت غطفان بما صنعت فانشمروا راجعين إلى بلادهم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ وقال : « قد وضعتم السلاح وأن الملائكة لم تضع سلاحها بعد ، إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة » ! فأذن مؤذن رسول الله ﷺ : ألا ! لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة ، وخرج رسول الله ﷺ يحمل لواءه على بن أبى طالب ، فلما بلغ الصورين قال « هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم ، مر بنا دحية الكلبى على بغلة بيضاء ،

فقال رسول الله ﷺ : « ذاك جبريل » ! فسار رسول الله ﷺ حتى نزل على بئر لبنى قريظة فى ناحية أموالهم ، وتلاحق به الناس ، وأتى رجال بعد عشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » ، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وقد كان حيي بن أخطب قد دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما تيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ إن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف لنستشيره ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم – وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح فقالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكمه » .

ثم إن ثعلبة بن سعية وأسد بن سعية وأسد بن عبيد أسلموا فمنعوا ديارهم وأموالهم . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس : يا رسول الله ! إنهم موالينا دون الخزرج فقال رسول الله ﷺ : ألا ترضون أن يحكم فيكم رجل منكم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال رسول الله ﷺ : « فذاك إلى سعد بن معاذ » ، وكان قال رسول الله ﷺ لقومه حين أصابه السهم : « اجعلوه فى خيمة قريب منى حتى أعوده » ، فلما حكمه رسول الله ﷺ فى بنى قريظة أتاه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا به إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ إنما ولاك مواليك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فلما جاء سعد قال لهم رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيدكم » ، فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ! إن رسول الله ﷺ قد ولاك الحكم ، وقال سعد : عليكم عهد الله وميثاقه ، إن الحكم فيكم ما حكمتُ ، قالوا : نعم ، قال : وعلى من كان ههنا فى هذه الناحية التى فيها رسول الله ﷺ – وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ،

فقال رسول الله ﷺ : « نعم » ، فقال سعد : فإنى أحكم فيهم (بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء ... قال رسول الله ﷺ لسعد : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » [١] ، فحبسهم رسول الله ﷺ فى دار ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة . فلما قدمها خرج إلى سوق المدينة فحفر حفراً ثم بعث إليهم وأمر بضرب أعناقهم وهم ما بين ستمائة إلى تسعمائة، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرغ منهم ، فيهم حيى بن أخطب وكعب ابن أسد.

ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين، فكان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً ، فأعطى الفارس ثلاثة أسهم : للفرس سهمان ولصاحبه سهم ، وللراجل الذى ليس له فرس سهم ، وأخرج منها ﷺ الخمس ، وقد قيل : إنه اصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة .

ثم مات سعد بن معاذ ، فأمر رسول الله ﷺ بغسله ، فغسله أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش ، ثم وضع فى أكفانه على سريره ، فقال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » ! وكان رسول الله ﷺ أمام جنازة سعد حتى صلى عليه ، ونزل فى حفرته أربعة نفر : الحارث بن أوس وأسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش وأبو نائلة مالك بن سلامة .

ثم بنى رسول الله ﷺ بزينب ابنة جحش ، فلما أصبح دعا القوم ، فأصابوا من الطعام ثم خرجوا ونفر منهم عند النبى ﷺ فأطالوا القعود ، وقام رسول الله ﷺ فخرج حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم رجع ونزلت آية الحجاب ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾[٢] .

---

(١) أى سماوات ، جمع رقيع .

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

ثم كانت سرية عبد الله بن أنيس

إلى خالد بن سفيان بن خالد بن ملهم الهذلى ثم اللحيانى بعرنة فصادفه ببطن عرنة ومعه أحابيش ، فقتله وحمل رأسه إلى النبى ﷺ . ثم ركب رسول الله ﷺ فى ذى الحجة إلى الغابة ، فسقط عن فرسه فجحش شقه الأيمن ، فخرج فصلى بهم جالساً فقال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا ، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعين »[١] . وفى ذى الحجة دفت دافة من عامر بن صعصعة فقال رسول الله ﷺ : « لا يبقى عندهم من ضحاياكم بعد ثلاثة شىء ، أراد به ﷺ أن يوسع ذو السعة عمن لا سعة عنده ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « كلوا وادخروا بعد ثلاث »[٢] .

السنة السادسة من الهجرة

أخبرنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبى معشر بحران ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق أنا عبد الله بن عمر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة : أن ثمامة ابن أثال الحنفى أسر فكان النبى ﷺ يعوده يقول : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فيقول : إن تقتل تقتل لا تمن ، وإن تمن تمن على شاكر ، وإن ترد المال تعط، قال : فكان أصحاب النبى ﷺ يحبون الفداء ويقولون: ما نصنع بقتل هذا؟ فمر به النبى ﷺ فأسلم ، فأمره أن يغتسل فاغتسل وصلى ركعتين ، فقال النبى ﷺ : « حسن إسلام صاحبكم » .

قال : فى أول هذه السنة بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى القُرطاء

---

(١) راجع الموطأ للإمام مالك ص ٧١ ، أخرجه عن أنس بن مالك باختلاف يسير .

(٢) راجع السنن الكبرى ٥ / ٢٤٠ ، ومسند الإمام أحمد وفيه « عن عائشة قالت : دفت دافة من أهل البادية حضرة الأضحى ، فقال النبى ﷺ : كلوا وادخروا لثلاث ، فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله ! كان الناس ينتفعون من أضاحيهم يحملون منها الودك ، ويتخذون منها الأسقية ، قال : وما ذاك ؟ قالوا: الذى نهيت عنه من إمساك لحوم الأضاحى ، قال : إنما نهيت عنه للدافة التى دافت (كذا) ، فكلوا وتصدقوا أو ادخروا » .

فأخذ ثمانة بن أثال الحنفي فأمر به ، فربط بسارية من سوارى المسجد ، فخرج إليه النبى ﷺ فقال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال : عندى يا محمد خير ، إن تقتلني تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد ، ثم قال : « ما عندك يا ثمامة » ؟ قال له مثل ذلك ، فتركه النبى ﷺ حتى كان بعد الغد فقال له : «ما عندك يا ثمامة » ؟ فقال : عندى ما قلت لك ، فقال رسول الله ﷺ : «أطلقوا ثمامة » ، فأطلق فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، يا محمد ! ما كان على الأرض وجه أبغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلىّ ، والله ! ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلىّ ، والله ! ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك فقد أصبح اليوم بلدك أحب البلاد إلىّ ، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فما ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ، قال : لا ولكنى أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ[1] .

ثم بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدى سرية الغمر فنذر به القوم فهربوا ، فنزل على مياههم وبعث الطلائع ، فأصابوا عيناً فدلهم على ماشيتهم، فساقوا مائتى بعير إلى المدينة .

ثم كسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وقال : « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فصلوا » .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة وهى بلاد بنى

(١) وفى الطبرى « قال الواقدى : فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر منها بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن فى أربعين رجلاً الغمر فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب فأخذ السير ونذر القوم به فهربوا فنزل على مياههم وبعث الطلائع فأصابوا عيناً فدلهم على بعض ماشيتهم فوجدوا مائتى بعير فحدروها إلى المدينة » ، وراجع المغازى ٢ / ٥٥٠ .

ثعلبة وأنمار – فصلوا المغرب ، وخرج أبو عبيدة فى أربعين رجلاً فساروا ليلتهم حتى أتوا ذا القصة عند الصبح ، فأغاروا عليهم وهربوا فى الجبال ثم قدموا المدينة ، فخمس رسول الله ﷺ الغنيمة وقسم ما بقى على أصحابه .

ثم بعث(١) رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى ذى القصة فى عشرة أنفس، فخرج مائة من المشركين فكمنوا ، فلما نام المسلمون خرجوا عليهم فقتلوهم ، وانفلت محمد بن مسلمة جريحاً وحده .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجَموم(٢) فأصاب نعماً وشاء وأسراء ، ثم سبق رسول الله ﷺ بين الخيل فكان أول سباق بالمدينة ، ثم سبق فى الخف فكانت العضباء لا تسبق فجاء أعرابى على قعود له فسبقه ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : « حق على الله(٣) أن لا يرتفع شىء فى الدنيا إلا وضعه » .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة سرية إلى الطَّرف إلى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلاً ، فتحسس الأعراب أن رسول الله ﷺ سار إليهم فانهزموا ، وأصاب المسلمون عشرين بعيراً من نعمهم ورجعوا إلى المدينة (٤).

ثم بعث رسول الله ﷺ أيضاً زيد بن حارثة إلى العيص(٥) ، فأسر جماعة منهم أبو العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت النبى ﷺ ، فأجارته .

---

(١) وفى الطبرى ٣ / ٨٢ « وفيها بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فى عشرة نفر فى ربيع الأول منها فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه فما شعروا إلا بالقوم فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحاً (قال الواقدى) وفيها أسرى رسول الله ﷺ سرية أبى عبيدة بن الجراح إلى ذى القصة فى شهر ربيع الآخر فى أربعين رجلاً فساروا ليلتهم مشاة ووافوا ذا القصة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم ..»

(٢) أرض لبنى سليم .

(٣) من صحيح البخارى ١ / ٤٠٢ .

(٤) وفى الطبرى « فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا بها نعماً وأشياء وأسراء ، وكان فى أولئك الأسراء زوج حليمة ، فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله للمزينة زوجها ونفسها » .

(٥) وفى الطبرى ٣ /٤ ٨٣ « وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص فى جمادى الأولى منها ، وفيها أخذت الأموال التى كانت مع أبى العاص بن الربيع ، فاستجار بزينب بنت النبى ﷺ فأجارته » .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيداً أيضاً إلى حِسمى ، فرجع منها بنعم وسبى .

ثم تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبى الأقلح وهى أخت عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فولد له منها عاصم بن عمر فطلقها عمر ، فتزوج بها بعده زيد بن حارثة ، فولد له عبد الرحمن بن زيد ، فهو أخو عاصم ابن عمر لأمه .

ثم كانت سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى فدك فى مائة رجل إلى حى من بنى سعد بن بكر .

ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فعممه النبى ﷺ بيده وقال : « إن أطاعوا الله فتزوج ابنة ملكهم ، فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ ، وكان أبوها ملكهم» .

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف فى ثلاثة أنفس لينظر إلى خيبر وما عليها أهلها ، فمضى وجاءوا إلى رسول الله ﷺ بالخبر .

ثم أجدب الناس جدباً شديداً فى أول شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ يستسقى بهم ، فصلى ركعتين وجهر بالقراءة ، ثم استقبل القبلة وحول رداءه .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة سرية إلى أم قِرفة فسبى سلمة[1] بن الأكوع وزيد بن حارثة بنت مالك بن حذيفة وجدها فى بيت من بيوتهم ، وأمها أم قوفة وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر .

ثم خرج[2] رسول الله ﷺ إلى بنى لحيان حتى بلغ أَمَج وبين أمج وعُسفان بلد لهم يقال له ساية فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال ، فلما رأى

---

(١) وفى الطبرى « وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع فى هذه السرية أن أميرها كان أبا بكر بن أبى قحافة » .

(٢) وفى الطبرى « قال أبو جعفر : وخرج رسول الله ﷺ فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بنى قريظة » .

رسول الله ﷺ أنه قد أخطأهم خرج فى مائتى راكب من المسلمين وهو صائم وهم صوام حتى بلغ عسفان وبلغ كراع الغميم فأفطر وأفطر المسلمون معه ثم رجع ولم ير كيداً ، وجعل يقول فى رجوعه « **آيبون تائبون عابدون ولربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ،وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد** »(١)

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأقام أياماً أغار عيينة بن حصن بن بدر الفزارى في خيل من غطفان على لقاح رسول الله بالغابة وفيها رجل من بنى غفار وامرأة ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة واللقاح ، فخرج رسول الله ﷺ فى أثرهم حتى بلغ ذا قرد ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وتلاحق به الناس ، وأقام رسول الله ﷺ بذى قرد يوماً وليلة وصلى بهم صلاة الخوف . ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ، وانقلب عيينة بمن معه ، وكانت سرح المسلمين بالمدينة بذى قرد ، فقدم ثمان نفر من عرينة فأسلموا ، فبعثهم النبى ﷺإلى السرح فشربوا من ألبانها و أبوالها ، فلما صحوا قتلوا الراعى و استاقوا الإبل ، فبعث النبى ﷺ فى طلبهم كرز بن جابر الفهرى سرية فى شوال فى عشرين راكباً معهم قائفاً ، فأحدقوا بهم حتى أخذوهم ، و جاءوا بهم النبى ﷺ و كانوا قد ارتدوا ، و قطعوا أيدى الرعاة و أرجلهم ، و سلموا أعينهم كما أمر به النبى ﷺ ، و طرحوا فى الحرة يستسقون فلا يسقون .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بنى المصطلق ، و ذلك أنه بلغه أن بنى المصطلق تجمعوا و قائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس و اقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق و قتل من قتل منهم و نقل رسول الله ﷺ أبناءهم و نساءهم ،وأموالهم لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث فى سهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسها ، و كانت امرأة

(١) وهذا الدعاء يسمى دعاء السفر يقوله المسلم عند رجوعه من سفره .

حلوة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها فقالت : يا رسول الله ! أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه و قد أصابنى من البلاء ما لم يخف، عليك ، فوقعت فى سهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عم له فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : و هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : و ما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ! قال : فعلت ، و خرج الخير إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ! فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعتق و أطلق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ؛ فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها .

ثم أقبل رسول الله ﷺ يريد المدينة ، ، كانت عائشة تحمل فى هودج ، فنزلوا منزلاً ، فمشت عائشة لحاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها فإذا عقد لها من جزع ظَفَار قد انقطع ، فرجعت تلتمس عقدها وحبسها ابتغاؤه ، فأذن بالرحيل و أقبل الرهط الذين كانوا يرحلونها فاحتملوا هودجها على بعيرها الذى كانت تركب عليه و هم يحسبون أنها فيه ، وكانت النساء إذ ذاك خفافاً و ساروا ؛ فرجعت عائشة بعد ما رحل الجيش فجاء منازلهم فإذا ليس بها داع و لا مجيب ، فأقمت منزلها التى كانت فيه وعلمت أنهم سيفقدونها فبينا هى جالسة إذ غلبت عينها عليها ، و كان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلها فرأى سواد إنسان نائم، فعرفها حين رآها وكان رآها قبل أن ينزل الحجاب ، فاستيقظت عائشة باسترجاعه حين عرفها ، فخمرت عائشة وجهها بجلبابها ، و ما كلمها حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها ، فقامت إليه فأركبها و انطلق يقود الراحلة حتى أتى الجيش فوجدهم موغرين [١] فى نحر[٢] الظهيرة ، فهلك فيها من هلك ،

(١) أوغر القوم : دخلوا فى وقت الوغْرة ، والوغرة : شدة توقد الحر ، يقال : لقيته وفى وغرة الهاجرة ، أى حين توسط الشمس السماء.

(٢) نحر النهار أو الشهر : أولـه .

وكان الذى كبره (١) عبد الله بن أبى بن سلول ، فلما قدموا المدينة لبثت عائشة شهراً و الناس يخوضون فى قول أصحاب الإفك و هى لا تشعر بشىء من ذلك، فكان رسول الله ﷺ يأتيها فيسلم عليها و يقول : « كيف تيكم » ؟ و ينصرف، وكان تراها ذلك من رسول الله ﷺ فخرجت (٢) ذات ليلة مع أم مسطح قبل المناصع و كانت متبرزهم قبل أن تتخذ الكنف ، فلما فرغتا من شأنهما عثرت أم مسطح فى مرطها فقالت : تعس مسطح ! فقالت لها عائشة : بئس ما تقولين! تسبين رجلاً من أهل بدر ! فقالت : أى هنتاه ! ألم تسمعى ما قال ؟ قالت عائشة : لا ، فأخبرتها بقول أهل الإفك فازدادت مرضاً فلما دخل عليها رسول الله ﷺ قالت : ائذن لى أن آتى إلى أبوى ، فأذن لها رسول الله ﷺ ، فقالت : يا أبتاه ! ماذا يتحدث الناس ؟ قال : يا بنتى ! هونى عليك ، فو الله لقل ما كانت امرأة قط عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع و لا تكتحل بنوم ، فلما أصبح دعا رسول الله ﷺ علياً و أسامة بن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله ، فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله وقال : لا نعلم إلا خيراً ، و أما على فقال : يا رسول الله لم يضيّق الله عليك و النساء سواها كثير ، و سل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : « أى بريرة ! هل رأيت من أهلى شيئاً يريبك » ؟ قالت بريرة : و الذى بعثك بالحق ! ما رأيت عليها شيئاً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين فتأتى الداجن فتأكله وفقام رسول الله ﷺ من يومه و استعذر من عبد الله بن أبى بن سلول و هو على المنبر فقال (٣) : « يا معشر المسلمين ! من يعذرنى

(١) أى كبر الإفك على عائشة رضى الله عنها ونشره بين الناس .

(٢) وفى الطبرى «قالت : وكنا قومًا عربًا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم نعافها ، ونكرهها ، إنما كنا نخرج فى فسح المدينة وإنما كان النساء تخرجن كل ليلة فى حوائجهن فخرجت ليلة ـ الحديث » .

(٣) وفى الطبرى « وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ثم قال : « أيها الناس ! مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهن غير الحق ! والله ماعلمت منهن إلا خيرا » ..

من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ؟ و الله ! ما علمت على أهلي إلا خيراً ! و لقد ذكروا رجلاً ما علمت إلا خيراً ، و ما يدخل على أهلي إلا معي » فقال أسيد بن حضير : يا رسول الله ! أنا أعذر منه ! فإن كان من الأوس ضربت عنقه، و إن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك [1] ! و كاد أن يكون بين الأوس و الخزرج قتال بهذه الكلمة ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ، وبكت عائشة يومها ذلك ، فبينا أبواها جالسين عندها و هي تبكي إذ استأذنت عليها امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معها ؛ ثم دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ثم تشهد حين جلس ثم قال : « أما بعد ! يا عائشة ! فإنه بلغني عنك كذا و كذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، و إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه» ، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحسست منها بقطرة وقالت لأبيها : أجب رسول الله ﷺ فيما قال أبو بكر : والله ! ما أدري ما أقول ! فقالت لأمها : أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال ، فقالت: و الله ! ما أدري ما أقول ! فقالت عائشة ! إني و الله لقد علمت أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم و صدقتم ! فلو قلت لكم : إني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، و إن اعترفت لكم بأمر و الله يعلم أني منه بريئة لا تصدقوني ، و الله ! ما أجد لي و لكم مثلاً إلا ما قال أبو يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] ثم تحولت عائشة و اضطجعت على فراشها فماراح رسول الله ﷺ و لا خرج أحد من البيت حتى أنزل عليه الوحي ، فأخذه ما كان من يأخذه من الرحضاء حتى أنه ينحدر منه العرق مثل الجمان[3] و هو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه ، فسرى عن

---

(١) وزيد بعدها في الطبري ١٥٢٢/٤ «فقام سعد بن عبادة و كان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ! لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ! ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين » .

(٢) سورة يوسف آية ١٨ .

(٣) أي مثل لون الفضة في البياض .

رسول الله ﷺ و هو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لها : « يا عائشة ! أما و الله ! فقد برأك » ! فقالت لها أمها : قومي إليه ، فقالت : لا والله ! ما أقوم ، و إني لا أحمد إلا الله[1] ، و أنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ ﴾ [2] إلى تمام العشر الآيات ، فلما أنزل الله هذه الآيات قال أبو بكر : وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه و فقره : و الله ! لا أنفق على مسطح شيئاً بعد الذى قال لعائشة ! فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [3] الآية ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ! و الله إني لأحب أن يغفر الله لى ! فرجع إلى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه و قال : لا أنتزعها منه أبداً ؛ و قد قيل : إن النبى ﷺ حد أصحاب الإفك الذين رموا عائشة فيما رواه .

ثم كانت غزوة الحديبية [4]

خرج[5] رسول الله ﷺ و معه ألف و ثمانمائة رجل و سبعون بدنة ، فأحرم رسول الله ﷺ و من معه من ذى الحليفة ، و استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، و ساق أبو بكر بدناً و طلحة بدناً و سعد بن عبادة بدناً ، فلما بلغ رسول الله ﷺ غدير عسفان ذات الأشطاط لقيه بسر بن سفيان الكعبى فقال : يا رسول الله ! هذه قريش سمعت بك و خرجت قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم أبداً و هذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدمتموها إلى كراع الغميم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ،

---

(١) من كلام أم المؤمنين يظهر مدى اخلاصها فى التوحيد والعبوديه لله تعالى فيجب ألا نحمد إلا الله على نعمائه .

يقول د / البوطى فى فقه السيره « فهى انما انساقت بوحى الحالة التى كونتها الحكمه الإلهية تبينها لعقيدة المؤمنين وقطعا لأفك المنافقين واظهار لمعنى التوحيد والعبوديه الشاملة لله تعالى ، فقه السيره صـ ٢٢٤

(٢) سورة النور آية ١١ . (٣) سورة النور آية ٢٢ .

(٤) وفى الطبرى « قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج فى ذى القعدة من سنة ٦ معتمراً » .

(٥) وفى الطبرى « عن ابن إسحاق قال : خرج النبى ﷺ معتمراً فى ذى القعدة لا يريد حرباً وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب أن يخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا به أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار ... » .

ماذا عليهم لو خلوا بينى و بين سائر العرب ! فإن أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام و آوونى ، و الله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله عليه حتى يظهرنى الله » ! ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض على طريق يخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية ، فلما بلغ ﷺ ثنية المرار بركت ناقته ، فقالوا : خلأت القصواء ! فقال : « ما خلأت القصواء و ما هو لها بخلق و لكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، و الله ! لا يدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ! ثم قال للناس : « انزلوا » ، فقالوا : يا رسول الله ! ما بالوادى ما ينزل عليه الناس ، فأخرج رسول الله ﷺ سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه ، فجاس بالرواء حتى ضرب الناس ، فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء فى رجال من خزاعة فقال رسول الله ﷺ كقوله لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ! إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً البيت ، فقالوا : و إن جاء لذلك فلا و الله لا يدخلها علينا عنوة و لا تتحدث بذلك العرب ! ثم بعثوا مكرز بن حفص بن الأحنف أحد بنى عامر بن لؤى فلما رآه النبى ﷺ قال : « هذا رجل غادر » ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه رسول الله ﷺ لنحو ما كلم به أصحابه ، فرجع إلى قريش و أخبرهم بذلك ، فبعثوا إليه الحُليس بن علقمة الكنانى و هو يومئذ سيد الأحابيش[1] ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه ، فلما رأى الهدى يسير عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ! قد رأيتُ ما لا يحل صد الهدى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، فقالوا : اجلس ،

(١) الأحابيش : أحياء من القارة انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشاً . والتحبس : التجمع ، وقيل : حالفوا قريشاً تحت جبل بأسفل مكة يسمى حُبشاً فسموا به

لا علم لك ، و بعث رسول الله ﷺ خِراش بن أمية الخزاعى إلى مكة ، و حمله على جمل يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة أرادت قريش قتله فمنعه الأحابيش ، حتى أتى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعث إلى مكة ، فقال : يا رسول الله ! إنى أخاف قريشاً على نفسى و ليس لى بها من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى ، و قد عرفت قريش عداوتى إياها عليها و لكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان ، فدعاه رسول الله ﷺ و بعثه إلى قريش ليخبرهم أنه لم يأت لحرب و إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته ، فخرج عثمان بن عفان حتى أتى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته و حمله بين يديه و أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، و انطلق حتى أتى أبا سفيان و عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال عثمان : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، ثم رجع عثمان .

و بعثت قريش سهيل بن عمرو و أحد بنى عامر بن لؤى و قالوا : ائت محمداً و صالحه ، و لا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فو الله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً فأتى سهيل بن عمرو فلما رآه النبى ﷺ قال : « قد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل » ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام و تراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر و لم يبق إلا الكتاب وثب عمر فقال : يا رسول الله ! ألست برسول الله ؟ أولسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : فلم نعطى الدنيا ؟ قال « أنا عبد الله و رسول » ، ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب[1] فقال : «اكتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ » فقال سهيل : لا أعرف هذا ، و لكن اكتب « باسمك اللهم » و قال رسول الله ﷺ : « اكتب باسمك اللهم ! هذا

(١) وفى الطبرى « عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ثم دعانى رسول الله ﷺ فقال : « اكتب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ .

ما صالح عليه محمد رسول الله و سهيل بن عمرو » فقال : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، و لكن أكتب « محمد بن عبد الله و سهيل بن عمرو» ، فكتب محمد بن عبد الله « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » و سهيل ابن عمرو وضع الحرب عشر سنين ، يأمن بهذا الناس و يكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابهم بغير إذن وليه ردّه عليهم ، و من جاء قريشاً مع رسول الله ﷺ لم يردوه ، و أنه لا أسلال و لا أغلال(١) فلما فرغ من الكتاب و كان رسول الله ﷺ يصلى فى الحرم و هو مضطرب فى الحل ـ قام رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس ! انحروا و احلقوا » ، فما قام رجل من المسلمين ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة فقال : « يا أم سلمة! ما شأن الناس ؟ » قالت له : يا رسول الله ! قد أحل بهم ما رأيت كأنهم كرهوا الصلح ، فاعمد إلى هديك حيث كان و انحر و احلق فإنك لو فعلت

---

(١) زيد فى الطبرى « وأنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد رسول الله وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، وأنك معك سلاح الراكب السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغير هذا ؛ فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف فى الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، قال : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ فى نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بلببه فقال : يا محمد ! قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، قال : فجعل ينتره بلببه ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أرد إلى المشركين ! يفتنونى فى دينى ، فزاد الناس ذلك شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ! احتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهداً ، وإنا لا نغدر بهم » ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدنى قائم السيف منه ، قال يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه . فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين » .

ذلك فعلوا ، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحرها ثم جلس فحلق ، فقام الناس ينحرون و يحلقون ، فحلق رجال منهم و قصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ « يرحم الله المحلقين » ! قالوا : يا رسول الله ! والمقصرين ؟ قال : « و المقصرين » ! قالوا : ما بال المحلقين يا رسول الله ذكرت لهم الترحم؟ قال « لأنهم لم يشكوا أمر رسول الله ﷺ البيعة على الناس تحت الشجرة هناك أن لا يفروا » ، فبايعه الناس كلهم غير الجد بن قيس ، اختبأ تحت إبط بعيره ، فذلك قول الله عز و جل ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[1] وقال ﷺ : « لن يدخل النار أحد شهد بدراً و الحديبية » .

ثم انصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان بين مكة و المدينة فى وسط الطريق نزلت عليه سورة الفتح ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا ﴾ ـ إلى آخر السورة[2] ، فما فتح فى الإسلام فتح أعظم من نزول هذة السورة .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة و كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها ، و أمن الناس كلهم بعضهم بعضاً و استفاضوا ، و لا يكلم أحد بالإسلام يعقل عنه إلا دخل فيه ، حتى دخل فيه فى تلك السنة من المسلمين قريباً مما كان قبل ذلك. وفى هذه العمرة أصاب كعب بن عجرة أذى فى رأسه ، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق و يذبح شاة و يصوم ثلاثة أيام ، أو يطعم ستة مساكين ، لكل مسكين مدين . و أهدى الصعب بن جثامة إلى رسول الله ﷺ رجل حمار وحشش فرده وقال « لم نرده و لكنا حرم » .

وفى هذه العمرة صلى بهم رسول الله ﷺ الصبح فى إثر سماء فى الحديبية، فلما انصرف أقبل عليهم بوجهه فقال : أتدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « يقول : أصبح من عبادى مؤمن بى و كافر بى ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله و رحمتة فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، و أما

(١) سورة الفتح آية ١٨ .

(٢) سورة الفتح آية ١ – ٢٩ .

من قال : مطرنا بنوء كذا و كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » .

و في هذه العمرة أصاب الناس عطش شديد فحبسوا ، فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة ، فثار الماء مثل العيون ، فتوضئوا منها ورووا .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة ذي قرد[١]

خرج سلمة بن الأكوع و معه غلام له يقال له رباح مع الإبل ، فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ و قتل راعيها و جعل ينظر في أناس معه في خيل ، فقال سلمة لرباح : اركب هذا الفرس و اخبر رسول الله ﷺ أنه قد أغير على سرحه ، ثم قام سلمة على تل و جعل قبل المدينة ثم نادى ثلاث مرات ـ و كان صيتا : ثم أتبع القوم و معه سيفه و نبله ، فجعل يرميهم[٢] و ذلك حين كثر الشجر ، فإذا كر عليه الفارس جلس له في أصل شجرة ثم رماه ، و لا يظفر بفارس إلا عقر فرسه ، فجعل يرمي و يقول :

أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضّع

و إذا كان كثر الشجر رشقهم بالنبل ، فإذا تضايقت الشجرة علا الجبل ورماهم بالحجارة ، فما زال ذلك دأبه و دأبهم و يرتجز حتى ما بقي من ظهر

(١) وفي الطبري ٣ / ٦٠ « قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث أنه أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي غداً يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله ، وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله ﷺ بعد مقدمة المدينه منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كانت إما في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة وإما في أول سنة سبع وذلك أن انصراف رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذي الحجة من سنة ست من الهجرة وبين الوقت الذي وقته ابن إسحاق لغزوة ذي قرد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر » .

(٢) وفي الطبري ٣ / ٦٠ « قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم ، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة وقعدت في أصلها فرميته فعقرت به ، وإذا تضايق الجبل فدخلوا في متضايق علوت الجبل ثم أرديهم بالحجارة ، فوالله مازلت كذلك حتى ما خلف الله بعيراً من ظهر رسول الله ﷺ إلا جعلته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه ، وحتى القوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة يستخفون بها ، لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً حتى يعرفه رسول الله ﷺ وأصحابه » .

النبى ﷺ إلا استنقذه من أيديهم و خلفه وراء ظهره ، ثم لم يزل يرميهم حتى طرحوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ، فكلما ألقوا شيئاً جمع عليه سلمة، فلما اشتد الضحى أتاهم عيينة بن حصن بن بدر الفزارى ممداً لهم و هم فى ثنية ضيقة فى علوة الجبل فقال لهم : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقد لقينا من هذا ـ يعنون سلمة ، ما فارقنا منذ سحر حتى الآن ، و أخذ كل شيء من أيدينا و خلفه وراءه ، فقال عيينة : لولا أن هذا يرى وراءه طلباً لقد ترككم ! فليقم إليه نفر منكم ، فقام إليه نفر منهم أربعة و صعدوا فى الجبل فقال لهم سلمة : أتعرفونى ؟ قال : و من أنت ؟ قال : ابن الأكوع ! و الذى كرم وجه محمد ﷺ ! لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى و لا أطلبه فيفوتنى ، فبينا سلمة يخاطبهم إذ نظر فرأى أصحاب رسول الله ﷺ لحقوا يتخللون الشجر و إذا أولهم الأخرم الأسدى و على أثره أبو قتادة و على أثره المقداد الكندى ، فولى المشركون مدبرين، فنزل سلمة من الجبل و قال : يا أخرم ! احذر القوم ، فإنى لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله ﷺ و أصحابه ، قال : يا سلمة ! إن كنت تؤمن بالله و اليوم الآخر و تعلم أن الجنة حق و النار حق فلا تحل بينى و بين الشهادة ، ثم أرخى عنان فرسه و لحق بعبد الرحمن بن عيينة و يعطف عليه عبد الرحمن و اختلف بينهما طعنتان فقتله عبد الرحمن و تحوّل عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فلحق أبو قتادة بعبد الرحمن و اختلف بينهما طعنتان فعقر بأبى قتادة وقتله أبو قتادة ، و تحول أبو قتادة ﴿ على فرس الأخرم ، ثم خرج سلمة يعدو فى أثر القوم حتى ما يرى من غبار أصحاب النبى ﷺ شيئاً فلم يقرب غيبوبة الشمس ، و قرب المشركون من شعب فيه ماء يقال له : ذو قرد ، فأرادوا أن يشربوا منه فالتفتوا فأبصروا سلمة وراءهم فعطفوا عن الماء و شدوا فى الثنية وغربت الشمس ، فلحق سلمة رجل منهم فرماه بسهم ، و قال : خذها :

و أنا ابن الأكوع و اليوم يوم الرضع

قال : يا ثكل أماه ! أكوع بكرة ؟ قلت : نعم أى عدو نفسه ! و كان

الذى رماه بكرة و أتبعه سهماً آخر فأثبت فيه سهمين و خلفوا فرسين فجاء بهما يسوقهما ، و رسول الله ﷺ على الماء الذى خلفهم عند ذى قرد و إذا بلال قد نحر جزوراً مما خلفه بسهمه و هو يشوى لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فقال سلمة : يا رسول الله ! خلني فأنتخب من أصحابك مائة رجل ، و أتبع الكفار حتى لا يبقى منهم مخبر إلا قتلته ، قال : « أكنت فاعلاً ذلك» ؟ قال : نعم و الذى أكرم وجهك ! فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فجاء رجل من غطفان فقال : مر المشركون على فلان الغطفاني فنحر لهم جزوراً ، ثم خرجوا هراباً ؛ فلما أصبح رسول الله ﷺ انصرف إلى المدينة و جعل يقول : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ! و خير رجالتنا سلمة » ! فأعطى سلمة ذلك اليوم سهم الراجل و الفارس جميعاً .

ثم إن رسول الله ﷺ أردفه وراءه على العضباء فلما كان بينهم و بين المدينة قريب و فى القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق فجعل ينادى : هل من مسابق ! ألا رجل يسابق إلى المدينة ! فقلت : يا رسول الله بأبى أنت و أمى خلنى فلأسابق الرجل ! قال : « إن شئت » : قلت ، اذهب إليك . فطفر عن راحلته و ثنيت رجلى فطفرت عن الناقة ، ثم إنى ربطت عليه شرفاً أو شرفين يعنى استبقيت نفسى ثم عدوت حتى لحقته فأصكه بين كتفيه بيدى و قلت : سبقت و الله ! حتى قدمنا المدينة . ثم توفيت أم رومان امرأة أبى بكر الصديق أم عبد الرحمن و عائشة فى ذى الحجة .

السنة السابعة من الهجرة

أخبرنا محمد بن حسن بن قتيبة نا ابن أبى السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى[1] عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس حدثنى أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فيّ قال: انطلقت فى المدة التى كانت بيننا وبين رسول الله ﷺ، فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل، جاء به دحية الكلبى فدفعه إلى عظيم بصرى [فدفعه عظيم بصرى] إلى هرقل، [قال]هل هنا أحد

(١) الزهرى : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشى أبو بكر من أحفظ أهل زمانه للسنن واحسنهم لها سياقا كان فقيها فاضلا توفى سنه ١٢٤ هـ انظر المشاهير / ٦٦ .

من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ قالوا : نعم ، فدعيت فى نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل ، فأجلسنا بين يديه فأجلسوا أصحابى خلفى ، ثم دعا بترجمانه فقال : قل لهم : إنى سائل هذا الرجل عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ، فإن كذبنى فكذبوه ، قال أبو سفيان : و الله ! لو لا مخافة أن يؤثروا عنى كذباً لكذبته ؛ ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه[1] فيكم ؟ قلت: هو فينا ذو حسب ، قال فهل كان من آبائه من ملك ؟ فقلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : من يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ قال : قلت : بل ضعفاؤهم ، قال : فهل يزيدون أم ينقصون ؟ قال : قلت : بل يزيدون ، قال : فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قال : قلت: نعم ، قال : كيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : يكون الحرب بيننا و بينه سجالاً ، يصيب منا و نصيب منه ؛ قال : فهل يغدر ؟ قال : قلت : لا ، و نحن منه فى مدة لا ندرى ما هو صانع فيها ! قال : و الله فما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه ! قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال : قلت لا . ثم قال لترجمانه : قل له : إنى سألتك عن حسبه فيكم قلت : إنه ذو حسب وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها ؛ و سألتك : هل كان فى آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا، فقلت إن كان فى آبائه ملك قلت : رجل يطلب ملك آبائه ؛ وسألتك عن أتباعه ضعفاء الناس أم أشرافهم قلت : بل ضعفاؤهم ، و هم أتباع الرسل ؛ وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس فيذهب فيكذب على الله ؛ وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له ؟ فزعمت أن لا، فكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب ؛ و سألتك : هل يزيدون أم ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك

(١) فى صحيح البخارى ١ / ٤ نسبه .

أمر الإيمان حتى يتم ؛ و سألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فزعمت أن الحرب بينكم و بينه سجال تنالون منه و ينال منكم ، و كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ؛ و سألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ؛ و سألتك : هل قال هذا القول قبله أحد ؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل يأتم بقول قيل قبله ، ثم سألتك بما يأمرَشم ؟ قلت : بالصلاة والزكاة و الصلة و العفاف ، قال : إن يكن ما تقول فيه فإنه نبى . و قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظن أنه منكم ، و لو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، و ليبلغن ملكه ما تحت قدمى . فقال : ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ـ ﷺ ـ إلى هرقل ملك الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ! فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، و أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا ﴾ إلى قوله : بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1] . فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده و كثر اللغط و أمر بنا فأخرجنا ، فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام .

قال : فى أول هذه السنة كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك و بعث إليهم بالرسل يدعوهم إلى الله ، فقيل : إنهم لا يقرأون كتاباً إلا بخاتم ، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقش فيه « محمد رسول الله » ليختم به الصحف ، فكان يلبسه تارة فى يمينه و تارة فى يساره .

فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى بكتاب فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى . و بعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر و هو هرقل ملك الروم و أمره أن يدفع الكتاب إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل . و بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى

(١) سورة آل عمران آية ٦٤ .

المقوقس صاحب الإسكندرية . و بعث عمرو بن أمية الضمرى إلى أصحم بن أبحر النجاشى ، و بعث شجاع بن وهب الأسدى إلى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق . و بعث عامر بن لؤى إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة .

فأما كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه ذلك : « مزق الله ملكه ، إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » .

و أما قيصر فسأل أبا سفيان عما سأل ثم قرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم خلا بدحية الكلبى و قال : إنى لأعلم أن صاحبكم نبى مرسل ، و أنه الذى كنا ننتظره و نجده فى كتابنا ، و لكن أخاف الروم على نفسى و لولا ذاك لاتبعته ، و لكن اذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم و انظر ماذا يقول ، فجاء دحية و أخبره مما جاء من رسول الله ﷺ إلى هرقل و بما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك و الله نبى مرسل ! نعرفه بصفته و نجده فى كتابنا باسمه ، ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سوداء و لبس ثياباً بيضاً ثم أخذ عصاه و خرج على الروم وهم فى الكنيسة فقال للروم : إنه قد أتانا كتاب من أحمد يدعو فيه إلى الله ، و إنى أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله ، فوثبوا إليه و ثبة رجل واحد و ضربوه حتى قتلوه ، فرجع دحية إلى هرقل و أخبره الخبر، قال: قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان و الله أعظم عندهم و أجوز قولاً منى . و أما النجاشى فكان كتابه « من محمد رسول الله إلى النجاشى الأصحم ملك الحبشة ، سلمٌ أنت ، فأنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، و أشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده و نفخه ، و إنى أدعوك إلى الله ، و قد بعثت إليك ابن عمى جعفراً و معه نفر من المسلمين ، فدع التجبر فإنى أدعوك إلى الله و قد بلغت و نصحت فاقبل نصيحتى و السلام على من اتبع الهدى » فقرأ

النجاشى الكتاب و كتب جوابه إلى رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ﷺ ، من النجاشى الأصحم بن أبحر ، سلام عليك يا نبى الله ورحمة الله و بركاته من الله الذى لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الإسلام ، أما بعد فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثُفروقاً إنه كما قلت و لقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، و قد قربنا ابن عمك و أصحابه ، و أشهد أنك رسول الله ﷺ صادقاً مصدقاً ، و قد بايعتك و بايعت ابن عمك و أسلمت على يديه لله رب العالمين ، و بعثت إليك بابنى أرها بن الأصحم فإنى لا أملك إلا نفسى ، و إن شئت أن آتيك يا رسول الله فعلت ، فإنى أشهد أن ما تقوله حق ـ و السلام عليك يا رسول الله ! فخرج ابنه فى ستين نفساً من الحبشة فى سفينة البحر ، فلما توسطوا و لججوا[1] أصابتهم شدة و غرقوا كلهم .

و أما المقوقس فأهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوار فيهن مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ و كذلك سائر الملوك أهدى إليه الهدايا فقبلها رسول الله ﷺ ، كان يقبل الهدية و يثيب عليها .

ثم كانت غزوة خيبر

خرج رسول الله ﷺ فى بقية المحرم[2] إلى خيبر و استعمل على المدينة سباع ابن عُرفَطة الغفارى و قدم عيناً له ليجيئه بالخبر ،و أخرج من نسائه أم سلمة ، وخرج على الأموال بجيشه فلا يمر بحصن إلا أخذه و يقتل من فيه و يفتتحها حصناً حصناً ، فأول ما أصاب منها حصن ناعم ثم حصن الصعب بن معاذ ثم حصن القموص فلما افتتح رسول الله ﷺ أتى حصنهم الوطيح و السلالِم وكان رسول الله ﷺ إذا أصبح قوماً أو غزا لم يُغر عليهم حتى يصبح فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فلما أصبح رسول الله ﷺ استقبلهم عمال

(١) أى ركبوا اللجة أى معظم الماء (وفى ف : لججوا كذا) .

(٢) من سنة سبع ، كما صرح به الطبرى .

خيبر بمساحيهم و مكاتلهم ، فلما رأوا النبى ﷺ و الجيش قالوا : محمد و الله والخميس ! و أدبروا هراباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر الله أكبر ! خربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » ! فخرج مرحب اليهودى من الحصن يرتجز ويطلب البراز ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهذا » ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله ! فلما دنا أحدهما من صاحبه بادر مرحب بالسيف ، فاتقاه محمد بن مسلمة بدرقته ، فوقع سيفه فيها و عضّت به الدرقة فأمسكت ، فضربه محمد بن مسلمة فقتله ، ثم بعث رسول الله ﷺ رجلاً يقاتل فمر و رجع و لم يكن فتحاً ، ثم بعث آخر يقاتل فمر و رجع و لم يكن فتحاً ، وحمى الحرب بينهم و تقاعسوا ، فقال النبى ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله و رسوله ! و يحبه الله و رسوله ! يفتح الله على يديه ، ليس بفرار، فلما أصبح دعا علياً و هو أرمد ، فى عينيه فبرأ ، ثم قال : خذ هذه الراية و اقبض بها حتى يفتح الله عليك » ، فخرج علىّ يهرول و المسلمون خلفه حتى ركز رايته فى رضم[1] من حجارة ، فاطلع عليه يهودى من رأس الحصن وقال : من أنت ؟ فقال : أنا على بن أبى طالب ، فقال اليهودى : علوتم و ما أنزل على موسى ! فلم يزل علىّ يقاتل حتى سقط ترسه من يده ، ثم تناول باباً صغيراً كان عند الحصن فاترس به ، فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلما أيقن اليهودى بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم و أن يسيرهم ، ففعل رسول الله ﷺ ذلك ، فنزلوا على ذلك وقالوا : يا محمد ! إنا نحن أرباب الأموال و نحن أعلم بها منكم فعاملناها ، فعاملهم رسول الله ﷺ لخيبر على النصف . فلما فعل ذلك أهل خيبر سمع بذلك أهل فدك، وبعث إليهم رسول الله ﷺ محيصة بن مسعود ، فنزلوا على ما نزلت عليه اليهود بخيبر على أن يسيرهم و يحقن دماءهم ، فعاملهم رسول الله ﷺ مثل معاملة أهل خيبر فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة ، و ذلك أنه لم يوجَف عليها بخيل و لا ركاب ، و قسم رسول الله ﷺ خيبر على ألف

(١) فى النهاية : ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ ويقال أتى رضمة جبل ، هى واحدة الرضم والرضام وهى دون الهضاب ، وقيل : صخور بعضها على بعض .

وثمانمائة سهم ، و كان الرجال بها ألف و أربعمائة و الفرس مائتى فرس ، فقسم للفارس ثلاثة أسهم : سهمين لفرسه و سهماً له و للراجل[1] سهماً ، فكان للأفراس أربعمائة و لركابها و لرجالهم ألف و أربعمائة سهم ، و كان سهم رسول الله ﷺ مع عاصم بن عدى ؛ ثم أطعم رسول الله ﷺ رجالاً مشوا بين رسول الله ﷺ و بين أهل فدك فى الصلح ، و أعطى محيّصة بن مسعود ثلاثين وسقاً من شعير و ثلاثين وسقاً من تمر ، و قسم سهم ذوى القربى من خيبر على بنى هاشم و بنى المطلب ؛ فكانت قسمة خيبر على ما وصفنا .

وكانت صفية بنت حيى بن أخطب فى السبى ، أخرجوها من حصن القموص، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه . و سئل رسول الله ﷺ عن آنية المشركين ، فقال : اغسلوها و كلوا فيها و أطعموا ، و أطعم رسول الله ﷺ تسعاً من نسائه اللاتى توفى و هن عنده تسعمائة وسق تمر و من القمح مائة وثمانين وسقاً . فلما فرغوا من الغنائم و قسمها أكل المسلمون لحوم الأهلية فأمر منادياً فنادى فى الناس : إن الله و رسوله ينهيانكم[2] عن المتعة ، و أمر بالقدور أن تكفأ، ثم قام رسول الله ﷺ فيهم خطيباً فقال : « لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره ـ يعنى إتيان الحبائل من السبايا ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يصيب امرأة ثيباً من السبى حتى يستبرئها ، و لا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم، و لا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يركب دابة من غنيمة المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيها ؛ و لا يحل لامرىء يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده » ؛ ثم اطمأن الناس

و أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم لرسول الله ﷺ شاة مصلية[3] و أكثرت فيها من السم ، فلما وضعته بين يدى رسول الله ﷺ قال :

---

(١) الراجل الذى يسير على قدميه .

(٢) من صحيح البخارى ٢ / ٦٠٤ و ٦٠٦ .

(٣) أى مشوية ، يقال : صَلِيَ النار وصليّا أى احترق فيها وفى التنزيل ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ انظر المعجم الوسيط حـ ١ صـ ٥٤٢

« إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم »[1] ! ثم دعاها فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك » ؟ فقالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، و إن كان نبياً فسيخبر ؛ فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، وكان بشر بن البراء بن معرور يأكل مع رسول الله ﷺ فأكل منها قطعة وكان ذلك سبب موته .

وقتل من المسلمين بخيبر

ربيعة بن أكثم بن سخبرة وثقف بن عمرو بن سميط ورفاعة بن مسروح وعبد الله بن الهيب ومسعود بن قيس بن خلدة ومحمود بن مسلمة بن خالد ابن عدى بن مجدعة وأبو الضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية ومبشر بن عبد المنذر بن الزنبر بن زيد بن أمية بن سفيان بن الحارث والحارث بن حاطب وعروة ابن مرة بن سراقة،وأوس بن القائد وأنيف بن حبيب وثابت بن أثلة وعمارة بن عقبة بن حارثة بن غفار وبشر بن البراء بن معرور ، وكان سبب موته أكله من الشاة المسمومة .

وعند فراغ المسلمين من خيبر قدم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة فقال النبى ﷺ : « والله ! ما أدرى بأى الأمرين أنا أشد فرحاً بفتح خيبر أو قدوم جعفر » ! ثم قام إليه فقبّل ما بين عينيه .

فلما فرغ رسول الله ﷺ سار إلى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى ومع رسول الله ﷺ غلام له أهداه رفاعة بن زيد الجذامى ، فبينا هو يضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب فقتله ، فقال المسلمون : هنيئاً له الجنة ! فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذى نفسى بيده ! إن شملته الآن تحترق عليه فى النار ، وكان غلّها من فىء المسلمين » ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أصبت شراكين لنعلين لى ! و قال رسول الله ﷺ : «يبدلك الله مثلها فى النار» .

---

(١) هذه الحادثة تعد من معجزات النبوه الخارقة . أما عن أمر هذه المرأة فقد اختلف الرواة هل هى اسلمت أم لا ؟ انظر فقه السيره صـ ٢٦٣ للبوطى

ثم استأذن رسول الله ﷺ الحجاج بن علاط السلمى وقال : يا رسول الله ! إن لنا مالاً بمكة فأذن لى ، فأذن له ، فقال : يا رسول الله ! وأن أقول ؟ قال : فقل ، قدم الحجاج بمكة وإذا قريش بثنية البيضاء يستمعون الأخبار وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ قد سار إلى خيبر ، وقد كانوا عرفوا أنها أكثر أرض الحجاز ريفاً ومنعة ورجالاً ، فلما رأوه قالوا : يا حجاج ! أخبرنا فإنه قد بلغنا أن القاطع سار إلى خيبر ، فقال الحجاج : عندى من الخبر ما يسركم ! قالوا : ما هى يا حجاج ؟ فقال هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمداً أسراً ، فقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان قتل من رجالهم ؛ فقاموا وصاحوا بمكة : جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فقال الحجاج : أعينونى على مالى بمكة وعلى غرمائى فإنى أقدم خيبر فأصيب من فىء محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل حتى وقف على جنب الحجاج بن علاط ، قال : يا حجاج ! ما هذا الخبر الذى جئتنا به ؟ قال وهل عندك حفظاً لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قال : استأخر عنى حتى ألقاك على خلاء فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف ، حتى إذا فرغ الحجاج من جمع ماله وأراد الخروج لقى العباس فقال : احفظ على حديثى فإنى أخشى الطلب ، قال، افعل ، قال : والله ! إنى تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم صفية بنت حيى ، ولقد افتتح خيبر فصارت له ولأصحابه ، قال : ما تقول يا حجاج ! قال : أى والله ! فاكتم علىّ ثلاثاً ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضى ثلاث فأظهر أمرك فإن الأمر والله على ما تحب ! ثم خرج الحجاج بماله ، فلما كان اليوم الثالث من خروجه لبس العباس حلة وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى طاف بالكعبة ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ! هذا والله التجلد لحر المصيبة ! قال ، كلا والذى حلفتم به ! لقد افتتح محمد خيبر وأصبح عروساً على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها ، قالوا : من جاء

بهذا الخبر ؟ قال : الرجل الذى جاءكم به ولقد دخل عليكم وأخذ ماله وانطلق فلحق برسول الله ﷺ ليصحبه ويكون معه ؛ قالوا يا لعباد الله انفلت عدو الله ،والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ! فلم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك .

وكان رسول الله ﷺ فى رجوعه من خيبر إلى المدينة نزل بعض المنازل ثم قال: من يكلؤنا الليلة ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله منزل رسول الله ﷺ بالناس وناموا ، وقام بلال يصلى فصلى ما شاء الله أن يصلى ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عيناه فنام فلم يوقظهم إلا حر الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هبّاً فقال : « ماذا صنعت يا بلال » ! فقال : يا رسول الله ! أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : « صدقت » ، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس معه ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فإن الله يقول :﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾[١] .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة وأبو هريرة أسلم وقدم المدينة والنبى ﷺ بخيبر وعليها سباع بن عرفطة الغفارى فصلى مع سباع الغداة فى مسجد رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا ﴾[٢] الآية وكان عمرو بن أمية الضمرى خطب أم حبيبة بنت أبى سفيان إلى النجاشى لرسول الله ﷺ وهم بأرض الحبشة حيث حمل كتاب النبى ﷺ فزوجها النجاشى من رسول الله ﷺ على مهرأربعمائة من عنده ، وكان الذى زوجها خالد بن سعيد بن العاص وبعثها النجاشى مع من بقى من المسلمين بأرض الحبشة إلى المدينة فى سفينتين، فلما بلغوا الجار[٣] ركبوا الظهر حتى قدموا على رسول الله ﷺ عند

(١) سورة طه آية ١٤

(٢) سورة المطففين آية ١ : ٢ .

(٣) بتخفيف الراء وهو الذى تجيره أن يضام ، وهى مدينة على ساحل بحر القلزم : بينها وبين المدينة يوم وليلة .. وهى فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند — معجم البلدان .

انصرافه من خيبر . ورد رسول الله ﷺ ابنته[1] على أبى العاص بن الربيع بالنكاح الأول . وقدم عمرو بن العاص زائراً لرسول الله ﷺ ومسلماً عليه من عند النجاشى وكان قد أسلم بأرض الحبشة ومعه عثمان بن طلحة العبدرى وخالد ابن الوليد بن المغيرة .

ثم بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد على سرية إلى بنى مرّة فى ثلاثين رجلاً فقتلوا ورجع وحده إلى المدينة .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على سرية إلى نجد ومعه سلمة بن الأكوع .

وبعث ﷺ غالب بن عبد الله الليثى إلى بنى الملوح فى رمضان فى مائة وثلاثين رجلاً فأغاروا عليهم واستاقوا النعم والشاء وجاءوا بها إلى المدينة ، ونذروا لخروج العدو خلفهم ، فجاء السيل وحال الوادى بينهم وبين المسلمين ، ورجعوا إلى المدينة بالغنائم .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب على سرية فى ثلاثين رجلاً إلى أرض هوازن فخرج معه بدليل من بنى هلال ، فكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار حتى ملكوا هوازن ونذر القوم وهربوا ، ولم يلق عمر كيداً ثم رجع .

ثم بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد إلى جناب فى شوال معه حُسيل بن نويرة فأصابوا نعماً ، وانهزم جمع عيينة بن حصن إلى المدينة .

ثم أراد رسول الله ﷺ أن يعتمر فى ذى القعدة عمرة القضاء لما فاتهم من العام الأول من عمرة الحديبية وعزم أن ينكح ميمونة فبعث أبا رافع ورجلاً من الأنصار من المدينة إلى ميمونة ليخطبها له ثم أحرم وساق سبعين بدنة فى سبعمائة رجل ، واستعمل على المدينة ناجية بن جندب الأسلمى ، وتحدثت قريش أن محمداً وأصحابه فى عسر وجهد وحاجة ، فقدم ﷺ مكة وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول :

---

(١) أى زينب وهى أكبر بناته ﷺ ، تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع العبشمى وأمه هالة بنت خويلد ، هاجرت مع أبيها وأبى زوجها أن يسلم ولم يفرق النبى ﷺ بينهما - راجع الإصابة .

خلوا بنى الكفار عن سبيلـه　　خلوا فكل الخير فى رسوله
يا رب إنى مـؤمـن بقيلـه　　أعرف حق الله فى قبـولـه
نحـن قتلناكـم على تأويله　　كما قتلناكم علـى تنزيلـه
ضرباً يزيل الهام عن مقيله　　ويذهل الخليل عـن خليلـه

واصطفت قريش عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى وقال : « رحم الله امرأ أرهم اليوم من نفسه قوة » ! ثم استلم الركن فخب ثلاثاً ومشى أربعا ، وخب المسلمون معه ، واستلم الركن ، وهرول بين الصفا والمروة ليرى المشركون ، أن به قوة ، ثم خلق ونحر البدن ، فكانت البدنة عن عشرة . وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً وتزوج ميمونة بها وهى حل وهو حرام ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود فى نفر من قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة وقالوا : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ! فخرج رسول الله ﷺ من مكة بالمسلمين وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة حتى أتاه بها بسرف فبنى بها وهما حلالان ثم رجع إلى المدينة .

ثم بعث ﷺ بعد رجوعه من مكة بخمسين رجلاً ابن أبى العوجاء السلمى فى سرية إلى بنى سليم فلقيهم بنو سليم على حرة فأصيب أصحابه ، ونجا هو بنفسه فقدم المدينة .

السنة الثامنة من الهجرة

حدثنا أحمد بن على بن المثنى التميمى بالموصل ثنا عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سلمة عن قتادة وثابت وحميد عن أنس قال : غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! سعّر لنا ، فقال « إن الله هو القابض والباسط المسعر الرزاق ، وإنى أرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة فى نفس ولا مال » .

قال : فى أول هذه السنة غلا السعر على المسلمين فأتوا النبى ﷺ يسعر لهم، فكره رسول الله ﷺ ذلك ثم قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » ؛ ثم قال لا يسوم الرجل على سوم أخيه . ولا يبيع حاضر لباد ، دعو الناس يرزق بعضهم من بعض

ثم طلق رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة ، فقعدت له على طريقة بين المغرب والعشاء ثم قالت : يا رسول الله ! ارجعنى ، فو الله ما بى حب الرجال ! لكنى أحب أن أحشر فى أزواجك ويومى لعائشة ! فردها رسول الله ﷺ.

ثم توفيت زينب بنت رسول الله ، غسلتها سودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية زوجتا رسول الله ﷺ .

ثم بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثى سرية إلى بنى ليث فى بضعة عشر رجلاً ، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وساق نعمهم ومواشيهم إلى المدينة

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعبّاد ابنى الجلندى بعمان ، فصدقا بالنبى ﷺ وأقرا بما جاء به ، وصدق عمرو بن العاص أموالهم، وأخذ الجزية من المجوس .

ثم صالح رسول الله ﷺ المنذر بن ساوى العبدى وكتب إليه كتاباً مع العلاء ابن الحضرمى « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن كتابك جاءنى ورسلك ، وأنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فإنه مسلم ، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم ، ومن أبى فعليه الجزية . فصالحهم العلاء بن الحضرمى على أن على المجوس الجزية ، لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم »

ثم بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغفارى سرية فى خمسة عشر رجلاً حتى انتهى إلى ذات أطلاح من ناحية الشام قريباً من مغار[1] وكانوا من قضاعة، فوجد بها جمعاً ونجا هو بنفسه حتى قدم المدينة .

(١) مغار – بالضم وآخره راء : جبل فوق السوارقية فى بلاد بنى سليم فى جوفه أحساء

ثم بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب سرية إلى بنى عامر قبل نجد فى أربعة وعشرين رجلاً فأغار عليهم ، فجاءوا نعماً وشاء ، فكانت سهمانهم اثنى عشر بعيراً ، ونفلهم النبى ﷺ بعيراً بعيراً .

ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مؤتة ناحية الشام ، فأوصاه بمن معه من المسلمين خيراً وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ، وتجهز الناس معه فخرج معه قريباً من ثلاثة آلاف من المسلمين ومضى حتى نزل معان[1] من أرض الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم ، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، فشجّع الناس عبد الله ابن رواحة وقال : يا قوم ! والله إن التى تكرهون هى التى خرجتم من أجلها ـ الشهادة ! ولا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة ؛ فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ! ثم رحلوا ، فلما كانوا بالقرب من بلقاء لقيهم جموع هرقل فى الروم ، فلما دنا العدو انحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فتعبأ لهم المسلمون وجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بنى عذرة يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار من بنى هريم يقال له عبادة ابن مالك، ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قتل ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى ألحمه القتال فاقتحم عن فرسه الشقراء وعرقبها وقاتل حتى قتل وفيه اثنتان وسبعون ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ، ثم أخذ عبد الله بن رواحة الراية وتقدم بها وهو على فرسه فقاتل حتى قتل وأخذ الراية ثابت بن أقرم وقال : يا معشر المسلمين ! اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن

(1) بالفتح وآخره نون ، والمحدثون يقولونه الضم ويرفضه أهل اللغة ... قال الأزهرى : وميمه ميم مفعل ، وهى مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء – معجم البلدان .

الوليد ، فأخذ خالد الراية ودافع القوم وحاشى بهم ثم انصرف بالناس فنعى رسول الله ﷺ الناس جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة قبل أن يجىء خبرهم ، ثم قال ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم » ؛ وقدم خالد بن الوليد بالمسلمين فتلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون والصبيان يحثون على الجيش التراب ويقولون : أفررتم فى سبيل الله ! ورسول الله ﷺ يقول : « ليسوا بالفرارين ولكنهم الكرارون » .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلال وهم قضاعة ، وكانت أم العاص بن وائل قضاعية فأراد رسول الله ﷺ أن يتألفهم بذلك فخرج فى سراة المهاجرين و الأنصار ، ثم استمد رسول الله ﷺ بأبى عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر فلما اجتمعوا واختلف أبو عبيدة ابن العاص وعمرو بن العاص فى الإمامة ، فقال المهاجرين : أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أميرنا ، فأبى عمرو بن العاص وقال : أنتم لى مدد ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله ﷺ قال لى : إذا قمت على أصحابك فتطاوعنى ؛ وإنك إن عصيتنى لأطيعنك ، فأطاعة أبو عبيدة بن الجراح وكانوا يصلون خلف عمرو ابن العاص ؛ وفيها صلى بهم وهو جنب . فلما قدموا على رسول الله أخبره الخبر ، فقال عمرو : لقيت من البرد شدة وإنى لو اغتسلت خشيت الموت ! فضحك رسول الله ﷺ ، قال عمرو : يا رسول الله ﷺ ! قال الله ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

وفى هذا الشهر كتب رسول الله ﷺ إلى خزاعة بن بديل وبشر وسروات بنى عمرو يدعوهم إلى الله و يعرض عليهم الإسلام .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا قتادة[2] سرية إلى عطفان فى ستة عشر رجلاً ، فبيتوهم وأصابوا نعماً وشياه ورجعوا إلى المدينة .

---

(١) سورة النساء آية ٢٩ .

(٢) وفى الطبرى ٣ / ١٠٦ « إن النبى ﷺ بعث ابن أبى حدرد فى هذه السرية مع أبى قتادة وأن السرية كانت ستة عشر رجلاً وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة وأن سهمانهم كانت اثنى عشر بعيراً يعدل البعير بعشر من الغنم وأنهم أصابوا فى وجوههم أربع نسوة ... » .

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار قبل جهينة وزودهم جراب تمر ، فأصابهم جوع شديد وكان أبو عبيدة يعطيهم حفنة حفنة ، ثم أعطاهم تمرة تمرة ، ثم ضرب لهم البحر بدابة يقال لها العنبر فأكلوا منها شهراً ، ثم أخذ أبو عبيدة ضلعاً فنصبه فمر راكب البعير تحته؛ فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ أخبروه فقال : « هو رزق رزقتموه من الله ، هل عندكم منه شيء » ؟ وسمى هذا الجيش جيش الخبط وذلك جاءوا فكانوا يأكلون الخبط حتى صارت أشداقهم كأشداق الإبل .

ثم استشار عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ أن لى أرضاً بخيبر لم أصب مالاً هو أنفس عندى منه فما تأمرنى ؟ قال : « إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها ، فحبس عمر أصلها وتصدق بها ـ ولا تباع ولا توهب ولا تورث ـ فى الفقراء و الغرباء ، وما بقى فى سبيل الله وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وأن يعطى طريفاً[1] عنه غير متمول فيه .

ثم إن بكر بن عبد مناة بن كنانة خرجت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة فقاتلوا ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك قال للمسلمين : « كأنكم بأبى سفيان قد قدم لتجديد العهد بيننا » ! و كان بديل بن ورقاء بالمدينة فخرج إلى مكة راجعاً ، فلما عسفان لقيه أبو سفيان وكانت قريش قد بعثه إلى رسول الله ﷺ لتجديد العهد ، فقال له أبو سفيان : من أين أقبلت يا بديل ؟ قال : سرت إلى خزاعة ، قال : جزت بمحمد ؟ قال : لا ، ثم خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال يا بنيتى ! ما أدرى أرغبتى بهذا الفراش عنى أم رغبتى بى عنه قالت : هذا فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ! فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ، ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبى ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً ، فذهب إلى أبى بكر فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ ،

(١) والطريف والطارف : المال المستفاد – لسان العرب .

فقال : ما أنا بفاعل ، ثم خرج حتى أتى عمر فكلمه فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ! والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم بهم ! ثم خرج أبو سفيان حتى دخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندها الحسن ابنها يدبّ فقال : يا علي ! إنك أمس القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت ، اشفع لي إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ؛ فالتفت إلى فاطمة فقال : هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ، قالت : ما بلغ ذلك ابني أن يجير بين الناس ، قال : يا أبا الحسن ! إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ما تنصح لي ؟ قال : والله ! ما أعلم شيئاً يغني عنك ولكن قم فأجر بين الناس والحق بأرضك ، قال : وترى ذلك يغني شيئاً؟ قال ما أدري ! فقام سفيان في المسجد فقال : أيها الناس ! إني قد أجرت بين الناس ـ ثم خرج . فلما قدم على قريش مكة قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، قال : فو الله ما رد علي بشيء ! ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم جئت علياً ألين القوم ، وقد أشار علي برأي صنعته ، فوالله ! ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا ! قالوا : وبما ذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز محمد ذلك ؟ قال : لا، قالوا ويحك ! والله إن زاد علي بن أبي طالب على أن لعب بك ! والله ما يغني عنك ما فعلت !

ثم عزم رسول الله ﷺ على المسير إلى مكة و أمرهم بالجد والتهيؤ وقال : «اللهم ! خذ العيون والأخبار عن قريش » ، فلما صح ذلك منه ومن المسلمين كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبر بالذي قد أجمع عليه رسول الله ﷺ ثم أعطاه امرأة من مُزَينة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت ، وأخبر الله رسوله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وقال : أدركا

امرأة من مزينة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قدمنا عليه، فخرجا حتى أدركاها بالحليفة فاستنزلا والتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على : إنى أحلف بالله أن رسول الله ﷺ ما كذب ولا كذبنا إما أن تخرجى الكتاب وإلا نكشفنك فلما رأت الجد قالت : أعرض عنى ، فأعرض عنها على ، فحلت قرون رأسها واستخرجت الكتاب فدفعته إليه ، فجاء به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ! ما حملك على هذا» ؟ قال يا رسول الله ﷺ والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة وكان لى بينهم أهل وولد ، فقال عمر : دعنى أضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال النبى ﷺ : « وما يدريك يا عمر ! لعل الله قد اطلع يوم بدر إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ثم خرج رسول الله ﷺ من المدينة واستخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حصين بن عبيدة بن خلف الغفارى ، وذلك لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله ﷺ فصام المسلمون ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المسلمين ، ولم يعقد الألوية ولا نشر الرايات ، فلما بلغ الكديد ـ والكديد ما بين عسفان وامجِ أفطر وأفطر المسلمون وقد كان عيينة بن حصن الفزارى لحق رسول الله بالعَرج ولحقه الأقرع بن حابس التميمى فى نفر من أصحابهما فقال عيينة : يا رسول الله ! والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الأجرام ، فأين تتوجه ؟ قال رسول الله ﷺ : « حيث شاء الله » ، فلما بلغ رسول الله ﷺ مر الظهران قد عَمِّيت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار وينظرون هل يرون خبراً أو يسمعون به فقال العباس بن عبد المطلب : يا صباح قريش ! والله لئن دخل رسول الله ﷺ عنوة قبل أن يأتوه فاستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ! فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ومضى عليها

حتى أتى الأراك وقال هل أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه ويستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، فبينما هو يسير إذ سمع كلام أبى سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالليلة نيراناً قط وعسكرا فقال بديل بن ورقاء : هذه والله نيران خزاعة ! فقال أبو سفيان : خزاعة والله ألام وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ! فلما عرف العباس صوتهم قال : يا أبا حنظلة ! فعرف أبو سفيان صوته فقال : أبو الفضل ؟ قال : نعم ، قال : مالك ؟ قال : فداك أبى وأمى ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله ﷺ ! قال : واصباح قريش ! قال : فما الحيلة ـ فداك أبى وأمى ؟ قال العباس : أما والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ! فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ ، فركب أبو سفيان خلف العباس ورجع صاحباه إلى مكة ؛ فكلما مر العباس بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ وإذا قالوا : بغلة رسول الله ﷺ و العباس عليها عمه ، فلما مر بنار عمر بن الخطاب قال : من هذا ؟ وقام إليه فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد ! ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ، وركض العباس بالبغلة فسبقه إلى رسول الله فاقتحم العباس على باب القبة ودخل على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عقد ولا عهد ! فدعنى أضرب عنقه ، فقال العباس : يا رسول الله ! إنى قد أجرته ، ثم جلس العباس إلى رسول الله ﷺ وأكثر عمر فى شأن أبى سفيان ، فقال العباس : مهلاً يا عمر ! أما والله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ! فقال عمر : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ! وما بى إلا أنى عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، إذا أصبحت فأتنى به » ، فذهب به العباس إلى رحله فبات عنده ، فلما أصبح غدا به إلى رسول الله ﷺ ،

فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه فإن فى النفس منها شيئاً حتى الآن ، فقال العباس : ويحك ! أسلم قبل أن يضرب عنقك ، فتشهد أبو سفيان شهادة وأسلم ؛ فقال العباس : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ! ومن دخل المسجد فهو آمن » ! فلما أراد أبو سفيان أن ينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ! احبسه ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ، فخرج به العباس فحبسه حيث أمر به رسول الله ﷺ ، ومرت القبائل على راياتها ؛ كلما مرت قبيلة قال أبو سفيان : من هؤلاء يا عباس ؟ فيقول العباس : سليم ، فيقول أبو سفيان : مالى ولسليم ! ثم مرت به القبيلة فقال : من هؤلاء فقال العباس مزينة ، قال : مالى ولمزينة ـ حتى مرت القبائل ، لا تمر به قبيلة إلا سأله عنها فإذا أخبره قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ فى الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ فيها المهاجرون والأنصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، قال : سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ! قال ولا حد بها ولا قبل ولا طاقة يا أبا الفضل! لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! فقال العباس : يا أبا سفيان إنها لنبوة! قال : فنعم إذا ، قال العباس : أرحلك إلى قومك ، فخرج أبو سفيان حتى إذا دخل مكة صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ! فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمش ! فقال أبو سفيان : لا يغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ! قالوا : قبحك الله ! وما تغنى دارك ؟ قال :

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ! ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم و إلى المسجد .

ولما بلغ رسول الله ﷺ ذا طوى، فرق جنوده ، فبعث علياً من ثنية المدنيين ، وبعث الزبير من الثنية التى تطلع على الحَجُون[١] وبعث خالد بن الوليد من الليط وأخذ رسول الله ﷺ طريق أذاخر . أمرهم أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، فبلغ رسول الله ﷺ أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وعبد الله ابن زمعة وسهيل بن عمرو قد جمعوا جماعة من قريش والأحابيش بالخندمة ليقاتلوا رسول الله ﷺ ، فلقيهم خالد بن الوليد بمن معه من المسلمين[٢] ناوشوهم فقتل منهم خالد بن الوليد ثلاثة وعشرين رجلاً وهو معهم، وقتل من المشركين كرز بن جابر الفهرى ؛ فمن ههنا اختلف الناس فى فتح مكة عنوة[٣] كان أم صلحاً .

(١) وفى الطبرى ٣ / ١١٧ « لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبى ﷺ عامدين إلى مكة بعث فى أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون ، وقال للزبير : لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتى حتى آتيك ، ومن ثم دخل رسول الله ﷺ ، وأمر خالد ابن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبنى سليم وأناس إنما أسلموا قبيل ذلك أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش ، أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة ، حدثت أن النبى ﷺ قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكما ... » .

(٢) وفى الطبرى « فلما قدم خالد على بنى بكر والأحابيش بأسفل قاتلهم فهزمهم الله عز وجل ولم يكن بمكة قتال غير ذلك غير أن كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وابن الأشعر رجلاً من بنى كعب كانا فى خيل الزبير فسلكا كداء ولم يسلكا طريق الزبير الذى سلك الذى أمر به ، فقدما على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلا ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير ومن قدم النبى ﷺ وقام الناس إليه يبايعونه فأسلم أهل مكة وأقام النبى ﷺ عندهم نصف شهر لم يزد ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين» .

(٣) عنوة : أى بالحرب والقتال وفى كتاب المغازى ٢ / ٨٢٥ « فلما دخل خالد بن الوليد وجد جمعاً من قريش وأحابيشها قد جمعوا له ، فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فمنعوه الدخول وشهروا السلاح ، وقالوا : لا تدخلها عنوة أبداً ! فصاح خالد بن الوليد فى أصحابه وقاتلهم فقتل منهم ــ إلخ » . قال فى الروض ٢ / ٢٧٢ ما نصه « ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مكة فقد اختلف هل افتتحها النبى ﷺ عنوة أو صلحاً ليبتنى على ذلك الحكم هل أرضها ملك لأهلها أم لا ؟ وذلك أن=

فلما بلغ أبا قحافة قدوم النبى ﷺ مكة قال لابنه من أصغر ولده : أى بنيتى ! اظهرى بى على ظهر قيس وكان نظره قد كف إذ ذلك ، فقال : أى بنية ! ما ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ؛ ثم قالت : والله قد انتشر السواد ! فقال : والله لقد دفعت الخيل سرعى إلى بيتى ! فانخبطت به وتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته .

ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر مكة على رأسه مغفر من حديد عليه عمامة سوداء ، ولم يلق أحد من المسلمين قتالاً إلا ما كان من خالد بن الوليد وكان رسول الله ﷺ أمر بقتل ستة أنفس من المشركين قبل قدومهم إلى مكة ، وقال : « أى موضع رأيتم هؤلاء فاقتلوهم » : عبد الله بن سعد بن أبى سرح وعبد الله ابن خطلٍ رجل من بنى تميم بن غالب والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى ومقِيس بن صبابة الليثى وسارة مولاة كانت لبعض بنى عبد المطلب ، فأما عبد الله بن أبى سرح ففر إلى عثمان بن عفان وكان أخاه فى الرضاعة فغيبه عثمان حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمنه ، وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على ابن أبى طالب ؛ وأما ابن خطل فتعلق بأستار الكعبة يلوذ بها فقال النبى ﷺ :

=عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج فإن ذلك لا يحل لهم ، وقال مالك رحمه الله: إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لا ينهاهم أحد ، وروى أن دور مكة كانت تدعى السوائب ، وهذا كله منتزع من أصلين : أحدهما قوله تبارك وتعالى : ﴿ والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ ، وقال ابن عمرو عن بن عباس : الحرم كله مسجد ، والأصل الثانى أن النبى ﷺ دخلها عنوة غير أنه منّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد كما ظن بعض الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين : أحدهما ما خص الله به نبيه فإنه قال ﴿ قل الأنفال لله والرسول ﴾ والثانى ما خص الله تعالى به مكة فإنه جاء : لا تحل غنائمها ولا تلتقط لقطتها وهى حرم الله تعالى وأمنه ، فكيف تكون أرضها أرض خراج ! فليس لأحد افتتح بلداً أن يسلك به سبيل مكة ، فأرضها إذا ودورها لأهلها ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ولا يأخذوا منهم كراء فى مساكنها : فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا فتحت عنوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فتحت عنوة . وذكر الهذلى الذى قتل وهو واقف فقال : أقد فعلتموها يا معشر خزاعة ! وروى الدار قطنى فى السنن أن النبى ﷺ قال : « لو كنت قاتل مسلم بكافر لقتلت خراشاً بالهذلى يعنى بالهذلى قاتل ابن أشوغ وخراش هو قاتله وهو من خزاعة » .

«اقتلوه» ، فقتله سعيد بن المخزومي وأبو برزة تحت الأستار ، اشتركا في دمه ؛ وأما مقِيَس فقتله نُميلة بن عبد الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « لا يقتل قرشي صبراً بعد اليوم » ! ونزل النبي ﷺ الأبطح وضرب لنفسه فيه قبة ؛ وجاءته أم هانيء بنت أبي طالب فوجدت رسول الله ﷺ يغتسل في جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليها فقال : مرحباً مرحباً وأهلاً بأم هانيء ! ما الذى جاءبك ؟ » قالت : رجلان من أصهارى من بني مخزوم وقد أجرتهما وأراد على قتلهما ـ وكانت أم هانيء تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي ـ فقال رسول الله ﷺ : « آجرنا من أجرت يا أم هانيء » ! ثم إن عمير بن وهب قال : يا رسول الله ! إن صفوان بن أمية سيد قومه وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه ، قال : « هو آمن » ، قال : يا رسول الله ! أعطني شيئاً يعرف به أمانك ، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة ، فخرج عمير بها حتى أدرك صفوان بن أمية بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال : يا صفوان ! فداك أبي وأمي ! أذكرك الله في نفسك أن تهلكها ! فهذا أمان من رسول الله ﷺ جئتك به ؛ قال : ويلك ! اغرب عني ، قال : أى صفوان ! فداك أبي وأمي! أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمتك رسول الله ﷺ ، عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك ، قال صفوان : ويلك ! إني أخافه على نفسي ، فأعطاه العمامة ، وخرج به معه ، فلما وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ ! هذا زعم أنك قد آمنتني ، قال : « صدق » ، قال : فاجعلني بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

ثم جاء رسول الله ﷺ وطاف بالبيت سبعاً على بعيره يستلم الركن بمحجنه، ثم طاف بين الصفا والمروة ، ثم دعا عثمان بن طلحة الحجبي فأخذ مفتاح الكعبة وفتحه ثم دخله وصلى فيه ركعتين بين الأسطوانتين ، بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، ثم خرج فوقف على بابها وهو يقول: « لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يُدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ؛ ألا وقتيل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيه الدية مغلظة مائة ناقة ، منها أربعون في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ـ ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] ثم قال : « يا أهل مكة ! ما ترون أنى فاعل بكم؟» قالوا : خيراً ،أخ كريم وابن كريم ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله ! اجعل الحجابة مع السقاية فلتكن إلينا جميعاً فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة الحجبى ؟ » فدعاه فقال : « هل لك مفتاحك » ؟ فدفعه إليه .

فلما كان الغد من فتح مكة عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال : « أيها الناس ! إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهى حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً » ، ثم قال : « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلك عليها رسوله وإنها لم تحل لأحد قبلى ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار، وإنها لا تحل لأحد بعدى ؛ لا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ولا يحل ساقطتها إلا لمنشد » ، فقال العباس : إلا الإذخر ! فإنا نجعله في بيوتنا وقبورنا ، فقال رسول الله ﷺ : « إلا الإذخر » . وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل وفاختة بنت الوليد تحت صفوان بن أمية فلما أسلمنا قالت أم حكيم لرسول الله ﷺ وسألته أن يستأمن عكرمة ، فآمنه وقد كان خرج إلى اليمن حتى جاءت به ، وأسلم عكرمة و صفوان فأقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول الذى كانا عليه .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

ثم أمر رسول الله ﷺ كل من كان فى بيته صنم أن يكسره فكسروا الأصنام كلها وكسر خالد بن الوليد العزى ببطن نخلة وهدم بيته فقال النبى ﷺ : «تلك العزى لا تعبد أبداً » . وكسر عمرو بن العاص سواع ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله . وكسر سعد بن زيد الأشهلى المناة بالمشلل .

ثم بعث رسول الله ﷺ حول مكة الناس يدعون إلى الله ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً ومعه سليم ومدلج وقبائل من غيرهم ، فلما نزلوا بغميصاء وهى من مياه بنى جذيمة وكانت بنو جذيمة قد أصابوا فى الجاهلية عوف بن عبد أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة كانا أقبلا تاجرين من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهم ، فلما كان الإسلام بلغ خالد بن الوليد إليهم ورآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح فإن القوم أسلموا فوضع القوم السلاح لقول خالد ، فلما وضعوا أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال : «اللهم ! أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ؛ ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال : يا على ! اخرج إلى هؤلاء القوم وانظر فى أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » ، فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه به رسول الله ﷺ ، ثم ودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى لم يبق لهم شىء من دم ولا مال إلا وداه ، وبقيت معه بقية فقال لهم على بقى لكم من دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا : لا ، قال فإنى أعطيكم هذه البقية من المال احتياطاً رسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، قال : « أصبت » .

ثم إن هوازن لما سمعت بجمع رسول الله ﷺ ودخوله مكة اجتمعت مع ثقيف[1] وجشم وسعد بن بكر ، وكان فيهم دريد بن الصمة وهو شيخ كبير

(١) وفى الطبرى ٣ / ١٢٥ « عن عروة قال : أقام النبى ﷺ بمكة عام الفتح نصف شهر لم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين وحنين واد إلى جنب ذى المجاز وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبى ﷺ وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة – إلخ » .

كبير ليس فيه إلا التيمّن برأيه و بعلمه بالحرب وفى ثقيف قارب بن الأسود بن مسعود ، وفى بنى بكر سبيع بن الحارث ، وكان جماع أمر الناس إلى مالك ابن عوف ، فأجمع مالك بالناس على المسير إلى رسول الله ﷺ ، فساروا حتى إذا أتوا بأوطاس ومعه الأموال و الأبناء والنساء فقال دريد بن الصمة : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء الإبل ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء ! قالوا : ساق ابن عوف بأوطاس مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فقال دريد : يا مالك ! إنك أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ما لى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير، فقال مالك : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ، ونساءهم قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فانقض به فقال : وهل يرد القوم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحتَ فى أهلك ومالك ، ما فعلت كعب وكلاب ؟ قال مالك لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الحدّ والجدّ ، لو كان علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب يا مالك ! لا تضع بتقديم البيضة بيضة هوزان إلى نحور الخيل شيئاً ارفعهم فى متمنّع بلادهم وعُليا قومهم ثم الق الصُبّاء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزتَ مالك وأهلك ،قال : تلك والله لا أفعل لتطيغنى يا معشر هوزان أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون فيها لدريد ذكر ورأى ؛ قالوا : أطعناك ، فقال مالك للقوم : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا عليهم شد رجل واحد وجاء الخبر رسول الله ﷺ فبعث عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، فدخل فى الناس فأقام فيهم حتى سمع وعلم من كلام مالك وأمر هوزان ما كان وما أجمعوا له ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره .

فائجمع على المسير إلى هوازن

وقيل لرسول الله ﷺ : إن عند صفوان بن أمية أدراعاً ، فأرسل إليه ، فقال : « يا أبا أمية ! أعرنا سلاحك نلقى فيها عدونا » ، فقال صفوان : أغصباً ؟ قال: لا ، بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ، وسأله النبى ﷺ أن يكفيه حملها ، فحملها صفوان لرسول الله ﷺ ، وخرج رسول الله ﷺ من مكة معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، واستعمل على مكةعتّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية أميراً ، وكان مقامه ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة يقصر فيها الصلاة ؛ فبينا الناس مع رسول الله ﷺ يسيرون إذ مروا بسدرة قال أبو قتادة الليثى : يا رسول الله ! اجعل هذه ذات أنواط ، كما للكفار ذات أنواط ـ وكان للكفار سدرة يأتونها كل سنة ويعلقون عليها أسلحتهم ويعكفون عليها ويذبحون عندها ـ فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ! قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾[1] ! لتركبن سنن من قبلكم.

فلما بلغ رسول الله ﷺ وادى حنين وانحدر المسلمون فى الوادى قرب الصبح وهو واد أجوف ، وقد كمن المشركون لهم فى شعابه ومفارقه فأعدوا للقتال ، فبينا رسول الله ﷺ ينحدر و المسلمون بالوادى إذ اشتدت عليهم الكتائب من المشركين شد رجل واحد ، وانهزم المسلمون راجعين ، لا يعرج أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال : أيها الناس ! هلموا ، أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله ! واحتملت الإبل بعضها بعضاً ومع رسول الله ﷺ رهط من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، فلما رأى رسول الله ﷺ لا يعطفون على شىء قال : « يا عباس ! اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السمرة » ! فنادى العباس ـ وكان امرأ جسيماً شديد الصوت : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

السمرة ! فأجابوا لبيك لبيك ! وكان الرجل من المسلمين يذهب ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ثم يأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم عن بعيره فيخلى سبيل بعيره ويؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ، حتى اجتمع على رسول الله ﷺ مائة رجل واستقبلوا الناس وقاتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم جعلت أخيراً فقالوا : يا للخزرج ! وكانوا صُبُرا عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ فى ركابه ونظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمى الوطيس ! وإذا رجل من هوازن على جمل أحمر فى يده راية سوداء وفى رأسه رمح طويل أمام الناس هوازن خلفه ، فإذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته رفعه لمن وراءه ويتبعونه ، فأهوى إليه على بن أبى طالب ورجل من الأنصار يريدانه ، فأتاه علىّ من خلفه فضربه فوقع على عجزه ، ووثبت الأنصار على الرجل فضربوه ضربه أطن بها قدمه بنصف ساقه ، واختلف الناس وكان شعار المهاجرين يومئذ : يا بنى عبد الرحمن ! وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله وشعار الأوس : يا بنى عبيد الله .

وكانت أم سليم بنت ملحان مع زوجها أبى طلحة فالتفت رسول الله ﷺ وهى حازمة وسطها ومعها جمل أبى طلحة فقالت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فقال رسول الله ﷺ : « أو يكفى الله يا أم سليم » ! وإنها يومئذ لحبلى بعبد الله بن أبى طلحة ومعها خنجر فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بعجت بطنه ، فقال أبو طلحة : يا رسول الله ! ألا تسمع ما تقوله أم سليم .

ورأى أبو قتادة رجلين يقتتلان : مسلم ومشرك ، فإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه ، فأتاه أبو قتادة فضرب يده فقطعها ، فاعتنقه المشرك بيده الثانية وصدره فقال أبو قتادة : والله ! ما تركنى حتى وجدت ريح الموت ! فلو لا

أن الدم نزفه يقتلني ، فسقط وضربته فقتلته ، ثم انهزم المشركون وأخذ المسلمون يكتفون الأسارى ، فلما وضعت الحرب أوزارها قال رسول الله ﷺ : «من قتل قتيلاً فله سلبه» . فقال رجل من أهل مكة : يا رسول الله ! لقد قتلت قتيلاً ذا سلب وأجهضني عنه القتال فلا أدرى من سلبه ! فقال رجل من أهل مكة : يا رسول الله ! أنا سلبته فأرضه منى عن سلبه ؛ فقال أبو بكر الصديق : أيعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تقاسمه سلبه ! رد عليه سلبه ، فقال رسول الله ﷺ : «وصدق أبو بكر رد عليه سلبه» ، فرد عليه . قال أبو قتادة : فبعته فاشتريت به مخرفاً (١) فى المدينة لأنه أول مال تأثلته (٢) فى الإسلام

وكان على راية الأحلاف من ثقيف يوم حنين قارب بن الأسود ، فلما رأى الهزيمة أسند رايته إلى شجرة وهرب وكان على راية بنى مالك ذو الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله وأقامها للمشركين ، فقتل عثمان وانحاز المشركون منهزمين إلى الطائف وعسكر بعضهم بأوطاس .

وبعث رسول الله ﷺ الخيول فى آثارهم ، فأدرك ربيعة بن رفيع دريدَ بن الصمة وهو فى شجار على راحلته فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، فلما أناخه إذا شيخ كبير وإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فكان ربيعة غلاماً ، قال دريد ماذا تريد بى قال : أقتلك ! قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى وضربه ربيعة بسيف فلم يقدر شيئاً ، فقال له دريد : بئس ما أسلحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر رحلى فى الشجار ثم أضرب وارفع عن العظام وأخفض عن الدماغ ، فإنى كذلك كنت أقتل الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة بسيفه .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجمعت بالجعرانة ؛ وبعث فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى فأدرك الناس بعض من انهزم فساروا يرمون

---

(١) أى حائطاً من النخل .

(٢) أى اكتسبته .

كل من لقوه ورمى أبا عامر بسهم فقتل ، وأخذ برايته بعده أبو موسى فقاتلهم ففتح له وهزمهم الله .

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى الطائف ، وفيها مالك بن عوف وقد عسكر جماعة من المشركين وعلى مقدمة خيل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فرأى رسول الله ﷺ امرأة مقتولة فقال : « من قتل هذه » ؟ قال : خالد بن الوليد ، فقال لرجل : « أدرك خالداً وقل له : يقول لك رسول الله ﷺ : لا تقتلوا امرأة ولا ولداً ولا عسيفاً »[1] . فلما بلغ رسول الله ﷺ الطائف نزل قريباً ، فلم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطاً فضرب معسكره رسول الله ﷺ عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، وحاصرهم بضع عشرة ليلة ، وأمر أعنابهم ، وقاد رجلاً من هذيل من بنى ليث ، وهو أول دم أقيد فى الإسلام ، ثم نصب المنجنيق على حصنهم حتى فتحه الله عليه ؛ وكان فى أيامه يقصر الصلاة .

وقد كان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع مخنث يدخل على نساء رسول الله ﷺ ، فسمعه رسول الله ﷺ وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ! إن فتح رسول الله ﷺ غداً فلا تفلتن منك بادية بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا يفطن لما سمع به ، ثم قال لنسائه : لا يدخلن عليكن ! فحجب عن بيت رسول الله ﷺ ، ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف إلى الجعرانة فقال له سراقة بن جعشم المدلجى : يا رسول الله ! ترد الضالة حوضى فهل فيه أجر إن أنا سقيتها؟ فقال رسول الله ﷺ (فى كل كبد حرّى أجر) . ونهى رسول الله ﷺ عن وطىء الحبالى حتى يضعن[2] . وبينما النبى ﷺ قاعد بالجعرانة ومعه ثوب وقد أظل به مع ناس من أصحابه إذ جاءه أعرابى ـ عليه جبة ـ متضمخ بطيب فقال: يا رسول الله ! كيف ترى برجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ما تضمخ بطيب ؟ وإذا النبى ﷺ مخمر الوجه يغط ، فلما سرى عنه قال : « أين الذى

(١) أى عجوزاً .

(٢) أى أنه نهى أصحابه عن جماع سبايا الحرب الحبالى حتى يضعن مافى بطونهن .

سألنى عن العمرة آنفاً ؟» فأتي به فقال : أما الطيب فاغسله عنك وأما الجبة فانزعها ، ثم اصنع فى عمرتك ما تصنع فى حجتك» ؛ وقسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة بين المسلمين ، فأصاب كل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ، ومن كان فارساً أخذ سهمه وسهمى فرسه ، ثم أخذ رسول الله ﷺ وبرة من سنام بعيرة ثم قال : « أيها الناس ! إنى والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخيط والمخيط ، فإن الغلول يكون على أهله ناراً وشناراً يوم القيامة » ! فجاءه رجل من الأنصار بكُبَّة خيوط من شعر ، قال : يا رسول الله! أخذت هذه الكبة أخيط بها بردعة بعير لى ، فقال رسول الله ﷺ : « أما نصيبى منها فلك » ، فقال : أما إذا بلغت هذه فلا حاجة لى فيها .

ثم أسلم مالك بن عوف وقال : يا رسول الله ! ابعثنى أضيق على ثقيف ، فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه من تلك القبائل ومن تبعه من بنى سليم ، فكان يقاتل ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليهم .

ثم جاء وفد هوازن راغبين فى الإسلام ـ بعد أن قسم لهم رسول الله ﷺ السبى فأسلموا .

ثم أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم تألفاً ، فأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى شيئاً دونهم ، فقال فيه أبياتاً ، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فقال قائل الأنصار : ألا إن رسول الله ﷺ قد لقى قومه ، فانطلق سعد بن عبادة فدخل على رسول الله ﷺ : وقال : يا رسول الله ! الأنصار قد وجدوا فى أنفسهم مما رأوك صنعت فى هذه العطايا ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : ما أنا إلا رجل من قومى ، قال : «فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة » ، فخرج سعد فنادى فى قومه : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تجتمعوا فى هذه الحظيرة ، فقاموا سراعاً وقام سعد على باب الحظيرة

فلم يدخلها إلا رجل من الأنصار وقد رد أناساً ، ثم أتى النبى ﷺ فقال : هذه الأنصار قد اجتمعت لك ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال : « يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتنى عنكم ؟ أكثرتم فيها ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله ؟ ألم تكونوا عالة فأغناكم الله ؟ ألم تكونوا أعداء فألف الله بينكم » ؟ قالوا: بلى، قال : « أفلا تجيبونى » ؟ قالوا : إليك المن والفضل ، قال : « أما والله لو شئتم لقلتم وصدقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك وعائلاً فآسيناك، ومكذباً فصدقناك ! أوجدتم فى أنفسكم من لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ! فالذى نفس محمد بيده ! لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، إن الأنصار كرشى وعيبتى ، اللهم اغفر للأنصار وأبناء الأنصار ولأبناء أبنائهم » ! فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله وبرسوله حظاً وقسماً ونصيباً ! ثم تفرق الأنصار . وفى هذه المقالة قال ذو الخويصرة : يا رسول الله ! اعدل ، فقال رسول الله ﷺ : « شقيت إن لم أعدل» ، ثم علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى ألجأوه إلى شجرة عظيمة وخطفت رداءه . فقال رسول الله ﷺ : « ردوا على ردائى ، فو الذى نفس محمد بيده لو كانت عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدونى كذوباً ولا جباناً ولا بخيلاً» .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً فاعتمر منها فبات بالجعرانة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد أميراً وخلّف معه معاذ بن جبل يفقّه الناس ويعلمهم القرآن ، وكانت هذه العمرة فى ذى القعدة .

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة يريد المدينة فسلك فى وادى سرف حتى خرج على سرف ؛ ثم على مرّ الظهران حتى قدم المدينة فى بقية ذى القعدة .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية فاستعاذت ،

من رسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « قد عذت بعظيم ! إلحقى بأهلك» ، وفارقها . وحج بالناس عتاب بن أسيد .

وولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية في ذى الحجة فوقع في قلب النبي ﷺ منه شيء ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : « السلام عليك يا إبراهيم » ! فسرى عن رسول الله ﷺ ، وتنافست نساء الأنصار فيه أيتهن ترضعه، فدفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد وزوجها بن مبذول فكانت ترضعه ؛ وحلق رسول الله ﷺ رأسه يوم السابع وتصدق بوزن شعره فضة على المساكين وعق عنه بكبشين ؛ وعاش ستة عشر شهراً.

السنة التاسعة من الهجرة

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمى بعسقلان ثنا محمد بن المتوكل ابن أبي السرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرآتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[1] فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس ! ثم قال : هي عائشة وحفصة ـ ثم أنشأ يسوق الحديث فقال : كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدناهم قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، وكان منزلي في بني أمية بن زيد في العوالى ، قال فتغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني فقال : ما تنكر أن أرجعك ! فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ! فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين على رسول الله ﷺ ؟ فقالت : نعم ،

(١) سورة التحريم آية ٤ ، وقد وقع هنا بعده إهمال أو اختصار فإن جميع المراجع تتفق على الزيادة التالية: حتى حج فحججت معه وعدل فعدلت معه بالإداوة فبرز ثم جاء فسكبت على يده من الإداوة فتوضأ ثم قلت : يا أمير المؤمنين ! من المرأتان من أزواج رسول الله ﷺ اللتان قال الله لهما ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ .

وتهجره إحدانا اليوم إلى الليل ؛ قال : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ؛ أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذا هى قد هلكت، فلا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ـ يريد عائشة ؛ قال : وكان لى جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً وأنزل يوماً فيأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا ، قال : فنزل صاحبى يوماً ثم أتانى عشاء فضرب على بابى ثم نادانى ؟ فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ! فقلت : وماذا ؟ أجاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ! طلق رسول الله ﷺ نساءه فقلت : خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائناً ، فلما صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة فإذا هى تبكى ، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ فقال لا أدرى ، هوذا معتزل فى هذه المشربة ، قال : فأتيت غلاماً له أسود فقلت : استأذن لعمر ، فدخل الغلام ثم خرج إلىّ وقال : قد ذكرتك به ولم يقل شيئاً ، فانطلقت حتى أتيت المسجد فإذا قوم حول المنبر جلسوا يبكى بعضهم إلى بعض ، قال : فجلست قليلاً ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلىّ وقال : قد ذكرتك له فصمت ، فرجعت ثم جلست إلى المنبر ، ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلىّ فقال : قد ذكرتك له فسكت ، فوليت مدبراً فإذا الغلام يدعونى ويقول : ادخل ، قد أذن لك ، فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متّكىء على رمل حصير قد أثر بجنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله ﷺ نساءك ؟ قال : فرفع رأسه إلىّ وقال : «لا » ، فقلت : الله أكبر ! لو رأيتنا يا رسول الله و كنا معشر قريش نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فتغضبت على امرأتى يوماً فإذا هى تراجعنى ، فأنكرت ذلك عليها

فقالت لى : أتنكر أن أرجعك ! فو الله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليلة ! قال : فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر ! أتأمن إحداهن أن يغضب الله عليهم لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت ! قال : فتبسم رسول الله ﷺ ! فقلت: يا رسول الله ! فدخلت على حفصة فقلت لها : لا تراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً وسلينى ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ، قال : فتبسم رسول الله أخرى ، فقلت أستأنس يا رسول الله ؟ قال : « نعم» ، قال : فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة ، فقلت يا رسول الله ، ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدونه ، قال : فاستوى جالساً ثم قال : «أوفى شك أنت يا ابن الخطاب ! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا » ، فقلت : استغفر لى يا رسول الله ! وكان أقسم أن لا يدخلن عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله .

قال الزهرى : فأخبرنى عروة عن عائشة قالت : فلما مضى تسع وعشرون ليلة دخل علىّ رسول الله ﷺ ، بدأ بى ، فقلت : يا رسول الله ! إنك أقسمت أن لا تدخلن علينا شهراً وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن ، فقال : « إن الشهر تسع وعشرون » ، ثم قال : « يا عائشة ! إنى ذاكر لك أمراً فلا أراك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك » ! قلت : ثم قرأ علىّ الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ ـ إلى قوله : ﴿ عَظِيمًا ﴾[1] قالت عائشة : قد علم والله أن أبوىّ لم يكونا يأمرانى بفراقه ، فقلت : أفى هذا أستأمر أبوىّ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

قال : فى أول هذه السنة هجر رسول الله ﷺ نساءه شهراً ، وكان السبب فى ذلك أن رسول الله ﷺ ذبح ذبحاً فأمر عائشة أن تقسم بين أزواجه ، فأرسلت إلى زينب بنت جحش نصيبها فردته ، قال : « زيديها » ، فزادتها ثلاثاً ، كل

(١) سورة الأحزاب آية ٢٨ .

ذلك ترده ، فقالت عائشة : قد أقمأت[1] وجهك . فقال رسول الله ﷺ : «أنتن أهون على الله من أن تغضبن ، لا أدخل عليكن شهراً » ! فدخل عليهن بعد مضى تسع وعشرين يوماً .

ثم بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرز فى صفر إلى الحبشة فانصرف ولم يلق كيداً .

وفى هذه السرية أمر علقمة أصحابه أن يوقدوا ناراً عظيماً ثم أمرهم أن يقتحموا فيها ، فتحرزوا وأبوا ذلك ؛ فقال النبى ﷺ : « من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه » .

ثم قدم على رسول الله ﷺ وقد بلى فى ربيع الأول ، ونزل على رويفع بن ثابت البلوى .

وقدم وفد بنى ثعلبة بن منقذ . وفيها وفد سعد هذيل .

وقدم الداريون من لخم عشرة أنفس : هانىء بن حبيب والفاكه بن النعمان وحبلة بن مالك وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر وتميم بن أوس ونعيم بن أوس ويزيد بن قيس وعروة بن مالك وأخوه مرة بن مالك ، وأهدوا إلى رسول الله ﷺ راوية خمر ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله قد حرم الخمر » ، فأمروا ببيعها، فقال رسول الله ﷺ : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها » .

وقدم وفد بنى أسد فقالوا : يا رسول الله ! قدمنا عليك قبل أن ترسل إلينا رسولاً ، فنزلت هذه الآية ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾[1] .

وقدم عروة بن مسعود بن معتب الثقفى على رسول الله ﷺ فأسلم ، ثم

---

(١) أى أذلت وفى الأصل : أقمت ، والتصحيح من سنن ابن ماجه واللفظ فيها هكذا : إنما آلى لأن زينب ردت عليه هديته فقالت عائشة : لقد أقمأتك ! فغضب رسول الله ﷺ فآلى منهن - راجع باب الإيلاء من كتاب الطلاق .

(٢) سورة الحجرات آية ١٧ ، وقد ذكرت هذه الوفادة فى الطبرى ٣ / ١٣٩ وفى الطبقات - القسم الثانى من الجزء الأول ص ٣٩ .

استأذن أن يرجع إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « هم قاتلوك » ! قال : أنا أحب إليهم من أبكار أولادهم ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فخرج إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام وأذن بالصبح على غرفة ، فرماه رجل من بني ثقيف بسهم فقتله .

وبعث رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان الكلابى إلى القرطاء سرية فأصابهم بغدير الزج ، وكتب إليهم النبى ﷺ كتاباً فأبوا ورقعوا كتابهم بأسفل دلوهم .

وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب سرية إلى الفلس من بلاد طيء فى ربيع الآخر ، فأغار عليهم وسبى منهم نساء فيهن أخت عدى بن حاتم .

ثم نعى رسول الله ﷺ النجاشى للناس فى رجب وقال : « صلوا على صاحبكم » ، فقام فصلى هو وأصحابه وصفوا خلفه ، وكبر عليه أربعاً .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزوة الروم

فى شدة الحرب وجدب من البلاد حين طاب الثمار وأحبت الظلال ، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج فى غزوة إلا ورّى بغيرها غير غزوة تبوك هذه ، فإنه أمر التأهب لها لبعد الشقة وشدة الزمان ؛ وحض رسول الله ﷺ أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ورغبهم فى ذلك ، وحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدأعظم من نفقته ، ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤن وهم سبعة نفر ، فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[1] وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ بعذرهم وهم بنو غفار ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأبهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك أخو بنى سلمة مرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بنى واقف وأبو خيثمة أخو

---

(١) سورة التوبة الآية (٩٢) .

بنى سالم ، وكانوا نفر صدق ولا يتهمون فى إسلامهم ، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة وضرب معسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى بن سلول معسكره أسفل منه ، وخلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة أخا بنى غفار ، فقال المنافقون : والله ما خلفه علينا إلا استثقالاً له ، فلما سمع ذلك علىّ أخذ سلاحه ثم خرج حتى لحق رسول الله ﷺ وهو نازل بالجوف وقال : يا نبى الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى استثقالاً ؟ فقال : « كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ! ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » ! فرجع علىّ إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ ، وتخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين ، فلما نزل رسول الله ﷺ بالحجر استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً » ؛ ثم دعا رسول الله ﷺ ؛ فأرسل الله السحاب فأمطر حتى ارتوى الناس وتوضأوا . ثم إن رسول الله ﷺ نزل فى بعض المنازل فضلت ناقته فخرج أصحابه فى طلبها ، فقال بعض المنافقين : أليس محمد يزعم أنه نبى ويخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسول الله ﷺ : « والله ما أعلم إلا ما علمنى الله ! وقد علمنى أنها فى الوادى بين شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها » ، قال : « فانطلقوا حتى تأتوا بها فذهبوا فجاءوا بها ، ثم سار رسول الله ﷺ فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : والله يا رسول الله ! تخلف فلان ، فيقول : دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، حتى قيل له : يا رسول الله ! تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، فلما أبطأ على أبى ذر بعيره أخذ متاعه على ظهره وترك بعيره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً ونزل رسول الله ﷺ فى بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله !

رجل على الطريق يمشى وحده ! فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذر » ! فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هذا والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا ذر يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » ؛ فأنتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، فلما أتاها أتاه يحنة ابن رؤبة صاحب أيلة ، و صالح على رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ لكل كتاباً وهو عندهم ، فكتب ليحنة بن رؤبة « بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذه أمنة من الله ومن محمد النبى ﷺ ليحنة بن رؤبة وأهل بلده وسيارته فى البر والبحر ، فهم فى ذمة الله وذمة محمد النبى ﷺ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب للناس ممن أخذه ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر وبحر » وكتب جهيم بن الصلب بأمر رسول الله ﷺ .

وكتب لأهل جرباء وأذرح « بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كتاب من محمد النبى ﷺ لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة . والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان ، ومن لجأ إليهم من المسلمين ؛ وقد كان أبو خيثمة أحد بنى سالم رجع بعد أن خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً ، فلما دخل أبو خيثمة قام على باب العريشين ونظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ فى الريح والحر وأبو خيثمة فى ظلال باردة وطعام مهيأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ! ما هذا بالنصف ! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ! فهيأتا له زاداً، ثم قدم ناضحه فارتحلة ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ ، فبينا أبو خيثمة يسير إذ لحقه عمير بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك

أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل عمير ، ثم سار أبو خيثمة حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » ! فقالوا : يا رسول الله ! هو والله أبو خيثمة ! فلما أناخ أقبل وسلم على رسول الله ﷺ ثم أخبره الخبر ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ؛ ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد وبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة ، وكان ملكاً عليهم وكان نصرانياً فقال رسول الله ﷺ لخالد : « إنك ستجده يصيد بقر الوحش » ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك قرونها بباب القصر فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد ، فنزل أكيدر دومة وأمر بفرسه فأسرج وركب فى نفر من أهل بيته ومعه أخوه حسان ، فلما خرجوا بمطاردهم تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ معهم خالد بن الوليد فقتلوا أخاه حساناً ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوّص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله ﷺ ، فلما قدم به على رسول الله ﷺ جعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : «أتعجبون من هذا ! والذى نفس محمد بيده ! لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا » ؛ ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله ، ورجع إلى قريته .

وافتقد رسول الله ﷺ كعب بن مالك فقال : « ما فعل كعب بن مالك » ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ! حبسه براده والنظر فى عطفيه ، فقال له معاذ بن جبل : بئس والله ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا إلا خيراً ! فسكت رسول الله ﷺ . وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة يقصر الصلاة ولم يجاوزها ؛ ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له : المشقق ، فقال

رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى آتيه » ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وضع يده فيها فجعل ينصب في يده ما شاء الله أن ينصب ثم مجه فيه ودعا الله بما شاء أن يدعو فانخرق من الماء ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ؛ فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم - أو بقي منكم - لتسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » ، وذلك الماء فوارة تبوك اليوم .

ثم إن رسول الله ﷺ نزل بعض المنازل ومات عبد الله ذو البجادين فحفروا له، ونزل رسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول : « أدليا لي أخاكما فأدلوه إليه ، فلما هيأه لشقه قال رسول الله ﷺ : « اللهم ! إنى قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه فقال عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنت صاحب الحفرة » .

وكان المسلمون يقولون : لا جهاد بعد اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وجعل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة مساجد في منازله معروفة إلى اليوم ، فأولها مسجد تبوك ومسجد بثنية مدران ومسجد بذات الزراب ومسجد بالأخضر ومسجد بذات الخطمى ومسجد بذات البتراء ومسجد بالشق ومسجد بذى الجيفة ومسجد بالصدر ومسجد وادى القرى الرقعة ومسجد بذى مروة ومسجد بالفيفاء ومسجد بذى خشب .

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فيهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وغيرهم ، فجعلوا يعتزرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعه وثمانين رجلاً فكان رسول الله ﷺ يقبل منهم على نيتهم ويكل سرائرهم إلى الله حتى جاء كعب بن مالك فسلم عليه ، فتبسم رسول الله ﷺ تبسم المغضب ثم قال : « تعال » ! فجاء كعب بن مالك يمشى حتى جلس

بين يديه ، فقال له النبى ﷺ : « ما خلفك ! ألم تكن ابتعت ظهرك » ؟ قال : بلى يا رسول الله ﷺ ! والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً وإن لى لساناً ، ولكن والله ! لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كاذباً لترضين به عنى وليوشكن الله أن يسخطك علىّ ، ولئن حدثتك حديثاً صادقاً تجد علىّ فيه ، وإنى لأرجو عقبى الله فيه ، لا والله ما كان لى عذر! والله ما كنت قط أقوى وأيسر منى حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله ﷺ : « أما هذا فقد صدق ، قم حتى يقضى الله فيك » ، فقام وثار معه رجال من بنى سلمة واتبعوه وقالوا : ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، وجعلوا ينوبونه حتى أراد أن يرجع إلى رسول الله ﷺ ويكذب نفسه ثم قال لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثل ما قلت وقال لهما ما قال لك ، قال : ومن هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفى .

ثم نهى رسول الله ﷺ عن كلام هؤلاء الثلاثة ؛ فأما مرارة وهلال فقعدا فى بيوتهما ، وأما كعب بن مالك فكان أشب القوم وأجلدهم ، وكان يخرج ويشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف فى الأسواق ولا يكلمه أحد ، ويأتى رسول الله ﷺ ويسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ويقول فى نفسه : هل حرك شفتيه برد السلام علىّ أم لا ! ثم يصلى قريباً منه ويسارقه النظر ، فإذا أقبل كعب على صلاته نظر إليه رسول الله ﷺ ، وإذا التفت نحوه أعرض عنه ، حتى طال ذلك عليه من جفوة المسلمين .

ثم مر كعب حتى تسور جدار أبى قتادة ـ وهو ابن عمه وأحب الناس إليه ـ فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام ، فقال له : يا أبا قتادة ! أنشدك الله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله؟ فسكت فعاد ينشده ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت

عينا كعب ووثب فتسور الجدار ثم غدا إلى السوق ، فبينا هو يمشي وإذا نبطي من نبط الشام يسأل عنه ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة وهو يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فجعل الناس يشيرون إليه حتى جاء كعباً فدفع إليه كتاباً من ملك غسان في سرقة حرير فيه : أما بعد فإنه بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك ، فلما قرأ كعب الكتاب قال : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك ، ثم عمد بالكتاب إلى تنور فسجره به ، ثم أقام على ذلك حتى إذا مضى أربعون ليلة أتاه رسول الله ﷺ فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ! فقال كعب : أطلقها أم ماذا ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربها ، و أرسل إلى مرارة وهلال بمثل ذلك ، فقال كعب لا مرأته : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض ، وجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت : يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ، قال : لا ، ولكن لا يقربنك ! قالت : والله يا رسول الله ما به حركة إليّ ! والله ما زال يبكي منذ كان أمره ما كان إلى يومه هذا ، والله لقد تخوفت على بصره ؛ فلبثوا بعد ذلك عشر ليال حتى كمل خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامهم ، فصلى كعب بن مالك الصبح على ظهر بيت من بيوته على الحال التي ذكر الله منه:

ضاقت عليه الأرض برحبها وضاقت عليه نفسه ، إذ سمع صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ! أبشر ، فخر كعب لله ساجداً وعرف أنه قد جاء الفرج ، وأخبر رسول الله ﷺ بتوبة الله عليهم حين صلى الصبح ، ثم جاء كعباً الصارخ بالبشرى فنزع ثوبيه فكساهما إياه ببشارته ، واستعار ثوبين فلبسهما ، ثم انطلق يؤم رسول الله ﷺ ، وتلقاه الناس يتهنأونه بالتوبة ويقولون : ليهنك توبة الله عليك ! حتى دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليه طلحة بن عبيد الله وهنأه ، فلما سلم كعب على

رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ ووجهه يبرق بالسرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » ! فقال كعب : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال « بل من عند الله » ! ثم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله ! إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ : «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » ، فقال : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ، ثم قال : يا رسول الله! إن الله قد نجانى بالصدق ، فإن توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فتلا عليهم رسول الله ﷺ ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ ـ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(١) .

ثم لاعن رسول الله ﷺ بين عويمر بن الحارث بن عجلان ـ وهو الذى يقال له عاصم ـ وبين امرأته بعد العصر فى مسجد فى شعبان ، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! لو أحدنا رأى امرأته على فاحشة كيف يصنع ؟ إن تكلم تكلم بأمر عظيم ! وإن سكت سكت على مثل ذلك ! فلم يجبه رسول الله ﷺ ، فلما كان بعد ذلك أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن الذى سألتك عنه قد ابتليت به ! فأنزل الله هذه الآيات ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾(٢) ـ حتى ختم الآيات ، فدعا رسول الله ﷺ عاصماً فتلا عليه ووعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقال عاصم : لا والذى بعثك! ما كذبت عليها ، ثم دعا بامرأته فوعظها وذكرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، قالت : لا والذى بعثك بالحق ! فبدأ بعاصم فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وأمر رسول الله ﷺ فوضع يده على فيه عند الخامسة وقال : احذر فإنها موجبة ! ثم ثنى بامرأته فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين .

---

(١) سورة التوبة آية ١١٧ و ١١٨ ، وتوبة كعب هذه قد ألم بها فى صحيح البخارى - المغازى - وصحيح مسلم - التوبة ، ومسند الإمام أحمد ٣ / ٤٥٦ ، وتفسير الطبرى سورة التوبة آية ١١٨ .

(٢) سورة النور آية ٦ وما بعدها .

والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ؛ ثم فرق بينهما وألحق الولد بالأم .

وماتت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ فى شعبان ، وغسلتها صفية بنت عبد المطلب ، ونزل فى حفرتها علىّ والفضل وأسامة .

وورد على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير فى رمضان مقرين بالإسلام ، فكتب إليهم رسول الله ﷺ كتاب جوابهم وبعثه مع عمرو بن حزم « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله ـ ﷺ ـ إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال قيل ذى رعين ومعافر وهمدان ، أما بعد ، فقد رفع رسولكم ، وأعطيتم من المغانم خمس الله وما كتب الله على المؤمنين من العشر فى العقار ، وما سقت السماء إذا كان سيحاً أو بعلاً ففيه العشر إذا بلغ خمسة أوسق ، وما سقى بالرشاء والدالية ففيه نصف العشر إذا بلغ خمسة أوسق ، وفى كل خمس من الإبل سائمة شاة إلى أن تبلغ أربعاً وعشرين ، فإذا زادات واحدة على أربع وعشرين ففيها ابنة مخاض فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون ذكر إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين ، فإن زادت واحدة على خمس وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى أن تبلغ خمساً وأربعين ، فإن زادت واحدة على خمس وأربعين ففيها حقة طروقة الجمل إلى أن تبلغ ستين . فإن زادت على الستين واحدة ففيها جذعة إلى أن تبلغ خمساً وسبعين ، فإن زادت واحدة على خمس وسبعين ففيها ابنتا لبون إلى أن تبلغ تسعين ، فإن زادت واحدة على التسعين ففيها حقتان طروقتا الجمل إلى أن تبلغ عشرين ومائة ؛ فما زاد على عشرين ومائة ففى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة طروقة الجمل وفى كل ثلاثين باقورة تبيع جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين باقورة بقرة . وفى كل أربعين شاة سائمة شاة إلى أن تبلغ عشرين ومائة ، فإذا زادت على عشرين ومائة واحدة ففيها شاتان إلى أن تبلغ مائتين ، فإن زادت واحدة فثلاث إلى أن تبلغ ثلاثمائة ، فإن زادت ففى كل مائة شاة شاة . ولا تؤخذ فى الصدقة بهرمة ولا

عجفاء ولا ذات عوار ولا تيس الغنم . ولا يجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ، وما أخذ من الخليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسوية . وفى كل خمس أواق من الورق خمسة دراهم ، وما زاد ففى كل أربعين درهماً درهم ، وليس فيما دون خمس أواق شىء . وفى كل أربعين ديناراً دينار . وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى الزكاة يزكى بها أنفسهم ، فى فقراء المؤمنين وفى سبيل الله . وليس فى رقيق ولا مزرعة ولا عمالها شىء إذا كانت تؤدى صدقتها من العشر ، وليس فى عبد المسلم ولا فرسه شىء . وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار فى سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمى المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . وإن العمرة هى الحج الأصغر ، ولا يمس القرآن إلا طاهر . ولا طلاق قبل إملاك ، ولا عتاق حتى يبتاع . ولا يصلين أحد منكم فى ثوب واحد ليس على منكبيه شىء ، ولا يحتبين فى ثوب واحد (ليس بين فرجه وبين السماء شىء ، ولا يصلين أحدكم فى ثوب واحد) وشقه باد ، ولا يصلين أحد منكم عاقصاً شعره . وإن من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فهو قود إلا أن يرضى أولياء المقتول . وإن فى النفس الدية مائة من الإبل و فى الأنف إذا أوعب جدعه الدية وفى اللسان الدية ، وفى الشفتين الدية ، وفى البيضتين الدية وفى الذكر الدية ، وفى المأمومة ثلث الدية ، وفى الجائفة ثلث الدية وفى الرجل الواحدة نصف الدية ، وفى الصلب الدية ، وفى العينين الدية ، وفى المنقلة خمس عشرة من الإبل ، وفى السن خمس من الإبل ، وفى الموضحة خمس من الإبل . وإن الرجل يقتل بالمرأة . وعلى أهل الذهب ألف دينار » فقرىء الكتاب على أهل اليمن .

ثم بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن وذكر أنه ﷺ صلى الغداة ثم أقبل على الناس بوجهه فقال : يا معشر المهاجرين والأنصار ! أيكم ينتدب إلى اليمن ؟ فقام عمر بن الخطاب فقال : أنا يا رسول الله ! فسكت عنه ثم

قال : « يا معشر المهاجرين والأنصار » ! أيكم ينتدب إلى اليمن » ؟ فقام معاذ ابن جبل فقال : أنا يا رسول الله ! فقال : « يا معاذ أنت لها ! يا بلال ائتنى بعمامتى » ! فأتاه بعمامته فعمم بها رأسه ، ثم خرج رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار يشيعون معاذاً وهو راكب ورسول الله ﷺ يمشى إلى جانب راحلته ، ثم قال : « يا معاذ ! أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة وترك الخيانة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخفض الجناح ، وحفظ الجار ، ولين الكلام ورد السلام ، والتفقه فى القرآن ، والجزع من الحساب ، وحب الآخرة على الدنيا ، يا معاذ ! لا تفسد أرضاً ، ولا تشتم مسلماً ، ولا تصدق كاذباً ولا تكذب صادقاً ، ولا تعص إماماً ، وإنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى يومهم وليلتهم فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله تعالى قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم فترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ، يا معاذ ! إنى أحب لك ما أحب لنفسى وأكره لك ما أكره لها ، يا معاذ ! إذا أحدثت ذنباً فأحدث له توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية ، يا معاذ ! يسر ولا تعسر ، واذكر الله عند كل حجر ومدر يشهد لك يوم القيامة ، يا معاذ ! عد المريض ، وأسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس المساكين والفقراء ، وأنصف الناس من نفسك ، وقل الحق حيث كان ، ولا يأخذك فى الله لومة لائم ، والقنى على الحال التى فارقتنى عليها » . فقال معاذ : بأبى وأمى أنت يا رسول الله ! لقد حملتنى أمراً عظيماً فادع الله لى على ما قلدتنى عليه ، فدعا له رسول الله ﷺ ثم ودعه وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصحابه . ثم أردفه بأبى موسى الأشعرى ، فلما قدم صنعاء صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم عهده ثم نزل ، فأتاه صناديد صنعاء فقالوا : يا معاذ ! هذا منزل قد هيأناه لك وهذا منزل فرغناه لك، قال : بهذا أوصانى حبيبى ، أوصانى رسول الله ﷺ أن لا تأخذك فى الله لومة

لائم ، وخلع رسول الله ﷺ معاذ بن جبل من ماله لغرمائه حيث اشتدوا عليه وبعثه إلى اليمن وقال : « لعل الله يجبرك » ! .

وقد وفد كلاب على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر نفراً فيهم لبيد بن ربيعة[1] .

ثم بعث رسول الله ﷺ سرية مع جماعة من العرب ليس فيهم من المهاجرين أحد ولا من الأنصار إلى بنى تميم . فأغار عليهم وسبى منهم النساء والولدان ، وأخذ منهم عشرين رجلاً فقدم بهم المدينة ، فوضع رسول الله ﷺ لحسان منبراً فقام عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد حساناً بروح القدس » ، فقال القوم : شاعرهم أشعر من شاعرنا وخطيبهم أخطب من خطيبنا .

وقد وفد الطائف ونزلوا دار المغيرة بن شعبة وطلبوا الصلح ، فأمر النبى ﷺ خالد بن سعيد بن العاص أن يكتب لهم كتاب الصلح .

ومرض عبد الله بن أبى بن سلول فى ليال بقين من شوال ، ومات فى ذى القعدة ، وكان النبى ﷺ يعوده ، فلما مات جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أعطنى قميصك أكفنه فيه ، فأعطاه رسول الله ﷺ قميصه ، وأتى قبره فصلى عليه فنزلت الآية ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ [2] .

وقدم وفد بنى فزارة وهم بضعة عشر رجلاً فيهم خارجة بن حصن وقدم وفد بنى عذرة ثلاثة عشر رجلاً ونزلوا على المقداد بن عمرو .

وفرض الله تعالى الحج على من استطاع إليه سبيلاً ، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر يحج بالناس من المدينة فى ثلاثمائة نفس ، وبعث معه عشرين بدنة مفتولة قلائدها ، ففتلتها عائشة بيدها وقلدها وأشعرها ، وساق أبو بكر لنفسه خمس بدنات ، وحج معه عبد الرحمن بن عوف فلما بلغ العرب وثوب بالصبح سمع أبو بكر خلفه رغوة وأراد أن يكبر الصلاة فوقف عن التكبير وقال : هذه رغوة

---

(١) الشاعر الجاهلى المشهور أحد شعراء المعلقات السبع وعند ما دخل فى الاسلام أنشد بيتا من الشعر قال فيه الحمد لله الذى لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سر بالا
ثم امتنع عن قول الشعر وعندما أراد عمر بن الخطاب أن يستنشده شعرا أبى وقال لقد أبدلنى الله خيرا من الشعر وتلا سورة البقرة .

(٢) سورة التوبة آية ٨٤ .

ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء ، لقد بدا لرسول الله ﷺ فى الحج ، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلى معه ! فإذا على عليها فقال أبو بكر : أمير أم رسول ؟ فقال : لا ، بل رسول الله ﷺ أرسلنى ببراءة أقرأها على الناس فى مواقف الحج، فقدموا مكة فقرأ على الناس سورة براءة حتى ختمها ، فلما كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس وعرفهم مناسكهم ، حتى إذا فرغ قام علىّ فقرأها على الناس حتى ختمها ، فلما كان يوم النحر خطب أبو بكر الناس وحدثهم عن إفاضتهم ونحرهم ومناسكهم ، فلما فرغ قام علىّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها يُنبذ إلى كل ذى حق حقه وذى عهد عهده وأن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر وخطب الناس وحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون فعلمهم مناسكهم ، فلما فرغ قام على فقرأ على الناس براءة حتى ختمها ، ثم رجعوا إلى المدينة .

السنة العاشرة من الهجرة

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة ثنا محمد بن بشار ثنا أبو عامر ثنا قرة بن خالد عن أبى جمرة الضبعى قال : قلت لابن عباس : إن لى جرة ينبذ لى فيها، فإذا أطلت الجلوس مع القوم خشيت أن أفتضح من حلاوته ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : « مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى » ! قالوا : يا رسول الله ﷺ ! إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا فى أشهر الحرام فحدثنا جملاً من الأمر إذا أخذنا به دخلنا الجنة وندعوا إليه من وراءنا ، فقال : « آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، وهل تدرون ما الإيمان بالله » ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم؛ وأنهاكم عن النبيذ فى الدباء والنقير والحنتم والمزفت »[1] .

قال : فى أول هذه السنة قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فلما دنوا من المدينة تركوا رواحلهم وبادروا إلى النبى ﷺ ، ونزل عبد الله بن الأشج

---

(١) النبيذ والنقير والحنتم والمزفت كلها أنواع للخمور وهى حرام .

العبدى فعقل راحلته ونزع ثيابه فلبسها ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقال النبى ﷺ : « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » ـ سألوا عما ذكرنا .

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى عبد المدان فى شهر ربيع الأول وهم بنو الحارث بن كعب وأسلموا ، وأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم .

ثم بعث رسول الله ﷺ عمرو بن حزم عاملاً على نجران ، فخرج وأقام عندهم يعلمهم السنة ومعالم الإسلام إلى أن توفى رسول الله ﷺ وهو على نجران .

وقدم عدى بن حاتم الطائى ومعه صليب من ذهب ، فقال النبى ﷺ : «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

وقدم بعده وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو رأسهم[(١)] .

ثم قدم جرير بن عبد الله البجلى ، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذى الخلصة، فهدمها .

ثم قدم وفد الأزد رأسهم صُرَد بن عبد الله فى بضعة عشر رجلاً ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى جرش فافتتحها ، وكان عاملاً للنبى ﷺ .

وولد محمد بن عمرو بنجران ، فكتب عمرو إلى رسول الله ﷺ بذلك وأخبره أنه سماه محمداً وكناه أبا سليمان .

وقدم وفد سلامان ، وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلامانى .

وقدم وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمة فقال : يا محمد ! إن جعلت لى الأمر بعدك آمنت بك وصدقتك ، وفى يد رسول الله ﷺ جريدة فقال النبى ﷺ : «لو سألتنى هذه الجريدة ما أعطيتكها ! ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليغفرن لك الله ، إنى لأراك الذى أريت » ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال : «بينا أنا نائم

---

(١) أى أميرهم وقائدهم .

رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما ، فأوحى إلىّ فى المنام أن أنفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما الكذابين : أحدهما العنسى ، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة » .

وقدم وفد غسان ووفد عبس ووفد كندة ووفد محارب ووفد خولان ، وكان النبى ﷺ إذا قدم عليه الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أحبابه بذلك .

وقدم وفد مراد رأسهم فروة بن مسيك المرادى ، واستعمله رسول الله ﷺ على مراد ومذحج . وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد على الصدقات إليهم وكتب لهم كتاباً بذلك .

ودخل أبو ذر على رسول الله ﷺ المسجد وهو جالس وحده فقال: « يا أبا ذر ! إن للمسجد تحية » ، قال : وما تحيته يا رسول الله ؟ قال : «ركعتان » ، فقام فركعهما ، ثم قال : إنك أمرتنى بالصلاة فما الصلاة ؟ قال: « خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر » ! فقال : يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال : « إيمان بالله وجهاد فى سبيله » ، فأى المؤمنين أكملهم إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » ، قال : فأى المسلمين أفضل ؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده » ، قال : فأىّ الهجرة أفضل ؟ قال : « من هجر السوء » قال : فأى الليل أفضل ؟ قال : « جوف الليل الغابر » ، قال : فأى الصلاة أفضل ؟ قال : « طول القنوت » ، قال : فأى الرقاب أفضل ، قال : «أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها » ، قال : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه » ، قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد من مقل إلى فقير فى سر » ، قال : فما الصوم أفضل؟ قال : « فرض مجزى وعند الله أضعاف كثيرة » ، قال : فأى آية مما أنزلها الله عليك أفضل ؟ قال : «آية الكرسى » ، قال : يا رسول الله ! كم النبيون قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى قال : كم المرسلون منهم ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» ، قال : من كان أول الأنبياء ؟ قال : « آدم » ، قال : وكان من الأنبياء مرسلاً ؟

قال : « نعم ، خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه وكلمه قبلاً ، ثم قال : يا أبا ذر ! أربع من الأنبياء سريانيون : آدم وشيث وخنوخ ـ وهوإدريس ، وهو أول من خط بالقلم ـ ونوح ؛ وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبيك محمد ، وأول الأنبياء آدم وأخرهم محمد ﷺ ، وأول نبى من أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ، وبينهما ألف نبى » ؛ قال : يا رسول الله ! كم أنزل الله من كتاب ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والأنجيل والزبور والفرقان » ؛ قال : يا رسول الله ! فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : « كانت أمثالاً كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ! إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فإنى لا أردها ولو كانت من كافر ؛ وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات : ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال ؛ فإن هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ، فإنه من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ؛ وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش ، وتزود لمعاد وتلذذ فى غير محرم » ؛ وقال : يا رسول الله ! فما كانت صحف موسى ؟ قال: « كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » ، قال : هل أنزل الله عليك شيئاً مما كان فى صحف إبراهيم وموسى ؟ قال : « يا أبا ذر تقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[١] ، قال : يا رسول الله ! أوصنى ، قال : « أوصيك بتقوى الله فإنه زين لأمرك » ، قال : زدنى ، قال : «عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر

---

(١) سورة الأعلى الآية ١٤ ، ١٥ .

دينك ، وإياك والضحك فإنه يميت القلوب ويذهب نور الوجه » ، قال : زدنى ، قال : « أحب المساكين ومجالستهم » ، قال : زدنى ، قال : « قل الحق ولو كان مراً» ، قال : زدنى ، قال : « لا تخف فى الله لومة لائم » ، قال : زدنى ، قال: «ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتى » ، ثم قال : « يا أبا ذر ! كفى للمرء غياً أن يكون فيها خصال : يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويتجسس لهم ماهو فيه ، ويؤذى جليسه فيما لا يعنيه ، يا أبا ذر ! لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » .

ثم بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه سرية إلى اليمن فى شهر رمضان، قال : يا رسول الله ! كيف أصنع ؟ قال : « إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلوهم حتى تروهم أناة فإذا أتيتهم فقل لهم : هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة فتردونها على فقرائكم ، فإن قالوا : نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ؛ ولأن يهدى الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

ونزل على رسول الله ﷺ ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾[1] فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال : يا رسول الله ﷺ ! إنى أحب الجهاد فى سبيل الله ولكن بى ما ترى ، قد ذهب بصرى ، قال زيد بن ثابت : فثقلت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها : ثم قال ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ .

وقدم العاقب والسيد من نجران فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً صالحهم عليه ـ فهو فى أيديهم إلى اليوم ، وقالا : يا رسول الله ابعث علينا رجلاً أميناً تعطه ما سألتنا ، فقال النبى ﷺ : « لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين » .

---

(١) سورة النساء آية ٩٥ .

فاستشرف لها الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح ؛ ومات أبو عامر الراهب عند هرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل بن علاثة فى ميراثه ، فقضى برسول الله ﷺ لكنانة بن عبد ياليل .

وقدم الأشعث بن قيس وافداً إلى رسول الله ﷺ فى قومه ، فبعث معه رسول الله ﷺ زياد بن لبيد البياضى إلى البحرين ليأخذ منهم الصدقات .

وبينما رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ طلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منهم أحد ، حتى جلس إلى النبى الله ﷺ فوضع ركبته إلى ركبته ووضع كفه على فخذه ، ثم قال : يا محمد ! أخبرنى عن الإسلام ؟ قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » ، قال : صدقت ! فعجبت المسلمون منه يسأله ويصدقه ؛ ثم قال : أخبرنى عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره » ، قال : صدقت ؛ قال : أخبرنى عن الإحسان ، قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ؛ قال صدقت ، قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : « ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل » ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة يتطاولون فى البنيان » ، قال : ثم انطلق فقال رسول الله ﷺ : «هذا جبريل ، أتاكم يعلمكم دينكم » .

ثم إن النبى ﷺ أراد أن يحج حجة الوداع فأذن فى الناس أنه خارج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ، حتى أتى ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع ؟ قال : « اغتسلى ، واستثفرى بثوب وأخرى » . ثم صلى رسول الله ﷺ فى المسجد وأمر ببدنة أن تشعر وسلت عنها الدم ، ثم ركب القصواء فلما استوت به ناقته على البيداء أهلّ ، وإن بين يديه وخلفه وعن يمينه ويساره

من الناس ما بين راكب وماش ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، فأهلّ : لبيك اللهم لبيك ! لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ؛ وأهل الناس معه ، فمنهم من أهل مفرداً ومنهم من أهل قارناً ، حتى قدم رسول الله ﷺ مكة من الثنية ، فلما دخل مكة توضأ إلى الصلاة ثم دخل من باب شيبة ، فلما أتى الحجر استلمه ، ورمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ وجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين ، قرأ فيهما ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ و﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾، ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما رقى على الصفا قرأ ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ وقال : « أبدأ بما بدأ الله » ، فلما رقى عليها ورأى البيت استقبل القبلة وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده – قال ذلك ثلاث مرات ، فلما نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى خب ، حتى إذا صعد مشى ، فلما أتى المروة صعد عليها وفعل عليها ما فعل على الصفا ، حتى إذا كان آخر طواف على المروة فقال : لو استقبلت ما استدبرت لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة » ، فقال سراقة بن مالك بن جعشم : يا رسول الله ! لعامنا هذا أو للأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه وقال : « دخلت العمرة فى الحج – مرتين – لا ، بل للأبد » .

وقدم عليّ من اليمن فوجد فاطمة قد لبست ثياب صبغ واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : أبى أمرنى بهذا ! ثم قال النبى ﷺ لعلى : « بم فرضت الحج » ؟ قال : قلت : اللهم ! إنى أهل بما أهل به رسولك . فقال رسول الله ﷺ : « فإن معى الهدى فلا تحل » ، فكان الهدى الذى قدم به على بن أبى طالب من اليمن والذى أتى به النبى ﷺ مائة ، فحل الناس وقصروا إلا النبى

ﷺ ومن كان معه هدى .

واعتل سعد بن أبى وقاص فدخل عليه رسول الله ﷺ ، فبكى سعد فقال له النبى ﷺ : ما يبكيك ؟ . فقال : خشيت أن أموت بالأرض التى هاجرت منها كما مات سعد بن خولة ! فقال النبى ﷺ : « اللهم اشف سعداً » - ثلاثاً ، فقال : يا رسول الله ! إن لى مالاً كثيراً ، وأنعماً ، ومورثتى بنت لى واحدة ، أفأوصى بمالى كله ؟ قال : لا ، قال : فالنصف ؟ قال : « لا » ، قال : الثلث؟ قال : « الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن صدقت مالك صدقة ، وإن نفقتك على عيالك صدقة ، وما تأكل امرأتك من طعامك صدقة ، وأن تدع أهلك بخير خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ، اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم » ، لكن البائس سعد بن خولة ، يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى وأهلّ الناس بالحج ، فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنى ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة له فضربت له بنمرة ، ثم سار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فجاز رسول الله ﷺ حتى جاء عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فلما أتى بطن الوادى خطب الناس وقال فى خطبته : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة ، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون » ؟ قالوا : نشهد أنك قد

بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء : « اللهم اشهد » ! ثم أذن وأقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن القصواء إلى الصخرة وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة ، فلم يزل واقفاً - والمسلمون معه - حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلاً . ثم أردف أسامة بن زيد خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شفق للقصواء الزمام ويقول بيده اليمنى : « أيها الناس السكينة ! كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد » ، فلما أتى المزدلفة صلى بها المغرب والعشاء بإذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ، ثم لم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس حتى أتى محسر فسلك الطريق الوسطى التى تخرج إلى الجمرة الكبرى ، فلما أتى الجمرة رماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، رماها من بطن الوادى بمثل حصى الخذف ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر منها وأشركه فى هديه ، وأمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، ثم ركب رسول الله ﷺ القصواء فأتى البيت فطاف طواف الزيارة ، ثم قال : « يا بنى عبد المطلب انزعوا ، فلولا أن يغلبكم الناس لنزعت معكم » ، فناولوه دلواً من زمزم فشرب منه ، ثم رجع ﷺ إلى منى وصلى الظهر بها ثم أقام بها أيام منى ، ثم ودع البيت وخرج إلى المدينة حتى دخلها والمسلمون معه فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وبعض صفر .

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أحمد بن جميل المروزى ثنا عبد الله بن المبارك أنا معمر عن يونس عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك أن المسلمين بينماهم فى

صلاة الفجر يوم الإثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف فى صلاتهم ، ثم تبسم ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ حين رأوه ، فأشار إليهم رسول الله ﷺ أن اقضوا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر بينه وبينهم وتوفى فى ذلك اليوم .

قال : أول ما اشتكى رسول الله ﷺ كان ذلك يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر وهو فى بيت ميمونة حتى أغمى عليه من شدة الوجع ، فاجتمع عنده نسوة من أزواجه والعباس بن عبد المطلب وأم سلمة وأسماء بنت عميس الخثعمية وهى أم عبد الله بن جعفر وأم الفضل بنت الحارث وهى أخت ميمونة، فتشاوروا فى رسول الله ﷺ حين أغمى عليه فلدوه وهو مغمر ، فلما أفاق قال : « من فعل بى هذا » ؟ قالوا : يا رسول الله ! عمك العباس ، قال : هذا عمل نساء جئن من ههنا » - وأشار إلى أرض الحبشة ، فقالوا : يا رسول الله ! أشفقن أن يكون بك ذات الجنب ، فقال رسول الله ﷺ : « ما كان الله ليعذبنى بذلك الداء » ، ثم قال : « لا يبقين أحد فى الدار إلا لد إلا العباس » .

فلما ثقل برسول الله ﷺ العلة استأذنت عائشة أزواجه أن تمرضه فى بيتها فأذن لها ، فخرج رسول الله ﷺ بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض : بين عباس وعلى ، حتى دخل بيت عائشة ، فلما دخل بيتها اشتد وجعه فقال : «أهريقوا علىّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس » ، فأجلسوه فى مخضب لحفصة ثم صب عليه من تلك القرب حتى جعل يشير إليهن بيده أن قد فعلتن ، ثم قال : « ضعوا لى فى المخضب ماء » ، ففعلوا فذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق قال : « ضعوا لى فى المخضب ماء » . ففعلوا، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه فأفاق وقال : « أصلى الناس بعد » ؟ قالوا : لا يا رسول الله وهم ينتظرونك ، والناس عكوف ينتظرون رسول الله ﷺ ليصلى

بهم العشاء الآخرة ، فقال : « مروا أبا بكر أن يصلى بالناس » ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل رقيق وإنه إذا قام مقامك بكى ، فقال : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » ، ثم أرسل إلى أبى بكر فأتاه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس ، فقال أبو بكر : يا عمر ! صل بالناس ! فقال : أنت أحق ، إنما أرسل إليك رسول الله ﷺ ، فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام .

ثم وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج لصلاة الظهر بين العباس وعلى وقال لهما : « أجلسانى عن يساره » ، فكان أبو بكر يصلى بصلاة رسول الله ﷺ وهو جالس والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، ثم وجد خفة ﷺ فخرج فصلى خلف أبى بكر قاعداً فى ثوب واحد ثم قام وهو عاصب رأسه بخرقة حتى صعد المنبر ثم قال : « والذى نفسى بيده ! إنى لقائم على الحوض الساعة» ، ثم قال : « إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة » ، فلم يفطن لقوله إلا أبو بكر فذرفت عيناه وبكى وقال : بأبى وأمى ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا ! فقال رسول الله ﷺ : « إن أمنّ الناس على فى بدنه ودينه وذات يده أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الاسلام ، سدوا كل خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر » ، ثم نزل ودخل البيت وهى آخر خطبة خطبها رسول الله ﷺ .

فلما كان يوم الاثنين كشف الستارة من حجرة عائشة والناس صفوف خلف أبى بكر وكأن وجهه ورقة مصحف فتبسم رسول الله ﷺ فأشار إليهم أن مكانكم وألقى السجف وتوفى آخر ذلك اليوم ، وكان ذلك اليوم لاثنتى عشرة خلون من شهر ربيع الأول .

وكان مقامه بالمدينة عشر حجج سواء ، وكانت عائشة تقول : توفى رسول الله ﷺ فى بيتى ويومى وبين سحرى ونحرى ، وكان أحدنا يدعو بدعاء إذا مرض فذهبت أعوذ فرفع رأسه إلى السماء وقال : فى الرفيق الأعلى » ! ومر عبد الرحمن بن أبى بكر وفى يده جريدة خضراء رطبة فنظر إليه ، فظننت أن له

بها حاجة فأخذتها فمضغت رأسها ثم دفعتها إليه فاستن بها ثم ناولنيها وسقطت من يده ، فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة .

وكان أبو بكر فى ناحية المدينة فجاء فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى ، فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ وجعل يقبله ويبكى ويقول : بأبى وأمى ! طبت حياً وطبت ميتاً ! فلما خرج ومر بعمر بن الخطاب وعمر يقول : مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل المنافقين ويخزيهم ! وكانوا قد رفعوا رؤسهم لما رأوا أبا بكر فقال أبو بكر لعمر : أيها الرجل اربع على نفسك ، فإن رسول الله ﷺ قد مات ، ألم تسمع الله يقول ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، وقال ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾، ثم أتى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإن إلهكم قد مات ، وإن كان إلهكم الذى فى السماء فإن إلهكم لم يمت ، ثم تلا ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ ـ حتى ختم الآية ؛ وقد استيقن المؤمنون بموت محمد ﷺ .

وقد كان لعبد المطلب بن هاشم من الأولاد ستة عشر ولداً ذكور ، منهم تسعة عمومة رسول الله ﷺ وواحد والد رسول الله ﷺ ، وست من الإناث عمات رسول الله ﷺ .

فأما أولاد عبد المطلب الذكور منهم : عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، والزبير بن عبد المطلب ، وأبو طالب بن عبد المطلب ، والعباس ابن عبد المطلب ، وضرار بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، والمقوم بن عبد المطلب ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، والحارث بن عبد المطلب ، والغيداق ابن عبد المطلب .

(١) سورة الزمر آية ٣٠ .

فأما عبد الله والد رسول الله ﷺ فلم يكن له غير رسول الله ﷺ لا ذكر ولا أنثى ، وتوفى قبل أن يولد رسول الله ﷺ .

وأما الزبير بن عبد المطلب فكنيته أبو الطاهر ، من أجلة قريش وفرسانها من المبارزين ، وكان متعالماً يقول الشعر فيجيد.

وأما أبو طالب بن عبد المطلب فإن اسمه عبد مناف ، وكان هو وعبد الله والد رسول الله ﷺ لأم واحدة وكان أبو طالب وصى عبد المطلب لابنه فى ماله بعده وفى حفظ رسول الله ﷺ وبعده على من كان يتعهده عبد المطلب فى حياته ؛ ومات أبو طالب قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين وأربعة أشهر .

وأما العباس فكنيته أبو الفضل ، وكان إليه السقاية وزمزم فى الجاهلية ، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة دفعها إليه يوم الفتح وجعلها إليه ؛ ومات العباس بن عبد المطلب سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان .

وأما ضرار فإنه يقول الشعر ويجيده ، ومات قبل الإسلام ولا عقب له .وأما حمزة فكنيته أبو ليلى ، وقد قيل : أبو عمارة ، واستشهد يوم أحد ، قتله وحشى ابن حرب مولى جبير بن مطعم فى شوال سنة ثلاث من الهجرة ، وكان حمزة أكبر من النبى ﷺ بسنتين .

وأما المقوّم فكان من رجالات قريش وأشدائها ، هلك قبل الإسلام ولم يعقب

وأما أبو لهب فإن اسمه عبد العزى أبو عتبة ، وإنما كنى أبا لهب لجماله ، وكان أحول ، يعادى رسول الله ﷺ من بين عمومته ويظهر له حسده إلى أن مات عليه .

وأما الحارث ـ وهو أكبر ولد عبد المطلب ـ اسمه كنيته ، وهو ممن شهد حفر زمزم مع عبد المطلب قديماً .

وأما الغيداق فإنه كان من أسد قريش وأجلادها ، ومات قبل الوحى ولم يعقب .

وأما بنات عبد المطلب فإن إحداهن عاتكة بنت عبد المطلب ، وأميمة بنت عبد المطلب ، والبيضاء وهى أم حكيم ، وأروى بنت عبد المطلب ، وصفية بنت عبد المطلب ، وبرة بنت عبد المطلب .

وأما عاتكه فإنها كانت عند أبى أمية بن المغيرة المخزومى .

وأما أميمة فإنها كانت عند جحش بن رئاب الأسدى .

وأما البيضاء فإنها عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأما صفية فكانت عند العوام بن خويلد بن أسد .

وأما برة فإنها كانت عند عبد الأسدى بن هلال المخزومى .

وأما أروى فكانت عند عمير بن عبد مناف بن قصى .

ولم يسلم من عمات النبى ﷺ إلا صفية ، وهى والدة الزبير بن العوام ، وتوفيت صفية فى خلافة عمر بن الخطاب ـ فهذا ما يجب أن يعلم من ذكر عمات رسول الله ﷺ .

وأما نساء رسول الله ﷺ فإن رسول الله ﷺ تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بمكة قبل الوحى ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت خديجة قبله تحت عتيق بن عائذ بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وولد له منها أولاده إلا إبراهيم ، وتوفيت خديجة بمكة قبل الهجرة .

ثم تزوج بعد موت خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، وأمها الشموس بنت قيس ابن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار؛

خطبها رسول الله ﷺ إلى عمها وقدان بن عبد شمس ، وكانت قبل ذلك تحت السكران بن عمرو أخي سهيل بن عمرو من بني لؤي وكانت امرأة ثقيلة ثبطة ، وهي التي وهبت يومها لعائشة وقالت : لا أريد مثل ما تريد النساء ، وتوفيت سودة سنة خمسين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة الصديق في شوال وهي بنت ست ، وبنى بها وهي بنت تسع بعد الهجرة ، وتوفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة سبع وخمسين ، وصلى عليها أبو هريرة ، ودفنت بالبقيع ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان ، أمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وكانت قبل ذلك تحت خنيس بن حذافة بن قيس ، وذلك في سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفيت حفصة بنت عمر سنة خمس وأربعين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ في هذة السنة في شهر رمضان زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة التي يقال لها : أم المساكين ، وكانت قبله تحت الطفيل بن الحارث ، وهي أول من لحقت بالنبي ﷺ من نسائه .

ثم تزوج رسول الله ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة أم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وماتت أم سلمة سنة تسع وخمسين

ثم تزوج رسول الله ﷺ في سنة خمس زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر ابن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، وتوفيت زينب هذه سنة عشرين .

ثم اصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حييّ بن أخطب في سنة سبع وهي من بني إسرائيل ، وكانت قبله عند كنانة بن أبي الحقيق ، سباها رسول الله ﷺ

فاصطفاها وكانت ممن اصطفاها وأعتقها وتزوج بها ، وماتت صفية بنت حيى سنة خمسين .

ثم تزوج رسول الله ﷺ فى آخر هذه السنة أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش ، وكانت بأرض الحبشة مع زوجها مهاجرة فمات زوجها عبيد الله بن جحش ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمرى إلى النجاشى ليخطبها لرسول الله ﷺ وكان وليها فى تلك الناحية إذ كان سلطاناً ولم يكن ولى بتلك الناحية ، والسلطان ولى من لا ولى له ، وكان الذى تولى الخطبة عليها والسعى فى أمرها سعيد بن العاص ، وكان وليها حينئذ بالبعد ، فخرجت أم حبيبة مع جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة إلى رسول الله ﷺ ، وماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين .

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهرم بن روية بن عبد الله بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبله تحت أبى رهم بن عبد العزى من بنى عامر بن لؤى ، وماتت ميمونة سنة ثمان وثمانين ، وهى خالة عبد الله بن عباس ، لأن أم عباس أم الفضل أخت ميمونة .

وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية - وكانت قبله عند صفوان بن تميم - سباها رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق ، فصارت لثابت بن قيس بن الشماس ، فاشتراها رسول الله ﷺ وأعتقها ، وتوفيت جويرية فى شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، فصلى عليها مروان بن الحكم .

وتزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان الجونية ولم يدخل بها ، ثم طلقها وردها إلى أهلها .

وتزوج رسول الله ﷺ عمرة بنت يزيد الكلابية ، وطلقها قبل أن يدخل بها .

وتزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية فاستعاذت من

رسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : « تعوذت بعظيم فالحقى بأهلك » .

وتزوج رسول الله ﷺ ريحانة بنت عمرو القرظية فرأى بها بياضاً قدر الدرهم ثم طلقها ولم يدخل بها ، فماتت بعد ذلك بأربعة أشهر .

وقد أعطى المقوقس ملك الإسكندرية لرسول الله ﷺ جارية يقال لها مارية القبطية ، فأولدها رسول الله ﷺ إبراهيم ابنه .

وخرج رسول الله ﷺ من الدنيا يوم خرج وعنده تسع نسوة : عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وزينب بنت جحش بن رئاب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفية بنت حيى بن أخطب .

وأما أولاد رسول الله ﷺ فهم كلهم من خديجة بنت خويلد بن أسد إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

وأما أولاد رسول الله ﷺ فأولهم عبد الله وهو أكبرهم والطاهر والطيب والقاسم ، وقد قيل : إن عبد الله هو الطاهر وهو أول مولود ولد لرسول الله ﷺ حتى قالت قريش : صار محمد أبتر لأن ابنه توفى ، فأنزل الله ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ .

وبنات رسول الله ﷺ زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة رضى الله عنهن ، فأما زينب بنت رسول الله ﷺ فزوجها رسول الله ﷺ من أبى العاص بن الربيع ، فولدت له أمامة بنت أبى العاص وهى التى كان رسول الله ﷺ يصلى وهو رافعها على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا قام رفعها وماتت أمامة ولم تعقب .

وأما رقية بنت رسول الله ﷺ فكانت عند عتبة بن أبى لهب .

وأما أم كلثوم فكانت عند عتيبة بن أبى لهب ، فلما نزلت تبت يدا أبى

لهب أمرهما أبوهما أن يفارقاهما ، وحينئذ لم يحرم الله تزويج المسلمين من نساء المشركين ولا حرم على المسلمات أن يتزوجهن المشركون ، ثم حرم الله ذلك على المسلمين والمسلمات .

ثم زوج رسول الله ﷺ رقية بنته عثمان بن عفان ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة وخرجت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك عبد الله بن عثمان وبه يكنى عثمان ، ثم توفيت رقية عند عثمان بن عفان مرجع رسول الله ﷺ من بدر ، ودفنت بالمدينة ، وذلك أن عثمان استأذن رسول الله ﷺ في التخلف عند خروجه إلى بدر لمرض ابنته رقية ، وتوفيت رقية يوم قدوم زيد بن حارثة العقيلى من قبل يوم بدر .

ثم زوج رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ابنته أم كلثوم ، فماتت ولم تلد .

وزوج رسول الله ﷺ فاطمة على بن أبي طالب بالمدينة ، فولدت من على الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم وزينب ، ليس لعلى من فاطمة إلا الخمس .

فأما أم كلثوم فزوجها على من عمر ، فولدت لعمر زيداً ورقية ، وأما زيد فأتاه حجر فقتله ، وأما رقية بنت عمر فولدت لإبراهيم بن نعيم بن عبد الله النحام جارية فتوفيت ولم تعقب .

وأما زينب بنت على فولدت لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب جعفراً - وكان يكنى به - الأكبر وأم كلثوم وأم عبد الله .

وكان ولاه رسول الله ﷺ على الصدقات حتى توفى عدى بن حاتم على قومه ، ومالك بن نويرة على بنى الحنظلة ، وقيس بن عاصم على بنى منقر ، والزبرقان بن بدر على بنى سعد ، وكعب بن مالك بن أبي القيس على أسلم وغفار وجهينة ، والضحاك بن سفيان على بنى كلاب ، وعمرو بن العاص على عمان ، والمهاجر بن أبي أمية على صنعاء ، وزياد بن لبيد على حضرموت .

ذكر وصف رسول الله ﷺ

أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائى – يخبر باسناد ليس له فى القلب وقع – ثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلى أملاه علينا من كتابه ثنا رجل من بنى تميم من ولد أبى هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبى هالة عن الحسن بن على قال : سألت خالى هند بن أبى هالة – وكان وصافاً من حديث النبى ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئاً أتعلق به . فقال : كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، عظيم الهامة ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيصته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ فى غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط ، عارى اليدين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، طويل الزندين، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، سائر أو سائل – شك ابن سعيد – الأطراف . خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعاً ، يخطو تكفيا ويمشى هوناً ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، يبدأ من لقى بالسلام .

قال : قلت : صف لى منطقه ، فقال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم فى غير

حاجة ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضل لا فضول ولا تقصير ، دمث ، ليس بالجافي ولا بالمهين ، يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم شيئاً غير أنه لا يذم ذواقاً ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فإذا نوزع الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفة كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن كفه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام – قال الحسن : فكتمها الحسين زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبق إليه وسأله عما سألته.

قال الحسين : فسألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ قال : كان دخوله لنفسه مأذون له في ذلك ، كان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء : جزء لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ، ثم جزأ جزءاً بينه وبين الناس فيرد ذلك بالخاصة على العامة ولا يدخر عنهم شيئاً ، كان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، منهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والا معه من مسألتهم يلائمهم ويخبرهم بالذى ينبغي لهم ويقول : ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوا في حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإن من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها يثبت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أذلة .

قال : فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ، قال : كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم القوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يظهر على أحد بسره ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر

غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس و لا يقوم إلا على ذكر ، لا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا جلس إلى قوم جلس حيث انتهى المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المتصرف ، ومن سأله عن حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه ، فصار للناس أبا وصاروا فى الحق عنده سواء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين ، يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته فى جلسائه ، فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ولا مزاح ، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤنس معه ، ولا يخيب فئة ، قد نزه نفسه من ثلاث : كان لا يذم أحداً ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم صمتوا له حتى يفرغ ، جل حديثه عندهم حديث أوليهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه حتى أن كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوره فيقطعه بنهى أو قيام .

قال : وسألته : كيف كان سكوت رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان سكوته على أربعة : على الحلم والحذر والتقدير والتفكر ، فأما تقديره ففى تسوية النظر

والاستماع بين الناس . وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحلم فى الصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر فى أربعة : أخذه بالحسن ليقتدى به ،وتركه القبيح ليتناهى عنه ، وإجهاده الرأى فيما يصلح أمته، والقيام فيما يجمع لهم فيه خير الدنيا والآخرة .

قال أبو حاتم : قد ذكر جمل ما يحتاج إليه من مولد رسول الله ﷺ ومبعثه وأيامه وهجرته إلى أن قبضه الله إلى جنته ، ثم إنا ذاكرون بعده الخلفاء الأربعة بأيامه وجمل ما يحتاج إليه من أخبارهم ليكون ذلك طريقاً للمتأسين بهم إذ المصطفى ﷺ أمر بذلك الحديث حيث قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » – جعلنا الله وإياكم من المتبعين لسنته المبادرين إلى لزوم طاعته ، إنه الفعال لما يريد بكم .

آخر مولد رسول الله ﷺ ومبعثه ووفاته

ويتلوه كتاب الخلفاء إن شاء الله تعالى.

أخبار الخلفاء

بسم الله الرحمن الرحيم

استخلاف أبى بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنه

قال الشيخ أبو حاتم محمد بن حبان أحمد التميمى عبد الله ولقبه عتيق ، واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأم أبى بكر أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب ـ أخو عمرو بن كعب ـ بن سعد بن تيم بن مرة ابن لؤى بن غالب .

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمى بعسقلان ثنا محمد بن المتوكل ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : كنت عند عبد الرحمن بن عوف فى خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان فى آخر حجة حجها عمر أتانى عبد الرحمن بن عوف فى منزلى عشاء فقال : لو شهدت أمير المؤمنين اليوم وجاءه رجل وقال : يا أمير المؤمنين ! إنى سمعت فلاناً يقول : لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلاناً ، فقال عمر : إنى لقائم العشية فى الناس ومحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا المسلمين أمرهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين : إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإنى أخشى أن تقول فيهم مقالة لا يعونها[1] ولا يضعونها مواضعها ، وأن يطيروا بها كل مطير ، ولكن أمهل يا أمير المؤمنين حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ودار الهجرة فتخلص بالمهاجرين والأنصار وتقول ما قلت متمكناً فيعون مقالتك ويضعونها مواضعها ، قال عمر : أما والله لأقومن به فى أول مقام أقومه بالمدينة ! قال ابن العباس : فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمع هجّرت لما حدثنى عبد الرحمن ابن عوف فوجدت سعيد بن زيد بن نفيل قد سبقنى بالهجرة جالساً إلى جنب المنبر

(١) أى لا يفهمونها .

فجلست إلى جنبه تمس ركبتي ركبته ، فلما زالت الشمس خرج علينا عمر فقلت وهو مقبل : أما والله ليقولن اليوم أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالة لم يقل عليه أحد قبله ، قال : فغضب سعيد بن زيد فقال : وأيّ مقال يقول لم يقل قبله ؟ فلما ارتقى عمر المنبر أخذ المؤذن فى أذانه فلما فرغ من أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فإنى أريد أن أقول مقالة قد قدر لى أن أقولها ، لا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فإنى لا أحل لأحد أن يكذب علىّ : إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، وإنى خائف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، ألا وإن الرجم على من أحصن إذا زنى وقامت عليه البينة أو كان الحمل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ ﴿ ولا ترغبوا عن آبائكم ﴾ ثم إن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » . ثم إنه بلغنى أن فلاناً منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً ، فلا يغتر امرؤ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ، ألا وإن الله وقى شرها ودفع عن الإسلام والمسلمين ضرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله ﷺ ، إن علياً والزبير ومن تبعهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت : يا أبا بكر ! انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم فلقينا رجلين من الأنصار شهدا بدراً فقالاً : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالاً : فارجعوا فامضوا أمركم بينكم ، فقلت : والله لنأتينهم ! فأتيناهم فإذا هم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل ، قلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن

عبادة ، قال : ما شأنه ؟ قالوا : وجع، فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد! فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رهط منا وقد دفت إلينا دافة منكم وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا بأمر دوننا ، وقد كنت زورت[1] فى نفسى مقالة أريد أن أقوم بها بين يدى أبى بكر وكنت أدارئ من أبى بكر بعض الحد وكان أوقر منى وأحلم ، فلما أردت الكلام قال : على رسلك ! فكرهت أن أغضبه ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ووالله ما ترك كلمة قد كنت زورتها إلا جاء بها أو بأحسن منها فى بديهته ثم قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الأنصار فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب داراً ونسباً ، ولقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح ، فوالله ما كرهت مما قال شيئاً غير هذه الكلمة ؛ كنت لأن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، فلما قضى أبو بكر مقالته قام رجل من الأنصار فقال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وإلا أجلنا الحرب فيما بيننا وبينكم خدعة ، قال معمر : فقال قتادة : قال عمر : فإنه لا يصلح سيفان فى غمد ، ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء قال معمر عن الزهرى فى حديثه : فارتفعت الأصوات بيننا وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف فقلت : يا أبا بكر ! ابسط يدك أبايعك ، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار ، قال : ونزونا على سعد بن عبادة حتى قال قائل منهم : قتلتم سعداً ، قال قلت : قتل الله سعداً! وأنا والله ما رأينا فيما حضرنا أمراً كان أقوى من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقنا القوم أن يحدثوا بعدنا ، فأما أن نتابعهم على مالا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فساداً فلا يغرن امرأ يقول : كانت بيعه أبى بكر فلتة ، وقد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر، فمن بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين

(١) زورت أى أعددت وجهزت

فإنه لا يبايع هو ولا الذى بايعه بعده ؛ قال الزهرى : وأخبرنى عروة : أن الرجلين اللذين لقياهما من الأنصار عويم بن ساعدة ومعن بن عدى ، والذى قال « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب» الحباب بن المنذر

قال أبو حاتم : نظر المسلمون إلى أعظم أركان الدين وعماد الإسلام للمؤمنين فوجدوها الصلاة المفروضة ، وإن رسول الله ﷺ ولى أبا بكر إقامتها فى الأوقات المعلومات ، فرضى المسلمون للمسلمين ما رضى لهم رسول الله ﷺ فبايعوه طائعين فى سائر الأركان ، وبايعوه فى السر والإعلان .

فلما كان اليوم الثانى قام عمر بن الخطاب المنبر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس ! إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا منى وما وجدتها فى كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلىّ رسول الله ﷺ ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيأمرنا بقول يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى رسوله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان قد هدى به أهله ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم : صاحب رسول الله ﷺ وثانى اثنين إذ هما فى الغار فقوموا إليه فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعه العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : **أما بعد أيها الناس ! فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم بالبلاء ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ؛ قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .**

فلما فرغ الناس من بيعه أبى بكر وهو يوم الثلاثاء أقبلوا على جهازه ﷺ

فاختلفوا فى غسله فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السبات حتى ما منهم أحد إلا وذقنه فى صدره ، ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت ـ لا يدرى من هو ـ أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا فغسلوه وعليه قميصه ، فأسنده على إلى صدره ، فكان العباس والفضل والقثم يقلبونه ، وكان أسامة بن زيد وشقران موالياه يصبان عليه الماء وعلى يغسله ويدلكه من ورائه لا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ وهو يقول : بأبى أنت وأمى ! ما أطيبك حياً وميتاً ولم ير من رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، أدرج فيها إدراجاً . ثم دخل الناس يصلون عليه أرسالاً ، بدأ به الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ثم دخل الصبيان ثم دخل العبيد ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد . وكان أبو عبيدة بن الجراح يحفر كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل يحفر كحفر أهل المدينة وكان يلحد ، فدعا العباس بن عبد المطلب رجلين فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة ، وقال للآخر : اذهب إلى أبى طلحة ، فقال : اللهم ! خر لرسولك ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ . وكان المسلمون اختلفوا فى دفنه فقائل يقول : ندفنه فى مسجده ، وقائل يقول : ندفنه مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض » ، فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه فحفر أبو طلحة تحته . ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ، ونزل فى قبر رسول الله ﷺ على بن أبى طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله ﷺ وطرح تحته قطيفة ، وكان أخرهم عهداً به قثم بن العباس ، وكان المغيرة بن شعبة يقول : لا بل أنا وكان يحكى قصة (١) .

---

(١) وهى أنه كان يقول : أخذت خاتمى فألقيته فى القبر وقلت : إن خاتمى قد سقط ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس به عهداً ـ كما فى الطبرى .

ثم قام أبو بكر فى الناس خطيباً بعد خطبته الأولى فقال : الحمد لله أحمده وأومن بوحدانيته وأستعينه على أمركم كله سره وعلانيه ، ونعوذ بالله مما يأتى به الليل والنهار ، وترتكب عليه السر والجهار ، وأشهد أن لا إله إلا الله حافظاً ونصيراً ، وأن محمداً عبده ورسوله بالحق بشيراً ونذيراً قدام الساعة ، فمن أطاعه رشد ، ومن عصاه هلك وشرد ، فعليكم أيها الناس بتقوى الله ! فإن أكيس الكيس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، فاتبعوا كتاب الله واقبلوا نصيحته ، واقتدوا بسنة رسوله وخذوا شريعته ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وهو الحكيم العليم ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾(1) ـ الاية ، واحذروا الخطايا التى لكل بنى آدم فيها نصيب ، وتزودوا للآخرة فإن المصير إليها قريب ، ولكن خيركم من اتبع طاعة الله واجتنب معصيته ، فاحذروا يوماً لا ينفع فيه من حميم ولا شفيع ، ولا حميم يطاع ، وليعمل عامل ما استطاع من عمل يقربه إلى ربه ، واعملوا من قبل أن لا تقدروا على العمل ، وإن الله لو شاء لخلقكم سدى ، ولكن جعلكم أئمة هدى ، فاتبعوا ما أمركم الله به واجتنبوا ما نهاكم عنه ، واعملوا الخير فإن قليله كثير نام مبارك ، واتقوا الله حق تقاته ، واحذروا ما حذركم فى كتابه ، وتوقوا معصيته خشية من عقابه ، فليس فيها رغبة لأحد ، واستعفوا عما حرم الله وأمر باجتنابه ، وإياكم والمحقرات فإنها تقرب إلى الموجبات ، واعملوا قبل أن لا تعملوا ، وتوبوا من الخطايا التى لا يغسلها إلا الله برحمته ، وصلوا على نبيكم كما أمركم ربكم ، ثم قال : أيها الناس ! إن الذى رأيتم منى لم يكن على حرص على ولايتكم ، ولكنى خفت الفتنة والاختلاف فدخلت فيها ، وهأنذا وقد رجع الأمر إلى أحسنه وكفى الله تلك الثائرة ، وهذا أمركم إليكم تولوا من أحببتم من الناس وأجيبكم على ذلك ، وأكون كأحدكم ، فأجابه الناس : رضينا بك قسماً وحظاً إذ أنت ثانى اثنين مع رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : اللهم ! صل على محمد والسلام على محمد ورحمة الله وبركاته ، اللهم ! إنا نستعينك

(1) سورة الشورى آية ٢٨ .

ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع من يكفرك .

ثم نزل واستقام له الأمر بعد رسول الله ﷺ وبايعه الناس ورضوا به وسموه «خليفة رسول الله ﷺ » إلا شرذمة مع على بن أبى طالب ، تخلفوا عن بيعته .

وكان أسامة بن زيد يقول : أمرنى رسول الله ﷺ أن أغير صباحاً على أهل أبنى ثم أمر أبو بكر أن يبعثوا بعث أسامة بن زيد فقال له الناس : إن العرب قد انتقضت عليك ، وإنك لا تصنع بتفرق المسلمين عنك شيئاً ، قال : والذى نفس أبى بكر بيده ! لو ظننت أن السباع أكلتنى بهذه القرية لأنفذت هذا البعث الذى أمر رسول الله ﷺ بإنفاذه ، ثم قال أبو بكر لأسامة : إن تخلف معى عمر بن الخطاب فافعل ، فأذن له أسامة فتخلف عمر مع أبى بكر ومضى أسامة حتى أوطأهم ، ثم رجع فسمع به المسلمون فخرجوا مسرورين بقدومه ولواءه معقود حتى دخل المسجد فصلى ركعتين ثم دخل بيته ولواءه معقود ، ويقال : إنه لم يحل اللواء حتى توفى ووضعه فى بيته .

ثم كتب أبو بكر الصديق كتاباً إلى معاذ بن جبل يخبره بموت رسول الله ﷺ ، وبعثه مع عمار بن ياسر ، وقد كان معاذ أتى اليمن فبينا هو ذات ليلة على فراشه إذا هو بهاتف يهتف عند رأسه : يا معاذ ! كيف يهنئك العيش ومحمد فى سكرات الموت ؟ فوقف فزعاً ، ما ظن إلا أن القيامة قد قامت ، فلما رأى السماء مصحية والنجوم ظاهرة استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم نودى الليلة الثانية : يا معاذ ! كيف يهنئك العيش ومحمد بين أطباق الثرى ؟ فجعل معاذ يده على رأسه وجعل يتردد فى سكك صنعاء وينادى بأعلى صوته : يا أهل اليمن ! ذرونى لا حاجة لى فى جواركم ، فما شر الأيام يوم جئتكم وفارقت رسول الله ﷺ ! فخرج الشبان من الرجال والعواتق من النساء وقالوا : يا معاذ ! ما الذى دهاك ؟ فلم يلتفت إليهم وأتى منزله وشد على راحلته وأخذ جراباً فيه سويق وأداوة من ماء ثم قال : لا أنزل عن ناقتى هذه إ شاء الله إلا لوقت صلاة حتى آتى المدينة ، فبينا هو على ثلاثة مراحل من المدينة إذ لقيه

عمار فعرفه بالبعير ، قال : اعلم يا معاذ أن محمداً قد ذاق الموت وفارق الدنيا ، فقال معاذ : يا أيها الهاتف فى هذا الليل القار من أنت يرحمك الله ! قال : أنا عمار بن ياسر ، قال : وأين تريد ؟ قال : هذا كتاب أبى بكر إلى معاذ يعلمه أن محمداً قد مات وفارق الدنيا ، قال معاذ : فإلى من المهتدى والمشتكى ؟ فمن لليتامى والأرامل والضعفاء ؟ ثم سار ورجع عمار معه وجعل يقول : نشدتك بالله كيف أصحاب محمد قال : تركتهم كنعم بلا راع ، قال : كيف تركت المدينة ، قال : تركتها وهى أضيق على أهلها من الخاتم ، فلما كان قريباً من المدينة سمعت عجوزاً وهى تذكر رسول الله ﷺ وهى تبكى ، فقالت : يا عبد الله ! لو رأيت ابنته فاطمة وهى تبكى وتقول : يا أبتاه ! إلى جبريل ننعاه ! يا أبتاه ! انقطع عنا أخبار السماء ، ولا ينزل الوحى إلينا من عند الله أبداً ، فدخل معاذ المدينة ليلاً وأتى باب عائشة فدق عليها الباب فقالت : من هذا الذى يطرق بنا ليلاً ؟ قال : أنا معاذ بن جبل ، ففتحت الباب فقال : يا عائشة ! كيف رأيت رسول الله ﷺ عند شدة وجعه ؟ قالت : يا معاذ ! لو رأيت رسول الله ﷺ يصفار مرة ويحمار أخرى ، يرفع يداً ويضع أخرى لما هنأك العيش طول أيام الدنيا ! فبكى معاذ حتى خشى أن يكون الشيطان قد استفزه ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأتى أصحاب محمد ﷺ .

ثم ظهر طليحه فى أرض بنى أسد ومالت فزارة فيها عيينة بن حصن بن بدر مرتدين عن الإسلام وبايعه بنو عامر على مثل ذلك ، وتربصوا ينظرون الوقعة بين المسلمين وبين بنى أسد وفزارة . وقد كان أمر رسول الله ﷺ الذين بعثهم على الصدقات قد جمعوا ما كان على الناس منها ، فلما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ فأما عدى بن حاتم فتمسك بالإسلام وبقى فى يده الصدقات ، وكذلك الزبرقان بن بدر ، وأما مالك بن نويرة فأرسل ما فى يده وقال لقومه : قد هلك هذا الرجل فشأنكم بأموالكم ، وقد كانت طئ وبنو سعد كلمهما عدى بن حاتم والزبرقان بن بدر فقالا ــ وهما كانا أحزم رأياً وأفضل فى الإسلام رغبة من

مالك بن نويرة ـ لقومهما : لا تعجلوا فإنه ليكونن لهذا الأمر قائم ، فإن كان ذلك كذلك ألقاكم ولم تبدلوا دينكم ولم تعزلوا أمركم ، وإن كان الذى تطلبون فلعمرى إن ذلك أموالكم بأيديكم ، لا يغلبنكم عليها أحد غيركم ، وسكناهم بذلك حتى أتاهم خبر الناس واجتماعهم على أبى بكر بعد رسول الله ﷺ وبيعة المسلمين إياه فبعثا ما بأيديهم من الصدقة إلى أبى بكر ، فلم يزل أبو بكر يعرف فضلهما على من سواهما من المسلمين .

وجاء العباس وفاطمة إلى أبى بكر يلتمسان ميراثهما من النبى ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا نورث ما تركناه صدقة . إنما يأكل محمد من هذا المال ، وإنى والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنعته فيه . فهرجته فاطمة ولم تكلمه حتى ماتت .

ثم جهز أبو بكر الجيش ليقاتل من كفر من العرب ، فترك إعطاء الصدقات وارتد عن الإسلام ، فقال له عمر : كيف تقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والذى نفس أبى بكر بيده ! لو منعونى عقالاً أو عناقاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى آخذها ، قال عمر : فلما رأيت شرح صدر أبى بكر لقتالهم علمت أنه الحق . فأمر أبو بكر على الناس خالد بن الوليد وأمر ثابت ابن قيس بن شماس على الناس الأنصار وجمع أمر الناس إلى خالد بن الوليد ، ثم أمرهم أن يسيروا وسار معهم مشيعاً حتى نزل ذا القصة من المدينة على بريد وأميال فضرب معسكره وعبأ جيشه ثم تقدم إلى خالد بن الوليد وقال : إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم أذاناً للصلاة فأمسكوا عنها حتى تسألوهم ما الذى يعلمون ، وإن لم تسمعوا الأذان فشنوا الغارة واقتلوا وحرقوا ، ثم أمر خالد

ابن الوليد أن يصمد لطليحة وهو على ماء من مياه بنى أسد ؛ وكان طليحة يدعى النبوة وينسج للناس الأكاذيب والأباطيل ويزعم أن جبريل يأتيه ، وكان يقول للناس : أيها الناس ! إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح أدباركم شيئاً واذكروا الله قعوداً وقياماً ، وجعل يعيب الصلاة ويقول : إن الصريح تحت الرغوة، وكان أول ما ابتلى من الناس طليحة أنه أصلب هو وأصحابه العطش فى منزلهم فيه ، فقال طليحة فيما شجع لهم من أباطيله : اركبوا علالاً يعنى فرساً واضربوا أميالاً تجدوا قلالاً ؛ ففعلوا فوجدوا ماء ، فافتتن الأعراب به ، ثم قال أبو بكر لخالد بن الوليد : لآتيك من ناحية خيبر إن شاء الله فيمن بقى من المسلمين ، وأراد بذلك أبو بكر أن يبلغ الخبر الناس بخروجه إليهم ، ثم ودع خالداً ورجع إلى المدينة . ومضى خالد بالناس وكانت بنو فزارة وأسد يقولون : والله ! لا نبايع أبا الفصيل ـ يعنون أبا بكر ، وكانت طىء على إسلامها ، لم تزل عنه مع عدى بن حاتم ومكنف بن زيد الخيل ، فكانا يكالبانها ويقولان لبنى فزارة : والله ! لا نزال نقاتلكم إن شاء الله، فلما قرب خالد بن الوليد من القوم وبعث عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم أخا بنى العجلان طليعة أمامه ، وخرج طليحة بن خويلد المتنبئ وأخوه سلمة بن خويلد أيضاً طليعة لمن وراءهما فالتقيا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم فانفرد طليحة بعكاشة ، وسلمة بن خويلد بثابت ، فأما سلمة فلم يلبث ثابتاً أن قتله ؛ ثم صرخ طليحة وقال : يا سلمة ! أعنى على الرجل فإنه قاتلى ، فاكتنفا عكشاة حتى قتلاه ، وكرا راجعين إلى وراءهما ، فلما وصل خالد والمسلمون إلى ثابت بن أقرم وعكاشة ابن محصن وهما قتيلان عظم ذلك على المسلمين وراءهم ، ثم مضى خالد حتى نزل على طىء فى خللهم سلمى ؛ فضرب معسكره وانضم إليه من كان من المسلمين فى تلك القبائل ، ثم تهيأ للقتال وسار إلى طليحة وهو على مائة، والتقى معه طليحة فى سبعمائة رجل من بنى فزارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وطليحة متلفف فى كساء له بفناء بيت له من شعر ، يتنبأ ويسجع ، فهز عيينة ابن حصن الحرب وشد القتال ثم كر على طليحة فقال : هل جاءك جبريل

بعد؟ قال : لا ، فرجع عيينة وقاتل حتى إذا هزته الحرب كر عليه ثانياً وقال : لا أبا لك ! هل جاءك جبريل بعد ؟ قال نعم ! قال : فماذا قال لك ، قال : قال لى : إن لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه ، قال عيينة : أظن الله أنه قد علم أنه سيكون لك حديث لا تنساه يا بنى فزارة هكذا ، فانصرفوا فهذا والله كذاب ، فانصرف وانصرفت معه فزارة وانهزم الناس ، وكان طليحة قد أعد فرساً له عنده وهيأ بعيراً لامرأته النوار ، ثم اجتمعت إليه فزارة وهم مبارزون فقالوا : ما تأمرنا فلما سمع منهم ذلك استوى على فرسه وحمل امرأته على البعير ثم نجا بها ، وقال لهم : من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت وينجو بأهله فليفعل . ثم سلك الحوشنية حتى لحق بالشام وانصرفت فزارة ، وقتل منهم من قتل ، ثم دخلت القبائل فى الإسلام على ما كانوا عليه من قبل .

فلما فرغ خالد من بيعتهم أوثق عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة بن سلمة وبعث بهما إلى أبى بكر ، فلما قدما عليه قال قرة : يا خليفة رسول الله ! إنى كنت مسلماً ، وإن عند عمرو بن العاص من إسلامى شهادة ، قد مر بى فأكرمته وقربته ، وكان عمرو بن العاص هو الذى جاء بخبر الأعراب ، وذلك أن عمراً كان على عمان ، فلما أقبل راجعاً إلى المدينة مر بهوزان وقد انتقضوا وفيهم سيدهم قرة بن هبيرة ، فنزل عليه عمرو بن العاص فنحر له وأقراه وأكرمه؛ فلما أراد عمرو الرحيل خلى به قرة بن هبيرة وقال : يا عمرو ! إنكم معشر قريش إن أنتم كففتم عن أموال الناس وتركتموها لهم ـ يريد الصدقات ـ فقمن أن يسمع لكم الناس ويطيعوا ، فإن أنتم أبيتم إلا أخذ أموالهم فإنى والله ما أرى العرب مقرة بذلك لكم ولا صابرة عليه حتى تنازعكم أمركم ويطلبوا ما فى أيديكم ، فقال عمرو بن العاص : أبالعرب تخوفنا موعدك ، أقسم بالله لأوطئنه عليك الخيل . ثم مضى عمرو حتى قدم المدينة على أبى بكر وأخبره الخبر قبل خروج خالد إليهم فتجاوز أبو بكر عن قرة بن هبيرة وعيينة بن حصن وحقن لهما دماءهما.

فرغ خالد بن الوليد من بيعة وبنى عامر وبنى أسد قال : إن الخليفه قد عهد إليّ أن أسير إلى أرض بنى غانم ، فسار حتى نزل بأرضهم وبث بها السرايا فلم يلق بها جمعًا ، وأتى بمالك بن نويرة فى رهط من بنى تميم وبنى حنظلة فأمر بهم فضربت أعناقهم وتزوج مكانه أم تميم امرأة مالك بن نويرة فشهد أبو قتادة لمالك بن نويرة بالاسلام عند أبى بكر ، ثم رجع خالد يؤم المدينة فلما قدمها دخل المسجد وعليه درع متعجراً بعمامة وعليه قباء صدأ الحديد ، قد غرز فى عمامته أسهما فقام إليه عمر بن الخطاب فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال : أقتلت امرأ مسلما مالك بن نويرة ثم تزوجت امرأته ؟ والله ! لنرجمنك بأحجارك ، وخالد بن الوليد لا يكلمه ولا يظن إلا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمر حتى دخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه أنه لم يعلم فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان منه فى حربه تلك فخرج خالد من عنده وعمر جالس فى المسجد فقال : هلم إلى ابن أم شملة فعرف أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه فقام فدخل بيته .

ثم ماتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد أبيها بسته أشهر فدفنها على ليلاً ولم يؤذن به أبا بكر ولا عمر ، وكان لعلى جهة من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن على ،فلما راى انصرف الناس ضرع على إلى مصالحة أبى بكر فارسل إلى أبى بكر أن ائتنا ولا تأتنا معك باحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، فقال أبو بكر : والله ! لآتينهم وحدى ما عسى أن يصنعوا بى فانطلق أبو بكر وحده حتى دخل على علىّ وقد جمع بنى هاشم عنده ؛ فقام على وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ! فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكارا لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا حقا فاستبددت به علينا ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقهم ولم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر فلما صمت علىّ تشهد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله

ثم قال : والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى، وإنى والله ما أعلم فى هذه الأمور التى كانت بينى وبين علىّ إلا الخير ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لانورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذه المال قوتا » وإنى والله لا ادع أمراً صنع فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته إن شاء الله ؛ ثم قال : موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليّا ببعض ما اعتذر به ، ثم قام علىّ فعظم من حق أبو بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى إلى أبى بكر فبايعه ، وأقبل الناس على علىّ فقالوا : أصبت وأحسنت .ثم توفى عبد الله بن أبى بكر الصديق وكان أصابه سهم بالطائف مع النبى ﷺ رماه ابن محجن ثم دمل الجرح ، فمات فى شوال بعد الظهر ، ونزل حفرته عبد الرحمن بن أبى بكر وعمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله ودخل عمر على أبى بكر وهو آخذ بلسانه ينصنصه فقال له عمر : يا خليفة رسول الله! الله الله فقال أبو بكر : هذا أوردنى الموارد

فلما دخل شهر ذى الحجة حج عمر بن الخطاب سنة أحدى عشر ، وأشترى مولاه فى حجته تلك ثم رجع إلى المدينة .

ثم وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى اليمامة وكان مسيلمة قد تنبأ بها فى حياة رسول الله ﷺ وكان أمره ضعيفا ، ثم وفد إلى النبى ﷺ ورجع إلى قومه فشهد رجال بن عنفوة لأهل اليمام أن رسول الله ﷺ قد أشركه فى الأمر فعظم فتنته عليهم .

وخرج خالد بن الوليد بالمهاجرين و الأنصار حتى إذا دنا من اليمامة نزل واديا من أوديتهم فأصاب فى ذلك الوادى مجاعة بن مراره فى عشرين رجلا منهم كانوا خرجوا يطلبون رجلا من بنى تميم وكان أصاب لهم دما فى الجاهلية فلم يقدروا عليه فباتوا بذلك الوادى فلم ينبههم إلا خيل المسلمين قد وقفت عليهم فقالوا : من القوم ؟ فقالوا : بنو حنيفة ، قال : فلا أنعم لكم علينا ، ثم نزلوا فاستوثقوا منهم فلما أصبح دعاهم خالد بن الوليد فقال : يا بنى

حنيفة ! ما تقولون؟ فقالوا : منا نبيء ومنكم نبيء ، فعرضهم خالد على السيف حتى بقي سارية بن عامر ومجاعة بن مرارة : فقال له سارية : يا أيها الرجل ! إن كنت تريد هذه القرية فاستبق هذا الرجل ، وأوثق مجاعة في الحديد ودفعه إلى أم تميم امرأته وقال استوصي به خيراً وضرب عنق سارية بن عامر ثم سار بالمسلمين حتى نزل كثيب مشرف على اليمامة وضرب معسكره هناك وخرج أهل اليمامة مع مسيلمه ، وتصاف الناس ، وكان خالد جالسا على سريره ومجاعه مكبل عنده و الناس على مصافهم إذ رأى بارقة في بني حنيفه فقال خالد : أبشروا يا معشر المسلمين ! قد كفاكم الله عدوكم واختلف القوم فكر مجاعة إليه وهو مكبل فقال : كلا والله إنها الهندوانية خشوا من تحطمها فأبرزها للشمس لتلين لهم فكان كما قال ، فلما التقى الناس كان أول من خرج رجال بن عنفوة فقتل واقتتل المسلمون قتالاً شديداً حتى انهزم المسلمون ، وخلص أصحاب مسيلمة إلى الرحال و دخلوا فسطاط خالد بن الوليد وفيه مجاعة مكبلاً عند أم تميم امرأه خالد ، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعه : أنا لها جار فنعمت الحرة ، عليكم بالرجال ، فرحبلوا الفسطاط بالسيف ، ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس بن شماس : بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين اللهم أنى أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء المسلمون، ثم أخذ سيفه حتى جالد به حتى قتل ورأى زيد بن الخطاب انكشاف المسلمين عن رحالهم فتقدم فقاتل حتى قتل ؛ وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك وكان البراء ـ فيما يقال ـ إذا حضر البأس أخذه انتفاض [1] حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول في سراويله، فإذا بال صار مثل السبع ، فلما رأى ما صنع المسلمون من الانكشاف وما رأى من أهل اليمامة أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلما بال وثب فقال : أين يا معشر المسلمين ؟ أنا البراء بن مالك ، هلموا إليّ فاجتمع عنده جماعة من المسلمين

---

(١) أى انتفاض الحمى .

فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى خلصوا إلى محكم اليمامة ، وهو محكم بن الطفيل ، فلما بلغه القتال قال : يا معشر بنى حنيفة ! الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات وينكحن غير حظيات ، فما كان عندكم من حسب فأخرجوه ، ثم تقدم فقاتل قتالاً شديداً فرماه عبد الرحمن بن أبى بكر بسهم فوضعه فى نحره فقتله ، وزحف المسلمون حتى ألجأوهم إلى الحديقة وفيها مسيلمة ، فقال البراء بن مالك : يا معشر المسلمين ! ارمونى عليهم فى الحديقة ، فقال الناس : لا تفعل يا براء ! فقال : والله أفعل فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحم فقاتلهم حتى فتحها الله للمسلمين ، ودخل عليهم المسلمون ، وقتل مسيلمة ، اشترك وحشى بن حرب مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار فى قتله ، فرماه وحشى بحربته وضربه الأنصارى بسيف ، فكان وحشى يقول : ربك أعلم أينا قتله ! قتلت : خير الناس وشر الناس .

فلما فرغ المسلمون من مسيلمة ، وأتى خالداً الخبر فخرج بمجاعة فى الحديد يرسف معه ليدله على مسيلمة ، وكان يكشف القتلى حتى مر بمحكم ابن الطفيل ، وكان رجلاً جسيماً وسيماً فقال خالد : هذا صاحبكم ، فقال مجاعة : لا ! هذا والله خير منه وأكرم ، هذا محكم اليمامة ، ثم دخلوا الحديقة وقلبا القتلى فإذا رويجل أصيفر أخينس فقال مجاعة : إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس وإن جماهير الناس فى الحصون ، قال : ويلك ما تقول؟ قال : والله إن ذلك لحق ،فهلم أصالحك على قومى ، فصالحه خالد بن الوليد على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبى ، ثم قال لمجاعة : امض إلى القوم فاعرض ما صنعت ، فانطلق إليهم ثم قال للنساء : ألبسن الحديد ثم أشرفن على الحصون ، ثم انتهى إلى خالد قال : إنهم لم يرضوا على مصالحتك عليه، ولكن إن شئت شيئاً صنعت وعرضت على القوم ! قال : ما هو ؟ قال : تأخذ ربع السبى ربعاً ، قال خالد : قد فعلت ! قال : قد صالحتك ، فلما فرغا دخلوا الحصن فإذا ليس رجل واحد رماهم إلا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة :

خدعتنى ، قال : قومى .

ثم بعث أبو بكر إلى خالد بن الوليد بسلمة بن سلامة بن وقش يأمره أن لا يستبقى من بنى حنيفة رجلاً قد أنبت ، فأتاه سلمة وقد فرغ خالد من الصلح .

ثم إن خالداً قد بعث وفداً من بنى حنيفة إلى أبى بكر فقدموا عليه فقال أبو بكر : ويحكم ! ما هذا الرجل الذى استزل منكم ما استزل ، قالوا : يا خليفة رسول الله ! قد كان الذى بلغك ، وكان امرءاً لم يبارك الله له ولا لعشيرته فيه قال أبو بكر : على ذلك ما دعاكم إليه ؟ قالوا : كان يقول : يا ضفدع نقى نقى ! لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون ، فقال أبو بكر : سبحان الله سبحان الله .

فلما فرغ خالد من الصلح نزل وادياً من أودية اليمامة ، فبينما هو قاعد إذ دخل عليع رجل من بنى حنيفة يقال له سلمة بن عمير فقال لمجاعة : استأذن لى على الأمير ، فإن لى إليه حاجة ، فأبى عليه مجاعة ، ثم قال مجاعة : إنى والله لأعرف الشر فى وجهه ، ثم نظر فإذا هو مشتمل على السيف فقال : ما لك لعنك الله ! أردت أن تستأصل بنى حنيفة ، والله لئن قتلته ما ترك فى بنى حنيفة صغير ولا كبير إلا قتل ، فانقلب الرجل ومعه سيفه ، فوقع فى حائط من حوائط اليمامة وحبس به المسلمون فدخلوا خلف الحائط فقتل .

وكان من استشهد من المسلمين يوم اليمامة من قريش ممن يحضرنا ذكرهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وشجاع بن وهب بن ربيعة ، ومالك بن عمرو ، ويزيد بن قيس ، وصفوان بن أمية بن عمرو ، وأخوه مالك بن أمية ، والطفيل بن عمرو الدوسى ، وجبير بن مالك وأمه بحينة، ويزيد ابن أوس ، وحيى بن حارثة ، والوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وحكيم بن حزام بن أبى وهب ، وزيد بن الخطاب بن نفيل ، وعبد الله بن عمرو بن بحرة، وعبد الله بن الحارث بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث ، وعبد الله بن مخرمة بن

عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسليط بن سليط بن عمرو ، وعمرو بن أوس بن سعد بن أبى سرح ، وربيعة بن أبى خرشة ، ومنقذ بن عمرو ابن عطية ، وعبد الله بن الحارث بن رحضة .

واستشهد من الأنصار يوم اليمامة ثابت بن قيس بن شماس ، وعباد بن بشر ابن وقش ، ورافع بن سهل ، وعبد الله بن عتيك ، وحاجب بن زيد وسهل بن عدى ، ومالك بن أوس ومعن موليان لهم ، وفروة بن العباس ، وكليب بن تميم ، وعامر بن ثابت ، وبشر بن عبد الله وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول ، وعبد الله بن عتبان ، وثابت بن هزال ، وأسيد بن يربوع ، وأوس بن ورقة ، وسعد بن حارثة بن لوذان ، وسماك بن خرشة أبو دجانة ، وسعد بن حمار، وعقبة بن عامر بن نابى وضمرة بن عياض ، وعبد الله بن أنيس ، ومسعود بن سنان ، وحبيب بن زيد ، وأبو حبة بن غزية بن عمرو ، وعمارة بن حزم بن زيد ويزيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد رمى بسهم فمات فى الطريق ، وثابت بن خالد بن عمرو بن خنساء ، وفروة بن النعمان بن الحارث ، وعائذ بن ماعص الزرقى ، وحبيب بن عمرو بن محصن .

ثم انصرف خالد بن الوليد بالمسلمين حتى قدم المدينة على أبى بكر ، وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتد من العرب إلا الجارود بن عمرو بن خنش بن معلى فإنه ثبت على الإسلام فيمن تبعه من قومه ، وقالت ربيعة بعضها لبعض : نرد الملك إلى المنذر بن ساوى ، وكان المنذر ملكهم فى حياة رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمى فأسلم المنذر ، وأقام العلاء بها إلى أن قبض رسول الله ﷺ ، فملك ربيعة المنذر بن النعمان بن المنذر بن ساوى وجمع جمعهم على الارتداد ؛ فلما بلغ أبا بكر خبرهم ، بعث إليهم العلاء بن الحضرمى وأمره بثمامة بن أثال الحنفى وكان قد أسلم ثمامة وأسلم بنو سحيم معه ، فلما مر العلاء بثمامة بن أثال معه من اتبعه من قومه من بنى سحيم وسارت ربيعة إليهم فحاصروهم بجواثا ـ حصن بالبحرين ، وأصاب المسلمون

جهداً شديداً من الجوع حتى كادوا أن يهلكوا فخرج عبد الله بن حذف ليلة من الليالى يتجسس أخبارهم ويجىء المسلمين بالخبر ، فأتى الحصن واحتال فى دخوله فوجدهم سكارى فرجع فأخبر المسلمين أن القوم سكارى لا غناء بهم ، فبيتهم العلاء بن الحضرمى فيمن معه من المسلمين وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فتح الله على المسلمين حصنهم ، وقسم العلاء بن الحضرمى الغنيمة بالبحرين وجمع بها صلاة الجمعة .

وخرج الأسود بن كعب العنسى فى كندة فباع الناس والمهاجر بن أبى أمية أميرها ، وسمعت كندة بذلك واتفقت أيضاً مع من اتبع الأسود على نصره ، وكان على حضر موت زياد بن لبيد البياضى ، فلما رأى ذلك منهم بيتهم بالليل وقتل منهم أربعة من الملوك فى محاجرهم : جمدا ومحوصا ومشرحا وأبضعة ، ثم كتب المهاجر بن أبى أمية إلى أبى بكر يخبره بانتفاض الناس ويستمد منه ، فبعث أبو بكر عكرمة بن أبى جهل فى جيش معه إلى المدينة ، وكانت قطعة من كندة ـ ثبتت على الإسلام ـ مع زياد بن لبيد وقطعة مع المهاجر بن أبى أمية وزياد بن أبى لبيد بالحرب ، فلما اشتد عليهم الحصار نزل إليهم الأشعث بن قيس وسألهم الأمان على دمه وأهله وماله حتى يقدموه على أبى بكر فيرى فيه رأيه وأن يفتح النجير ، ففعلوا ذلك وفتح النجير ، واستنزلوا من فيه من الملوك وضربت أعناقهم ، واستوثقوا من الأشعث بن قيس وبعثوا به إلى أبى بكر مع السبى ، وقتل الأسود بن كعب العنسى فى بيته ، فلما قدم الأشعث على أبى بكر قال أبو بكر : فما تأمرنى أن أصنع فيك فإنك فعلت ما علمت ؟ قال الأشعث : تمن على وتفكنى من الحديد وتزوجنى أختك ، فإنى قد راجعت وأسلمت ، قال أبو بكر : قد فعلت ، فزوجه أخته فروة بنت أبى قحافة

ثم قدم أهل البحرين على أبى بكر يفتدون سباياهم أربعمائة ، فخطب أبو بكر الناس فقال : أيها الناس ! ردوا على الناس سباياهم ، لا يحل لامرىء يؤمن

بالله واليوم الآخر أن يغيب عنه منهم أحد ، ثم جاء بن عبد الله أبا بكر فقال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن جاءنا مال من البحرين أعطيناك هكذا وهكذا » ، فحرز له أبو بكر « هكذا » خمسمائة درهم ، فأعطاه من مال البحرين ألفاً وخمسمائة درهم . ثم اعتمر أبو بكر فى رجب وخرج هو وعبد الرحمن بن صبيحة على راحلتين واستخلف على المدينة عمر بن الخطاب ، وقدما مكة ضحوة ، وخرج منها قبل الليل . ومات أبو مرثد الغنوى حليف حمزة بن عبد المطلب . وتزوج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل .

ثم خرج أبو بكر سنة اثنتى عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ، وخرج لليلتين بقيتا من ذى القعدة ، وأحرم من ذى الحليفة ، وقدم مكة لسبع خلون من ذى الحجة ، وكان قد ساق معه عشر بدنات ، فخطبهم قبل التروية بيوم فى المسجد الحرام ، وأمرهم بتقوى الله ونهاهم عن معصيته وعظم عليهم حرمة الإسلام وأمرهم بالقصد فى مسيرهم والترفق ، وتلا عليهم آيات من القرآن ، ثم قال : من استطاع منكم أن يصلى الظهر بمنى غداً فليفعل ، ثم حج لهم ونحر البدن ورمى الجمار ماشياً ذاهباً وجائياً .

ومات أبو العاص بن الربيع فى ذى الحجة وكان يسمى جرو البطحاء وأوصى إلى الزبير بن العوام ، فزوج الزبير ابنته على بن أبى طالب .

ثم قفل أبو بكر من الحج إلى المدينة ، فلما قدمها كتب إلى خالد بن الوليد يريد العراق ، وقد قيل : إنه قد قدم المدينة ثم خرج إلى العراق ، فلما بلغ خالد ابن الوليد إلى قريات من السواد يقال لهن بانقياء باروسما وأليبس صالح أهلها ، وكان الذى صالحه عليه ابن صلوبا ، فقبل منهم الجزية وكتب له كتاباً « بسم الله الرحمن الرحيم » : هذا كتاب من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادى ومنزله بشاطىء الفرات أنك آمن بأمان الله ممن حقن دمه بإعطاء الجزية ، وقد أعطيت عن نفسك ومن كان فى قريتك ألف درهم فقبلناها ، ورضى من معى من المسلمين بها عنك ، فلك ذمة الله وذمة محمد ﷺ وذم المسلمين على

ذلك ، وشهد هشام بن الوليد ، ثم أقبل خالد حتى نزل الحيرة وكان عليها قبيصة بن إياس بن حية الطائى أمير لكسرى فخرج إليه بأشرافهم ، فقال لهم خالد : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتك بأقوام أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم، فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بحربك من حاجة : بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية ، فصالحهم على تسعين ألف درهم كل سنة ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق هذه والتى صالح عليها ابن صلوبا .

وبعث أبو بكر بعد قفوله من الحج الجنود إلى الشام فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين فأخذ طريق المُعرقة على أيلة ، وبعث يزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنه إلى الشام وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على البلقاء من علياء الشام ، وبعث خالد بن سعيد بن العاص على ربع من الأرباع، فلم يزل عمر بن الخطاب بأبى بكر حتى عزله وأمر مكانه ابن أبى سفيان وخرج أبو بكر مع يزيد بن أبى سفيان يوصيه ويزيد راكب ، قال : أيها الأمير إما أن تركب وإما أن أنزل ! فقال : ما أنت بنازل ولا أنا براكب ، أليست خطاى هذه فى سبيل الله ! ثم قال : يا يزيد ! إنكم ستقدمون بلاداً فإذا أكلتم الطعام فسموا الله على أولها واحمدوه على آخرها ، وستجدون قوماً حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم ، وستجدون أقواماً قد اتخذ الشيطان على رؤوسهم مقاعد . يعنى الشمامسة ـ فاضربوا تلك الأعناق ، ولا تقتلن كبيراً هرماً ولا امرأة ولا وليداً ولا تعقرن بهيمة إلا لنفع ، ولا تخربن عمراناً ولا تقطعن بحراً إلا لنفع ، ولا تغل ولا تغدر ولا تخن ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] أقرئك السلام وأستودعك الله ! ثم انصرف أبو بكر ومضى يزيد بن أبى سفيان وتبعه شرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة بن الجراح فرداً فرداً ، ونزل عمرو بن العاص فى قصره بغمر العربات ، ونزل الروم بثنية جلق

(١) سورة الحج الآية ٤٠ .

بأعلى فلسطين فى سبعين ألفاً عليهم تذارق أخو هرقل لأبيه وأمه ، فكتب عمرو بن العاصى إلى أبى بكر يذكر له أمر الروم ويستمده ، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو يأمره أن يمد أهل الشام فيمن معه من أهل القوة ويستخلف على ضعفة الناس رجلا منهم ، فلما أتاه كتاب أبى بكر قال خالد : هذا عمل الأعيسر ابن أم شملة يعنى عمر بن الخطاب ـ حسدنى أن يكون فتح العراق على يدى فسار خالد بأهل القوة من الناس ، ورد الضعفاء و النساء إلى المدينة ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصارى ، واستخلف على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيبانى فلما بلغ خالد بمن معه عين النمر أغار على أهلها فأصاب منهم ، ورابط حصنا بها فيه مقاتلة لكسرى حتى استنزلهم وضرب اعناقهم وسبى منهم سبايا كثيرة ، وكان من تلك السبايا أبو عمرة والد عبد الأعلى بن أبى عمرة، ويسار جد محمد بن إسحاق ، وحمران بن ابان مولى عثمان وأبو عبيد مولى المعلى ، وخير مولى أبى داود الأنصارى ، وأبو عبد الله مولى زهرة .

فأراد خالد المسير والتمس دليلا فدل على رافع بن عميرة الطائى فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : إنك لا تطيق ذلك بالجنود والأثقال ، والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسكلها إلا مغرراً ! إنها لخمس ليال جياد ولا يصاب فيها ماء مع مضلتها ، قال له خالد : ويحك ! ألا بدلى منها ؟ إنه قد أتانى من الأمير عزمة بذلك ، فمر بأمرك ، فقال رافع : استكثروا من الماء ، من استطاع منكم أن أذن يصير أذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله فتأهب المسلمون وسار خالد بمن معه فلما بلغوا آخر يوم من المفارة قال خالد لرافع بن عميرة : ويحك يا رافع ! ما عندك ؟ قال : أدركت الرى إن شاء الله ! فلما دنا من العلمين قال رافع للناس : انظرواهل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل فلم يروا شيئا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! هلكتم والله إذا وهلكت انظروا ! فاطلبوا ، فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقى منها بقية فلما راها المسلمون كبروا وكبر رافع بن عميرة ، ثم قال : احفروا فى أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس ، ثم اتصل

بعد ذلك لخالد المنازل فقال رافع : فوالله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة! وردتها مع أبى وأنا غلام ، فلما بلغ الخالد و المسلمون إلى سوى أغار على أهله وهم بهراء قبيل الصبح وإذاجماعةمنهم يشربون الخمر فى جفنةلهم قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول:

ألاعللانى[1] قبل جيش أبى بكر لعل منايانا قريب ولا ندرى

فقتلهم خالد بن الوليد وقتل مغنيهم وسال دمة فى تلك الجفنة ثم سار خالد حتى أغار على غسان بمرج راهط حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد أبى سفيان ؛ وخرج خالد بن الوليد بن سعيد بن العاص بمرج الصفر فى يوم مطير يستمطر فيه فتعاوى عليه أعلاج الروم فقتلوه ؛ واجتمع خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان معهم حتى صالحتة بصرى على الجزية وفتحتها الله للمسلمين فكانت تلك أول مدينة فتحت بالشام ، ثم ساروا جميعا إلى فلسطين مددا لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين وسمع الروم باجتماع المسلمين لعمرو بن العاص فانكشفوا عن إلى أجنادين أجنادين بين الرملة وبيت جيرين من ارض فلسطين وسار المسلمون إلى أجنادين وكان الإمراء أربعة والناس أرباعا إلا عمرو بن العاص كان يزعم أنه جميعهم

فلما اجتمعت العساكر وتدانت ، بعث صاحب الروم رجلاً عربياً ليأتى بخبر المسلمين ، فخرج الرجل ودخل مع المسلمين وأقام فيهم يوماً وليلة لا ينكر ، ثم أتى الروم فقالوا له : ما وراءك ؟ فقال : أما بالليل فرهبان ، وأما بالنهار ففرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجموه ، لإقامة الحق فيهم.

ثم تزاحف الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً فقال صاحبهم لهم : لفوا رأسى فى ثوب، قالوا له : ولم ؟ قال : يوم موقف البئيس لا أحب أن أراه ، ما رأيت فى الدنيا أشد منه ، وكانت الهزيمة على الروم فلقد قتل صاحبهم إنه لملفف فى ثوبه؛ وكان لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، فقتل بأجنادين

(١) عللانى : أى طبيانى

من المسلمين : نعيم بن عبد الله النحام ، وهشام بن العاصى بن وائل وعمرو بن عكرمة والطفيل بن عمرو الدوسى ، وعبد الله بن عمرو حليف لهم ، وجندب ابن عمرو بن حممة الدوسى وضرار بن الأزور وطليب بن عمرو بن وهب ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وهبار بن سفيان بن الأسود ، والحارث بن الحارث، والحجاج بن الحارث وقيس بن صخر ، ونعيم بن عامر .

استخلاف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو حفص العدوى ، وأم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخت أبى جهل بن هشام .

حدثنا محمد بن القاسم الدقاق بالمصيصة : ثنا يوسف بن سعيد بن مسلم ثنا هارون بن زياد الحنائى ثنا الحارث بن عمير عن حميد عن أنس قال : قال النبى ﷺ : «اقتدوا باللذين من بعدى : أبى بكر وعمر» .

قال أبو حاتم : فلما حانت منية أبى بكر رحمة الله عليه اغتسل قبلها يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً حتى قطعته العلة عن حضور الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس ، وكان الناس يعودونه وهو فى منزله الذى أقطع له النبى ﷺ وجاه دار عثمان بن عفان اليوم ، فبينا هو فى ليلة من الليالى عند نسائه أسماء بنت عميس وحبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير وبناته أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر إذ قالت عائشة : أتريد أن تعهد إلى الناس عهداً ؟ قال : نعم ، قالت : فبين للناس حتى يعرفوا الوالى بعدك ، قال : نعم ، قالت عائشة : إن أولى الناس بهذا الأمر بعدك عمر، وقال عبد الرحمن بن أبى بكر : إن قريشاً

تحب ولاية عثمان بن عفان ، وتبغض ولاية عمر لغلظه ، فقال أبو بكر : نعم الوالى عمر ، وما هو بخير له أن يلى أمر أمة محمد ، أما إنه لا يقوى عليهم غيره ، إن عمر رآنى ليناً فاشتد ، ولو كان واليا للان لأهل اللين واشتد على أهل الريب ، فلما أصبح دعا نفراً من المهاجرين والأنصار يستشيرهم فى عمر ، منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فقال لعبد الرحمن بن عوف : يا أبا محمد ! أخبرنى عن عمر ، فقال : ياخليفة رسول الله ! هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : ذلك لأنه رآنى ليناً فاشتد ، ولو آل إليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه اليوم ، إنى إذا غضبت على الرجل أرانى الرضا عنه وإذا لنت له أرانى الشدة عليه لا تذكر يا أبا محمد مما ذكرت لك شيئاً ، قال : نعم، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : يا أبا عبد الله ! أخبرنى عن عمر ، فقال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : فعلىّ ذلك ، قال : إن علمى أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ، قال : يرحمك الله يا أبا عبد الله ! لا تذكر مما ذكرت لك شيئاً قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك وما أدرى لعلى تاركه ، والخيرة له أن لا يلى أمركم ، ولوددت أنى خلو من أمركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم ؛ ثم قال لعثمان : اكتب : هذا ما عهد عليه أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين ، أما بعد ؛ ثم أغمى عليه فذهب عنه فكتب عثمان : أما بعد ، فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على ، فقرأ عليه ذكر عمر ، فكبر أبو بكر فقال : جزاك الله عن الإسلام خيراً ! ثم رفع أبو بكر يديه فقال : اللهم ! وليته بغير أمر نبيك ، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به، وقد حضر من أمرى ما قد حضر ، فاجتهدت لهم الرأى فوليت عليهم خيرهم لهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على رشدهم ، ولم أرد محاباة عمر ، فاجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبى الرحمة وهدى

الصالحين بعده وأصلح له رعيته وكتب بهذا العهد إلى الشام إلى المسلمين إلى أمراء الأجناد أن قد وليت عليكم خيركم ولم آل لنفسى ولا للمسلمين خيراً .

وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس ، ثم نادى عمر بن الخطاب فقال له : **إنى مستخلفك على أصحاب رسول الله ﷺ ، يا عمر : إن لله حقاً فى الليل لا يقبله فى النهار ، وحقاً فى النهار لا يقبله في الليل ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، يا عمر ! إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الحق أن يكون ثقيلاً يا عمر! إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لا يوضع فيه غير الباطل أن يكون خفيفاً يا عمر ! إنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً ، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله فيها ما ليس لك ، ولا ترهب رهبة تلقى فيها يديك ، يا عمر! إنما ذكر الله أهل النار بأسوا أعمالهم ردا عليهم ما كان من خير فإذا ذكرتهم قلت : لأرجو أن لا أكون منهم ، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء ، فإذا ذكرتهم قلت : أى عمل من أعمالهم أعمل ! فإن حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من الحاضر من الموت ولست بمعجزه .**

وتوفى أبو بكر رضى الله عنه ليلة الإثنين لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، وله يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوماً ، وكان مرضه خمس عشرة ليلة ، وغسلته أسماء بنت عميس ، وكفن فى ثلاثة أثواب ، ونزل فى قبرة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبى بكر ، ودفن ليلاً بجنب رسول الله ﷺ ، وأراد ابن عمر أن ينزل قبر أبى بكر مع أبيه فقال له عمر : قد كفيت، وكان أبو قحافة بمكة فسمع الهائعة فقال : ما هذا ؟ فقيل : مات ابنك ، فقال: رزء جليل ، فإلى من عهد ؟ قالوا : لعمر ، قال : صاحبه ؛ وورثه أبو

قحافة السدس ، وكان من عمال أبى بكر يوم توفى عتاب بن أسيد على مكة ، وعثمان بن أبى العاص على الطائف ، والعلاء بن الحضرمى على البحرين ، ويعلى بن أمية على خولان ، ومهاجر بن أبى أمية على صنعاء ، وزياد بن لبيد على حضر موت ، وعمرو بن العاص على فلسطين ، وعلى الشام أربعة نفر من الأجناد : خالد بن الوليد ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد ابن أبى سفيان ؛ ومات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ فى اليوم الذى دفن فيه أبو بكر .

ثم قام عمر بن الخطاب فى الناس خطيباً وهى أول خطبة خطبها بعدما استخلف ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : **أيها الناس ! إنى لا أعلمكم من نفسى شيئاً تجهلونه ، أنا عمر بن الخطاب وقد علمتم من هيئتى وشأنى، وإن بلاء الله عندى فى الامور كلها حسن ، وقد فارقنى رسول الله ﷺ وهو عنى راض بحمد الله ، ولم يجد علىّ فى شىء من خلقى وأنا أسعد الناس بذلك إن شاء الله وقمت لخليفته من بعده بحق الطاعة وأحسنت له المؤازرة ، ولم أحرص على القيام عليكم كالذى حرص علىّ ولكن خليفتكم المتوفى أوصى إلىّ بالخلافة عليكم برضى منكم ، وآلوه الهمة ، ذلكم وإياكم، ولولا الذى أرجو أن يأجرنى الله فى قيامى عليكم لم أقم عليكم ولنحيته عن نفسى ووليته غيرى ، وقد كنت أرى فيكم أموراً على عهد نبيكم ﷺ كدت أكرهها ، ويسوءنى منكم ، فقد رأيتم تشددى فيها ، والأمر الذى أمر به من فوقى ، أريد طاعة الله وإقامة الدين فأطعتكم ، قد علمتم ـ أو من علم ذلك منكم ـ أنى قد كنت أفعل ذلك وليس لى عليكم من سلطان وأكن أهن فى شىء منه وقد ولانى الله اليوم أمركم ولقد علمت أنى أنفع بحضرتكم لكم ، فإنى أسأل الله ربى أن يعيننى عليه وأن يحرسنى عندما بقى كما حرسنى عند غيره ، وأن يلقننى العقل فى قسمكم كالذى أمر به ، ثم إنى مسلم وعبد من عبيده ضعيف إلا ما أعان الله ، ولن يغير الذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئاً إن شاء الله، وإنما العظمة لله ،**

ليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم : إن عمر بن الخطاب تغير لما ولى أمر المسلمين ، فمن ظلمته مظلمة فإنى أعطيه الحق من نفسى وأتقدم عليكم وأبين لكم أمرى ، أيما رجل كانت له حاجة إلى أمير المؤمنين أو ظلم بمظلمة أو عتب علينا فى حق فليؤذنى ، فإنما أنا امرؤ منكم ، ولم يحملنى سلطانى الذى أنا عليــه أن أتعظم عليكم ، وأغلق بابى دونكم ، وأترك مظالمكم بينكم ، وإذا منع الله أهل الفاقة منكم اليوم شيئاً بعد اليوم فإنما هو فىء الله الذى أفاءه عليكم ، لست وإن كنت أمير المؤمنين ولن أخفى إبقاء إن كان بينى وبين أحد منكم خصومة أقاضيه إلى أحدكم ثم أقنع بالذى يقضى بيننا فاعلموا ذاك ، وإنكم قوم مسلمون على شريعة الإسلام ، ثم عليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم التى حرم الله عليكم من دمائكم وأموالكم وأعراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحملن بعضكم بعضاً إلى أن يوقع إلى السلطان شأنه ، فليستعد بى فإنه ليس بينى وبين أحد من الناس هوادة ، من منع من نفسه حقاً واجباً عليه أو استحل من دماء المسلمين وأعراضهم وأبشارهم فأنا أقتص منه وإن كان يدلى إلى بقرابة قريبة ، ثم إنكم ـ معشر العرب ـ فى كثير منكم جفاء فى الدين وخرق فى الأمور إلا من عصمه الله برحمة ، وإنى قد جعلت بسبيل أمانة عظيمة أنا مسؤول عنها ، وإنكم ـ أيها الناس ـ لن تغنوا عنى من الله شيئاً ، وإنى حثيث على صلاحكم عزيز على ما عنتم حريص على معافاتكم وإقامة أموركم ، وإنكم إناء من حصل فى سبيل الله ، عامتكم أهل بلد لا زرع فيها ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه ، وإن الله قد وعدكم كرامة كبيرة ودنيا بسيطة لكم ، وإنى مسؤول عن أمانتى وما أنا فيه، ولا أستطيع ما بعد منها إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للشاهد والغائب ، ولست أجعل أمانتى إلى أحد ليس لها بأهل ، ولن أوليه ذلك ولا أجعله إلا من تكون رغبته فى أداء الأمانة والتوقير للمسلمين ، أولئك أحق بها ممن سواهم ؛ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولما ورد كتاب أبى بكر الشام على أمراء الأجناد باستخلاف عمر بايعوه

وأطاعوه ؛ ثم ساروا إلى فحل من أرض الأردن وقد اجتمع بها الروم والمسلمون عليهم الأمراء الأربعة وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها وهى أرض سبخة فكانت وحلة فغشيها المسلمون ولم يعلموا بما فعلت الروم ، فزلقت فيها خيولهم ، ثم سلمهم الله ، والتقواهم والروم بفحل فاقتتلوا فهربت الروم ودخل المسلمون فحلا ، وانكشفت الروم إلى دمشق، وغنم المسلمون غنائم كثيرة . وكتب خالد بن الوليد إلى عمر أن الناس قد اجترأوا على الشراب ، فاستشار عمر أصحابه علياً وعثمان والزبير وسعداً فقال على : إذا شرب سكر ، وإذا سكر افترى ، وإذا افترى فعليه ثمانون فأثبت عمر الحد ثمانين .

ثم كانت وقعة الجسر ، وذلك أن المثنى بن حارثة الشيبانى قدم على عمر ابن الخطاب من العراق وقال : يا أمير المؤمنين ! إنا بأرض فارس قد نلنا منهم واجترأنا عليهم ومعى من قومى جماعة ، فابعث معى ناساً من المجاهدين والأنصار يجاهدون فى سبيل الله ، فقام عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه ثم دعا الناس إلى الجهاد ورغبهم فيه وقال : إنكم ـ أيها الناس ـ قد أصبحتم فى دار غير مقام بالحجاز ، وقد وعدكم الله على لسان نبيه كنوز كسرى وقيصر، فسيروا إلى أرض فارس ، فسكت الناس لما ذكرت فارس ، فقام أبو عبيد ابن مسعود الثقفى فقال : يا أمير المؤمنين ! أنا أول من انتدب من الناس ، حتى اجتمعوا وأجمعوا على المسير ثم قال : يا أمير المؤمنين ! اجتمع الناس ، أمر عليهم رجلاً من المهاجرين أو من الأنصار ، فقال : لا أومر عليهم إلا أول من انتدب منهم فأمر أبا عبيد فقال : إنه لم يمنعنى أن أستعمل عليهم سليط بن قيس إلا فيه عجلة إلى القتال ، فأخاف أن يوقع الناس موقعاً يهلككم ، فاستشره؛ ثم سار أبو عبيد مع المثنى بن حارثة الشيبانى والمسلمون معهما حتى إذا انتهى إلى بلاد قومه قام معه ربيعة فسار بهم وسار أبو عبيد بالناس حتى نزلوا باليمن وفيها مسلحة الأعاجم فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، فانهزمت العجم ، ثم

بعث أبو عبيد بمن معه من المسلمين فالتقيا ، فاقتتلوا فهزم الجالنوس وأصحابه، ودخل أبو عبيد باروسما حصناً لهم ونزل هو وأصحابه فيه .

ثم بعث الأعاجم ذا الحاجب وكان رئيس الأعاجم رستم ، فلمابلغ أبا عبيد مسيرهم إليه انحاز بالناس حتى عبر الفرات فنزل فى المروحة ، وأقبلت الأعاجم حتى نزلت خلف الفرات ، ثم إن أبا عبيد حلف : ليقطعن إليهم الفرات ، فناشده سليط بن قيس وقال : أنشدك الله فى المسلمين أن تدخلهم هذا المدخل! فإن العرب تفر وتكر فاجعل للناس مجالاً ، فأبى أبو عبيد وقال : جبنت والله يا سليط ! قال : والله ما جبنت ! ولكن قد أشرت عليك بالرأى ، فأصنع بما بدا لك فعمد أبو عبيد إلى الجسر الذى عقد له ابن صلوبا فعبر عليه المسلمون فلما التقوا شد عليهم الفيل ، فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ، إذا قطع مشفرها ماتت ، فشد على الفيل فضرب مشفره فبرك عليه الفيل فقتله ، وهرب المسلمون منهزمين فسبقهم عبد الله بن الخثعمى إلى الجسر فقطعه ، فقال له الناس : لم فعلت هذا ؟ قال : لتقاتلوا عن أميركم .

ولما قتل أبو عبيد أخذ الراية المثنى بن حارثة فانحازوا ورجعت الفرس ، ونزل المثنى بن حارثة أَلّيس وتفرق الناس فلحقوا بالمدينة ، فأول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن حصين الخطمى ، فجزع المسلمون من المهاجرين والأنصار بالفرار ، وكان عمر يقول : لا تجزعوا ! أنا فئتكم إنما انحزتم إلىّ .

وكان ممن قتل بالجسر : أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وابنه جبر بن أبى عبيد، وأسعد بن سلامة ، وسلمة بن أسلم بن حريش ، والحارث بن عدى بن مالك ، والحارث بن مسعود بن عبدة ، ومسلم بن أسلم ، وخزيمة بن أوس ، وأنيس بن أوس بن عتيك بن عامر وعمر بن أبى اليسر ، وسلمة بن قيس ، وزيد ابن سراقة بن كعب ، والمنذر بن قيس ، وضمرة بن غزية بن عمرو ، وسهل بن عتيك وثعلبة بن عمرو بن محصن ؛ وحج بالناس عمر بن الخطاب السنة الرابعة

عشرة .

فلما دخلت السنة الرابعة عشرة سار المسلمون إلى دمشق وخالد بن الوليد على مقدمة الناس ، وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق ، فعزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد وأمر أبا عبيدة بن الجراح على جميع الناس ، فاستحى أبو عبيدة أن يقرى خالداً الكتاب وقال : أصبر حتى يفتح الله دمشق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم الروم وتحصنوا ، فرابطها المسلمون حتى فتحت صلحاً ، وأعطوا الجزية وكان قد أخذ الأبواب عنوة ، وجرى الصلح على يدى خالد ، وكتب الكتاب باسمه ، ولحق باهان بهرقل ، وكان ذلك فى رجب ، ومدة حصاره دمشق ستة أشهر ، فلما فرغ المسلمون من دمشق أقرأ أبو عبيدة خالداً الكتاب ، فانصرف خالد إلى المدينة ، وقد قيل : إن الصلح جرى على يد أبي عبيدة .

ثم خرج عمر على الناس فقال : إنى وجدت من عبيد الله ابنى ريح شراب وإنى سائل عنه فإن كان مسكراً جلدته ، فقال السائب بن يزيد : فشهدته بعد ذلك يحده ، وكان الذى حده عبد الرحمن بن عبد ثم ضرب أبا محجن الثقفى وربيعة بن أمية بن خلف المخزومى ، وحدهم فى الخمر .

ثم أمر عمر من كان بالبلدان التى أفتتحت أن يصلوا فيها التراويح فى شهر رمضان ، وصلى بالناس بالمدينة كذلك .

ثم قدم جرير بن عبد الله البجلى من اليمن على عمر فى ركب من بجيلة فقال لهم عمر : إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة فى إخوانكم بالعراق ، فسيروا إليهم وأنا أخرج لكم من كان منكم فى قبائل العرب ، قالوا نفعل ياأمير المؤمنين ، فأخرج إليهم قيساً وكندة وعرينة ، وأمر عليهم جرير بن عبد الله البجلى، فسار بهم إلى الكوفة ، فلما بلغ قريباً من المثنى بن حارثة كتب له المثنى : أقبل إلىّ إنما أنت لى مدد ، فكتب إليه جرير : إنى لست فاعلاً إلا أن

يأمرنى بذلك أمير المؤمنين : أنت أمير وأنا أمير ! ثم سار جرير نحو الجسر فلقيه مهران بن باذان عند النخيلة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وشد المنذر بن حسان على مهران فطعنه فوقع عن دابته ، واقتحم عليه جرير بن عبد الله فاحتز رأسه ، فاشتركا جميعاً فى سلبه .

ثم إن عمر بن الخطاب أمر سعد بن أبى وقاص على العراق ومعه ستة آلاف رجل ، وكتب إلى المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله أن اجتمعا إلى سعد ، فسار سعد بالمسلمين ، وسار المنذر وجرير إليه ، حتى نزل سعد بشراف وشتا بها واجتمع إليه الناس ، وتزوج سعد امرأة المثنى سلمى بنت حفصة ؛ ثم حج بالناس عمر بن الخطاب .

فلما دخلت السنة الخامسة عشرة كان فيها وقعة اليرموك ، وذلك أن الروم سار بهم هرقل حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة وغسان ، ومن معه من أهل أرمينية بشر كثير فأقام بأنطاكية ، وسار أبو عبيدة بن الجراح فى المسلمين إليهم فى أربعة و عشرين ألفاً ، وكان الروم مائة ألف ، فالتقوا باليرموك فاقتتلوا قتلاً شديداً حتى كانت نساء قريش يضربن بالسيوف ، وكان أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه يزيد ، فجعل ينادى فى المعركة : يا نصر الله ! اقترب ، حتى أنزل نصره وهزم الروم ، فقتل من الروم ومن معه من أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفاً ، وقتل الله الصقلار وباهان رئيسين لهم .

ثم بعث أبو عبيدة بن الجراح عياض بن غنم فى طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ ملطية ، فصالح أهلها على الجزية ، فسمع هرقل بذلك فبعث إلى ملطية فساق من فيها من المقاتلة وأمر بها فأحرقت .

وكان ممن قتل باليرموك من المسلمين : عمرو بن سعيد بن العاص ، وأبان ابن سعيد بن العاص ، وعبد الله بن سفيان بن عبد الأسد ، وسعيد بن الحارث

ابن قيس .

ولما حسر عن سعد بن أبى وقاص الشتاء سار بالمسلمين يريد القادسية ، وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستمده ، فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة فى أربعمائة رجل مدداً لسعد من المدينة ، وكتب إلى أبى عبيدة بن الجراح أن أمد سعداً بألف رجل من عندك ، ففعل أبو عبيدة ذلك وأمر عليهم عياض بن غنم الفهرى ؛ وسمع بذلك رستم فخرج بنفسه مع من عنده من الأعاجم يريد سعداً ، وحج عمر بالناس .

فلما كانت السنة السادسة عشرة أراد عمر بن الخطاب أن يكتب التأريخ فاستشار أصحاب النبى ﷺ ، منهم من قال : من النبوة ، ومنهم من قال : من الهجرة ، ومنهم من قال : من الوفاة ، فأجمعوا على الهجرة ، وكتب التأريخ لسنة ست عشرة من الهجرة .

فلما وصل إلى سعد بن أبى وقاص المغيرة بن شعبة سار بالمسلمين إلى رستم حتى نزل قادس قرية إلى جنب العذيب ، وأقبل رستم فى ستين ألفاً من الجموع ممن أحصى فى ديوانه سوى التبع والرقيق حتى نزل القادسية و بينهم وبين المسلمين جسر القادسية ، وسعد فى منزله وجع قد خرج به قرح شديد ، فبعث رستم إلى سعد أن ابعث إلىّ رجلاً جلداً أكمله ، فبعث إليه المغيرة بن شعبة ، ففرق المغيرة رأسه أربع فرق ثم عقص شعره ولبس برديه ، وأقبل حتى انتهى إلى رستم من وراء الجسر مما يلى العراق والمسلمون من الناحية الأخرى مما يلى الحجاز ، فلما دخل عليه المغيرة قال له رستم : انكم معشر العرب ! كنتم أهل شقاء وجهد وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم بظلالنا فذهبتم فدعوتم أصحابكم وجئتم تؤذوننا ، وإنما مثلكم مثل رجل له حائط من عنب فرأى فيه أثر ثعلب فقال : وما بثعلب واحد ! فانطلق ذلك الثعلب حتى دعا الثعالب كلها إلى ذلك الحائط ، فلما اجتمعن فيه جاء صاحب الحائط فرآهن ، فسد الحجر الذى

دخلن منه ثم قتلهن جميعاً ، وأنا أعلم إنما حملكم على هذا ـ معشر العرب ! الجهد الذى أصابكم ، فارجعوا عنا عامكم هذا ، فإنكم شغلتمونا عن عمارة بلادنا ونحن نوقر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً ونأمر لكم بكسوة فارجعوا عنا ، فقال المغيرة بن شعبة : لا يذكر منا جهد إلا وقد كنا فى مثله أو أشد ، أفضلنا فى أنفسنا عيشاً الذى يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل على ذلك حتى بعث الله فينا نبينا وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به فصدقه به منا مصدق وكذبه به منا مكذب فقاتل من صدقه من كذبه حتى دخلنا فى دينه من بين موقن ومقهور حتى استبان لنا أنه صادق وأنه رسول الله ﷺ ، فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من قتل منا على ذلك فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه ، ونحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله وبرسوله وتدخل فى ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، ولا يدخل عليك فيها إلا من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، وإن أبيت ذلك فالجزية، وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رستم : ما كنت أظن أن أعيش حتى أسمع هذا منكم معشر العرب ! لا أمسى غداً حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم ؛ ثم أمر بالمعبر أن يسكر فبات ليلته يسكر بالزرع والقصب والتراب حتى أصبح وقد تركه جسراً ، وعبأ سعد ابن أبى وقاص الجيش ، فجعل خالد بن عرفطة على جماعة الناس ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلى ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح المرادى ، وزحف إليهم رستم وزحف إليه المسلمون ، وكان سعد فى الحصن ، معه أبو محجن الثقفى محبوس ، حبسه سعد فى شرب الخمر فاقتتل المسلمون قتالاً شديداً والخيول تجول ، وكان مع سعد أم ولده فقال لها أبو محجن وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الجيش كيف يقاتلون : أطلقينى ولك عهد الله وميثاقه لئن لم أقتل لأرجعين إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلى ! فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاء وخلت سبيله ، فجعل أبو محجن يشد على العدو ويكر

وسعد ينظر فوق الحصن يعرف فرسه وينكره .

وكان عمرو بن معد يكرب مع المسلمين فجعل يحرض الناس على القتال ويقول : يا معشر المسلمين ! كونوا أسوداً ، إن الفارسى تيس[1] ، وكان فى الأعلاج رجل لا يكاد يسقط له نشابة ، فقيل لعمرو بن معد يكرب : يا أبا ثور! اتق ذلك الفارسى فإنه لا تسقط له نشابه ، فقصد نحوه وجاءه الفارسى ورماه بنشابة ، فأصابت ترسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه وذبحه ، فاستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقاً من ديباج ، وحمل رستم على المسلمين فقصده هلال بن علقمة التميمى ، فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه فشكها إلى ركاب سرجه ، وحمل عليه هلال بن علقمة فضربه فقتله واحتز رأسه ، وولت الفرس واتبعتهم المسلمون يقتلونهم ، فلما رأى أبو محجن الهزيمة رجع إلى القصر وأدخل رجليه فى قيده ، فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه قد عرقت فعرف أنها قد ركبت ، فسأل أم ولده عن ذلك فأخبرته خبر أبى محجن فخلى سبيله ؛ ونهض سعد بالمسلمين خلفهم وانتهى الفرس إلى دير قرة فنزل عليهم سعد بالمسلمين ووافى عياض بن غنم فى مدده من أهل الشام وهم ألف رجل فأسهم له سعد ولأصحابه من المسلمين مما أصابوا بالقادسية ، وكان الناس قد أجبنوا سعداً وقالوا : أجبنت عن محاربة الأعداء ، فاعتذر إلى الناس وأراهم ما به من القروح فى فخذيه حتى سكت الناس .

ثم أنهزم الفرس من دير قرة إلى المدائن ، وحملوا ما معهم من الذهب والفضة والحرير والديباج والسلاح وخلوا ما سوى ذلك ، فبعث سعد خالد بن عرفطة فى طلبهم معه أصحابه ، وأردفه بعياض بن غنم فى أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلى ، وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التميمى ، وتخلف عنهم بنفسه لما به من الوجع ، ثم أفاق سعد من وجعه وبرىء واتبع الناس بمن معه من المسلمين فأدركهم دون دجلة على بهرسير ، فطلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها ،

(١) التيس : ذكر الماعز (ج) تيوس .

فقال علج من أهل المدائن لسعد : أنا أدلكم على مخاضة تدركونهم قبل أن يمعنوا السير ، فخرج بهم على مخاضة ، فكان أول من خاض المخاضة هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص في رجله ، فلما جاز تبعه خيله ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى جاوزوا ويقال : إن تلك المخاضة لم تعرف إلى الساعة ، فبلغ المسلمون إلى ساباط طويل مظلم ، وخشوا أن يكون فيه كمين للعدو فأخذوا يتجابنون ، فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص ، فلما جاز لاح للناس بسيفه فعرفوا أنه ليس فيه شيء يخافونه ، ثم أجاز خالد بن عرفطة بخيله ، ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس ، وكانت بها وقعة جلولاء وهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الغنائم أكثر مما أصابوا بالقادسية .

وكتب سعد إلى عمر بن الخطاب يخبر بفتح الله على المسلمين ، فكتب إليه عمر أن قف مكانك ولا تطلب غير ذلك ، فكتب إليه سعد إنما هي سربة أدركناها والأرض بين أيدينا فكتب إليه عمر : أقم مكانك ولا تتبعهم ، وأعد للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً فنزل سعد بالأنبار فاجتووها وأصابهم بها الحمى ، فكتب إلى عمر يخبره بذلك ، فكتب إلى سعد أنه لا يصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاء في منابت العشب ، فانظر فلاة إلى جنب بحر فأنزل المسلمين بها واجعلها دار هجرة ، فسار سعد حتى نزل بكويفة فلم يوافق الناس الكون بها من كثرة الذباب والحمى ، فبعث سعد عثمان بن حنيف فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالناس وخط مسجدها ، واختط فيها للناس الخطط وكوّف الكوفة ، واستعمل سعد على المدائن رجلاً من كندة يقال له شرحبيل بن السمط .

ثم كتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى أرض الهند ـ يريد البصرة ـ جنداً لينزلوها ، فبعث إليها سعد عتبة بن غزوان في ثمانمائة رجل حتى نزلها ، وهو الذي بصر البصرة واختط المنازل ، وبنى مسجد الجامع بالقصب ، وكان فتح

البصرة صلحاً . وافتتح عتبة بن غزوان الأبلة والفرات وميسان ، ومن سبى ميسان والد الحسن وأرطبان جد ابن عون .

ثم خرج عتبة حاجاً ، وأمر المغيرة بن شعبة أن يصلى بالناس إلى أن يرجع فحج ورجع فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى البصرة ، فأقر عمر المغيرة بن شعبة على الصلاة ، وولد عبد الرحمن بن أبى بكرة بالبصرة ، وهو أول مولود ولد بها .

وخرج عمر بن الخطاب وخلف عثمان بن عفان على المدينة ، فلما قدم الشام نزل بالجابية فقام فيها خطيباً لهم ، ثم أراد عمر الرجوع إلى الحجاز فقال له رجل من اليهود : يا أمير المؤمنين ! لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء فبينا عمر كذلك إذ نظر إلى كردوس خيل مقبل ، فلما دنوا من المسلمين سلوا السيوف فقال عمر : هم قوم يستأمنون فأمنوهم ، فأقبلوا وإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له ، وكتب لهم عمر كتاب عهد بذلك ، ورجم بالجابية امرأة أقرت على نفسها بالزنا .

ثم رجع إلى المدينة ودون لهم الديوان ، وغرب أبا محجن الثقفى إلى باضع، وتزوج عمر صفية بنت أبى عبيد على مهر أربعمائة درهم ، وحج بالناس عمر استخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة السابعة عشرة كتب عمر إلى البلدان بمواقيت الصلاة ، ووضع ما بين مكة والمدينة مياهاً للسابلة ، واتخذ داراً بالمدينة وجعل فيها الدقيق والسويق للمنقطع والضيف إذا نزل .

وولى عمر المغيرة على البصرة فسار المغيرة إلى الأهواز فصالحوه على ألفى ألف درهم وثمانمائة ألف درهم ، ثم ارتدوا ، فغزاهم بعد ذلك أبو موسى الأشعرى إلى أن افتتحها ، يقال : عنوة ، وقد قيل : صلحاً .

وبعث أبو عبيدة بن الجراح عمرو بن العاص إلى قنسرين فصالح أهل حلب

ومنبج وأنطاكية ، وافتتح سائر أرض قيصر عنوة ، ويقال : إن فى هذه السنة افتتح أبو موسى الأشعرى الرهاء وسميساط صلحاً .

ثم أراد عمر الخروج إلى الشام فخرج حتى إذا بلغ سرغ لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وأخبروه أن الأرض وبية ، فقال عمر لابن عباس : اجمع إلىّ المهاجرين الأولين ، فجمعهم له واستشارهم ، فاختلفوا عليه ، فمنهم القائل : خرجت لوجه تريد فيه الله والدار الآخرة ، ولا نرى أن نصدك عنه ، ومنهم من يقول : لا نرى أن تقدم عليه وتقدم الناس ، فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عنى . ثم جمع الأنصار واستشارهم فسلكوا طريق المهاجرين فلما اختلفوا عليه قال : قوموا عنى ، ثم جمع مهاجرة الفتح فاستشارهم فلم يختلف عليهم منهم اثنان، قالوا جميعاً : ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء ، فقال عمر لابن عباس : أخبر الناس أن أمير المؤمنين يقول : إنى مصبح على ظهر فاصبحوا عليه ، فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فقال : أيها الناس ! إنى راجع فارجعوا ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : يا أمير المؤمنين ! أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ، نفر من قدر الله إلى قدر الله ، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! أرأيت لو أن رجلاً هبط واديًا له عدوتان : إحداهما خصبة ، والأخرى جدبة . أليس يرعى من يرعى الجدبة بقدر الله ، ويرعى من يرعى الخصبة بقدر الله ؟ ثم خلا به بناحية دون الناس ، فبينا الناس على ذلك إذ لحقهم عبد الرحمن بن عوف وكان متخلفاً ولم يشهد معهم يومهم الأمس فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبره الخبر فقال : عندى من هذا علم ، فقال عمر : ما عندك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه » لا يخرجنكم إلا ذلك ، فقال عمر ؛ فلله الحمد فانصرفوا أيها الناس ! فانصرف بهم . ورجع أمراء الأجناد إلى أعمالهم .

ثم اعتمر عمر فى رجب ، وأمر بتوسيع المسجد وتجديد أنصاب الحرم ،

وتزوج بمكة بنت حفص بن المغيرة فأخبر أنها عاقر فطلقها قبل أن يدخل بها ، وأقام بمكة عشرين ليلة ورجع إلى المدينة .

وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع فصالحه أهل بعلبك ، ثم خرج أبو عبيدة يريد حمص ، وقدم خالداً أمامه فقاتلوا قتالاً شديداً، ثم هزمت الروم حتى دخلوا مدينتهم فحاصرهم المسلمون ، فسألوه الصلح على أموالهم وأنفسهم وكنائسهم ، فصالح المسلمون حمص على مائة ألف دينار وسبعين ألف دينار ، وأخذ سائر مدائن حمص عنوة .

وبعد موت عتبة بن غزوان والى البصرة أمر عمر على البصرة أبا موسى الأشعرى ، وكان المغيرة على الصلاة بها ، فشهد أبو بكرة وشبل بن معبد البجلى ونافع بن كلدة وزياد على المغيرة بما شهدوا . فبعث عمر إلى أبى موسى الأشعرى أن أشخص إلىّ المغيرة ، ففعل ذلك أبو موسى .

ثم تزوج عمر أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وهى من فاطمة ، ودخل بها فى شهر ذى القعدة ، ثم حج واستخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة الثامنة عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة ، فاستسقى لهم عمر وأخذ بيد العباس وقال : اللهم إنا نستسقى بعم رسول الله ﷺ ، فما زال العباس قائماً إلى جنبه وعيناه تهملان وعمر يلح فى الدعاء حتى سقوا ؛ فسمى هذه السنة سنة الرمادة ، وأجرى عمر الأقوات على المسلمين ، وكان يرزق الضعفاء القوت ، ونهى عن الحكرة حاطباً وغيره .

وكان طاعون عمواس فتفانى الناس فيه ، فكتب عمر إلى أبى عبيدة : إنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة ، فسار أبو عبيدة بالناس حتى نزل بالجابية ، ثم قام أبو عبيدة خطيباً فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه ، فمات من يومه ، واستخلف على الناس معاذ بن جبل ،

فقام معاذ خطيباً بعده فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، إن معاذاً يسأل الله أن يقسم له حظه ثم لأهل بيته ، فطعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ فمات ، ثم طعن معاذ فى راحته فكان يقبل ظهر كفه وكان يقول : ما أحب أن لى بما فيك من الدنيا شيئاً ، ثم مات ، واستخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فيهم خطيباً فقال : أيها الناس ! إن هذا الوجع إذا وقع يشتعل [اشتعال] النار فارتفعوا عنه فى الجبال .

فمات فى طاعون عمواس : يزيد بن أبى سفيان ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل .

فلما بلغ عمر بن الخطاب موت أبى عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان أمّر معاوية بن أبى سفيان على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها ، وغرّب عمر بن ربيعة بن أمية إلى خيبر ، ولحق بأرض الروم وتنصر ، فلم يغرب عمر بعد ذلك رجلاً فى شئ من عمله .

ولا عن عمر بين رجل وامرأته ورجم ساحراً بالبقيع ، ثم حج عمر بالناس ، فلما تقدم بمكة أخر المقام مقام إبراهيم ـ وكان ملصقاً بالبيت ـ فى موضعه الذى هو فيه اليوم ، ورجع إلى المدينة .

فلما دخلت السنة التاسعة عشرة كتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص أن ابعث من عندك جنداً إلى الجزيرة ، وأمر عليهم أحد الثلاثة : خالد بن عرفطة ، أو هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، أو عياض بن غنم ؛ فلما قرأ سعد الكتاب قال : لم يؤخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر الثلاثة إلا أن له فيه هوى ، فولاه جيشاً وبعث معه عمر بن سعد وعثمان بن أبى العاص ، فخرج عياض بن غنم إلى الجزيرة ونزل بجنده على الرُّهاء وصالح أهلها على الجزيرة ، وصالحت حرّان حين صالحه الرهاء ، ووجه عياض عمر بن سعد إلى رأس العين وسار بنفسه فى بقية الناس إلى دارا ونصيبين فنزل عليهما حتى افتتحهما ، ثم افتتح

الموصل ، صالحه عليها أهلها .

وزاد عمر فى مسجد رسول الله ﷺ ، زاد فيه من ناحية دار مروان وأدخل فيه دار العباس ، وسوى أعمدته وسقفه .

وبعث سعد جرير بن عبد الله البجلى إلى حلوان فافتتحها عنوة ، وافتتح هاشم بن عتبة ما سبذان عنوة . وفى هذه السنة فتح أبو موسى جند يسابور والسوس صلحاً ، ثم أمر عمر أبا موسى بجرير بن عبد الله فافتتحوا رامهرمز صلحاً ، ثم سار أبو موسى إلى التستر حتى فتحها ، وافتتح قم وقاشان . ثم افتتح معاوية بن أبى سيفان قيسارية والرملة وما بينهما ،. فأقره عمر عليهما . وحج بالناس عمر . وفى هذه السنة افتتحت تكريت .

فلما دخلت سنة عشرين رجفت المدينة بالزلزلة . وشكى أهل الكوفة سعداً وزعموا أنه لا يحسن يصلى ، فاستقدمه عمر وسأله فقال : إنى أركن فى الأوليين وأحذف فى الآخرتين ، فقال : كذاك الظن فيك يا أبا إسحاق . ثم عزل عمر قدامة بن مظعون عن البحرين ، و دخل أبو بحرية الكندى عبد الله بن قيس بلاد الروم وأغار ، وهو أول من دخلها . وافتتح مصر والإسكندرية عمرو ابن العاص عنوة ـ وقد فتحت سنة إحدى وعشرين ـ وغنم بها غنائم كثيرة ثم رجع ، فلما بلغ بلهيب قرية من قرى الريف أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن العاص أنى قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلىّ منكم : فارس والروم ، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علىّ من السبى فعلت، فبعث إليه عمرو بن العاص أن من ورائى أميراً لا أستطيع أن أنفذ أمراً دونه ، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عنى حتى أكتب إليه بالذى عرضت علىّ فعلت ، فإن قبل ذلك قبلته ، وإن أمرنى بغير ذلك مضيت لأمره ، فقال : نعم ، فكتب عمرو إلى عمر ، فكتب إليه عمر : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه أن صاحب الإسكندرية عرض عليك الجزية على أن ترد عليه ما

أصبت من سبى أرضه ، ولعمرى لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلىّ من فىء يقسم ثم كأنه لم يكن ، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من فى أيديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين قومهم ، فمن اختار الإسلام فهو من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه ، وأما من تفرق من سبيهم فبلغ المدينة ومكة واليمن فأنا لا نقدر على ردهم ، فلا نحب أن نصالحهم على مالا نفى به ، فبعث عمرو بن العاص إلى صاحب الإسكندرية يعلمه بالذى كتب أمير المؤمنين ، فقال : قد قبلت ، فجمعوا ما بأيديهم من السبى ، واجتمعت النصارى ، فكانوا يخيرون الرجل بين الاسلام والنصرانية ، فإن اختار الإسلام كبر المسلمون وانحاز إليهم ، إن اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعوا عليه الجزية .

ثم كتب عمرو بن العاص إلى عمر : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإنا قدرنا على البحر وإن شئت أن تركبه ركبت ، فكتب إليه عمر أن صف لى كيف حاله وحال من ركبه ، فكتب إليه عمرو بن العاص أنه خلق شديد ؛ يحل فيه خلق ضعيف ، دود على عود ، إن استمسك به فزع وإن خر غرق ، فكتب إلى عمرو بن العاص : ما كان الله ليسألنى عن أمرى من المسلمين الذين حملتهم فيه ، لا حاجة لنا به .

وتوفى بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ بدمشق ودفن فى المقبرة عند باب الصغير ؛ ثم أخرج عمر يهود الحجاز من نجران إلى الكوفة وقال : كان النبى ﷺ يقول : « لئن عشت لأخرجن اليهود من جزيرة العرب » ؛ ثم قال لهم : من كان له منكم عهد من رسول الله ﷺ فليأت بعهده حتى ننفذه ، ومن لم يكن له عهد فإنى أجليه ، لأن النبى ﷺ قال : « أقركم ما أقركم الله » ، وقد أذن الله بإجلائكم إلا أن يأتى رجل منكم بعهد أو بينة من النبى ﷺ أنه أقره فأقره ، وقد فعلتم بمظهر بن رافع الحارثى ما فعلتم ؛ وذلك أن مظهر بن رافع

خرج بأعلاج له من الشام حتى إذا كان بخيبر دخل قوم من اليهود وأعطوا غلمانه السلاح وحرضوهم على قتله فقتلوه ، فأجلى عمر اليهود من الحجاز ، وقسم خيبر على ثمانية عشر سهماً . ثم بعث إلى فدك أبا حبيبة الحارثى ومضى إلى وادى القرى ، وأنفذ ظعن خيبر و وادى القرى على ما كان رسول الله ﷺ سماها إلا أنه فرقها ، وصارت فى أيدى أهلها تباع وتورث ؛ بدأ بأزواج النبى ﷺ ففرض لكل امرأة منهن اثنى عشر ألفاً ، وفرض لأهل بدر صبيهم وحليفهم ومولاهم خمسة آلاف ، وفرض للأنصار صبيهم وحليفهم ومولاهم أربعة آلاف أربعة آلاف .

ثم مات أسيد بن حضير فى شعبان ودفن بالبقيع .

ومات هرقل ملك الروم وأقعد مكانه قسطنطين ؛ ثم أغارت الحبشة على أهل بلجة فأصابوهم ، وقدم الصريخ على عمر فبعث علقمة بن مجزز المدلجى فى عشرين مركباً إلى الحبشة فأغاروا عليهم ؛ ولم يحمل بعدها مسلماً فى البحر .

ثم عزل عمر أبا موسى عن البصرة وولاها عثمان بن أبى العاص وأمرهما أن يطاوعا ، فنزل عثمان توج ومصرها ، وبعث سوار بن همام العبدى إلى سابور فقتل بعقبة الطين .

ثم ماتت زينب بنت جحش زوجة رسول الله ﷺ فسأل عمر : من يغسلها ؟ فقالت أزواج النبى ﷺ : نحن نغسلها ، فغسلنها ، وصلى عليها عمر وكبر أربعاً ، فلما أتى بسريرها أمر عمر بثوب فمد على قبرها ، وأمر أسامة بن زيد وابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش ومحمد بن طلحة بن عبيد الله فدخلوا قبرها ولحدوا لها ، وقام عمر على قبرها حتى سوى عليها ، ورش على قبرها الماء ثم انصرف . وحج عمر بالناس .

فلما دخلت السنة الحادية والعشرون مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب .

ثم كان فتح نهاوند و أميرها النعمان بن مقرن ، وذلك أن أهل الرى وأصبهان وهمذان ونهاوند تعاقدوا وتعاهدوا وقالوا : إن رسول الله ﷺ ـ نبى العرب الذى أقام لها دينها ـ مات ، وإن ملكهم من بعده ملك يسيراً ـ يعنى أبا بكر ـ ثم هلك ، وإن عمر قد طال ملكه ومكثه وتأخر أمره حتى جيش إليكم الجيوش فى بلادكم ، وليس بمنقطع عنكم حتى تسيروا إليهم فى بلادهم فتقتلوهم . فلما بلغ الخبر أهل الكوفة من المسلمين كتبوا إلى عمر ، فلما أخذ عمر الصحيفة مشى بها إلى منبر رسول الله ﷺ وهو باك وجعل ينادى : أين المسلمون ! أين المهاجرون والأنصار ! من ههنا من المسلمين ! فلم يزل ينادى حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً ؛ ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ! فإن الشيطان قد جمع لكم جموعاً كثيرة وأقبل بها عليكم، ألا ! وإن أهل الرىّ وأصبهان وأهل همذان وأهل نهاوند أمم مختلفة ألوانها وأديانها ، ألا ! وإنهم تعاقدوا وتعاهدوا على أن يسيروا إليكم فيقتلوكم ، ألا وإ هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا ! فأشيروا علىّ برأيكم ؛ فقام طلحة بن عبيد الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فقد حنكتك البلايا و عجمتك التجارب ، وقد ابتليت يا أمير المؤمنين واختبرت ، فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ، وأنت يا أمير المؤمنين ميمون النقيبة مبارك الأمر ، فمرنا نطع وادعنا نجب واحملنا نركب ، فأثنى عمر على طلحة خيراً ثم جلس ، فقام عثمان بن عفان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إنى أرى أن تكتب إلى أهل الشام فيسيرون إليك من شامهم ، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيرون من يمنهم ، وتسير أنت بمن معك من أهل هذين الحرمين إلى هذين المصرين ، فإنك لو فعلت ذلك كنت أنت الأعز الأكبر ، وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، وأثنى عليه عمر فجلس ؛ فقام على بن أبى طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أمير المؤمنين ! فإنك إن تكتب إلى أهل الشام أن يسيروا إليك من شامهم إذاً تسير الروم إلى

ذراريهم فتسبيهم ، وإن تكتب إلى أهل اليمن أن يسيروا إليك من يمنهم إذاً تسير الحبشة إلى ذراريهم فتسبيهم ، وإن سرت أنت بمن معك من أهل هذين الحرمين إلى هذين المصرين إذاً والله انتقضت عليك الأرض من أقطارها وأكنافها ، وكان والله يا أمير المؤمنين من تخلف وراءك من العورات والعيالات أهم إليك مما بين يديك من العجم ، والله يا أمير المؤمنين ! لو أن العجم نظروا إليك عياناً إذاً لقالوا : هذا عمر ، هذا إريس العرب و كان والله أشد لحربهم وجرأتهم عليك ، وأما ما كرهت من مسير هؤلاء القوم فإن الله أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما كره ، وأما ما ذكرت من كثرتهم فإنا كنا ما نقاتل مع نبينا بالكثرة ولكنا نقاتل معه بالنصرة من السماء ، وأنا أرى يا أمير المؤمنين رأياً من تلقاء نفسي ، رأيي أن تكتب إلى أهل البصرة فيفترقوا على ثلاث فرق : فرقة تقيم في أهل عهودهم بأن لا ينتقضوا عليهم ، وفرقة تقيم من ورائهم في ذراريهم ، وفرقة تسير إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم ، فطبق عمر ثم أهلّ مكبراً يقول : الله أكبر الله أكبر ! هذا رأى هذا رأى ! كنت أحب أن أتابع صدق ابن أبي طالب ، لو خرجت بنفسي لنقضت عليّ الأرض من أقطارها ، ولو أن العجم نظروا إليّ عياناً ما زالوا عن العرص حتى يقتلوني أو أقتلهم ، أشر عليّ ياعلي بن أبي طالب برجل أوليه هذا الأمر ! قال : مالي ولهم ! هم أهل العراق وفدوا عليك ورأوك ورأيتهم وتوسمتهم وأنت أعلمنا بهم ، قال عمر : إن شاء الله لأولين الراية غداً رجلاً يكون لأول أسنة يلقاها ، وهو النعمان بن مقرن المزني ، ثم دعا عمر السائب بن الأقرع الكندي فقال : يا سائب ! أنت حفيظ على الغنائم بأن تقاسمها ، فإن الله أغنم هذا الجيش شيئاً فلا تمنعوا أحداً حقاً هو له، ثكلتك أمك يا سائب ! وإن هذا الجيش هلك فاذهب عني في عرض الأرض فلا أنظر إليك بواحدة ، فإنك تجيئني بذكر هذا الجيش كلما رأيتك .

ثم كتب إلى أهل الكوفة : سلام عليكم ، أما بعد فقد استعملت عليكم النعمان بن مقرن المزني ، فإن قتل النعمان فعليكم حذيفة بن اليمان العبسي ،

فإن قتل حذيفة فعليكم عبد الله بن قيس الأشعرى أبو موسى ، فإن قتل أبو موسى فعليكم جرير بن عبد الله البجلى ، فإن قتل جرير فعليكم المغيرة بن شعبة الثقفى ، فإن قتل المغيرة فعليكم الأشعث بن قيس الكندى .

ثم كتب عمر إلى النعمان بن مقرن : فإن فى جندك رجلين : عمرو بن معد يكرب المدحجى ، وطليحة بن خويلد الأسدى ؛ فأحضرهما وشاورهما فى الحرب ، وإياك أن توليهما عملاً فإن كل صانع أعلم بصناعته .

فلما ورد عليه الكتاب سار بالناس ، فالتقى المسلمون والمشركون بنهاوند ، فأقبل المشركون يحمون أنفسهم وخيولهم ثلاثاً ، ثم نهض إليهم المسلمون يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى وفشت الجرحى والصرعى فى الفريقين جميعاً ، ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقان إلى عسكريهما ، وبات المسلمون ولهم أنين من الجراحات ، يعصبون بالخرق ويبكون حول مصاحفهم؛ وبات المشركون فى معازفهم وخمورهم .

ثم غدوا يوم الخميس فاقتتل المشركون وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى وفشت الجرحى فى الفريقين جميعاً ، ثم حجز بينهما الليل ورجع الفريقان إلى عسكريهما ، وبات المسلمون لهم أنين من الجراحات يعصبون بالخرق ويبكون حول مصاحفهم ، وبات المشركون فى معازفهم وخمورهم .

ثم غدا النعمان بن مقرن يوم الجمعة ـ وكان رجلاً قصيراً أبيض ـ على برذون أبيض قد أعلم بالبياض ، فجعل يأتى راية راية يحرضهم على القتال ويقول : الله الله فى الاسلام أن تخذلوه ، فإنكم باب بين المسلمين وبين المشركين ، فإن كسر هذا الباب دخلوا على المسلمين ، يا أيها الناس ! إنى هازّ لكم الراية مرة فليتعاهد الرجل الخيل فى حَزمها وأعنتها ، ألا ! وإنى هازّ لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم إلى موقف فرسه ومضرب رمحه ووجه مقاتله ، ألا ! وإنى هازّ لكم الثالثة ومكبر ، فكبروا الله واذكروه ، ومستنصر فاستنصروه ،

ألا ! فحاملٌ فاحملوا ، فقال رجل : قد سمعنا مقالتك وحفظنا وصيتك فأخبرنا بأىّ النهار يكون ذلك يكون ذلك حتى يكونوا على آلة وعدة ، قال النعمان : ليس يمنعنى أن يكون ذلك من أول النهار إلا شيئ شهدته من رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل بالقتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح ويطيب القتال وتحضر الصلاة ، وينزل النصر من السماء مع مواقيت الصلاة فى الأرض ؛ فمكث المسلمون ينظرون إلى الراية ويراعونها حتى إذا زالت الشمس عن كبد السماء هزّ النعمان الراية هزة ، فانتزعوا المخالى عن الخيول وقرّطوها الأعنة ، وأخذوا أسيافهم بأيمانهم والأترسة بشمائلهم ، وصلى كل رجل منهم ركعتين يبادر بهما ؛ ثم هز النعمان الراية ثانياً ، فوضع كل رجل منهم رمحه بين أذنى فرسه ، ولزمت الرجال منهم نحور الخليل ، وجعل كل رجل يقول لصاحبه : أى فلان ! تنح عنى ، لأوطئك بفرسى ، إنى أرى وجه مقاتلى ، إنى غير راجع إن شاء الله حتى أقتل أو يفتح الله علىّ ؛ ثم هز الثالثة فكبر ، فجعل الناس يكبرون الأول فالأول الأدنى ، فالأدنى وقذف الله الرعب فى قلوب المشركين حتى أن أرجلهم كانت تخفق فى الركب ، فلم يستطع منهم أحد أن يوتر قوسه ، ثم ولوا مدبرين ؛ وحمل النعمان وحمل الناس فكان النعمان أول قتيل قتل من المسلمين ، جاءه سهم فقتله ، فجاء أخوه معقل بن مقرن فغطى عليه برداً له ، ثم أخذ الراية وإنها لتنضح دماً من دماء من قتله بها النعمان قبل أن يُقتل ، فهزم الله المشركين وفتح على المسلمين ، وبايع الناس لحذيفة بن اليمان ، فجمع السائب بن الأقرع الغنائم كأنها الآكام ، فجاءه دهقان من دهاقينهم فقال : هل لك أن تؤمننى على دمى ودم أهل بيتى ودم كل ذى رحم لى وأدلك على كنز عظيم؟ قال : نعم ، قال : خذوا المكاتل والمعاول فامشوا ، فمشوا معه حتى انتهى إلى مكان ، قال : احفروا ، فحفروا فإذا هم بصخرة ، قال : اقلعوها ، فقلعوا فإذا هم بسفطين من فصوص يضئ ضوءها كأنها شهب تتلألأ ، فأعطى السائب كل ذى حق حقه من الغنائم ، وحمل السفطين حتى قدم بهما على عمر ،

فلما نظر عمر إلى السائب ولى باكياً ، ثم أقبل يقول : يا سائب ! ويحك ! ما وراءك ؟ ما فعلت ؟ ما فعل المسلمون ؟ قال السائب : خير يا أمير المؤمنين ! هزم الله المشركين وفتح للمسلمين ، قال : ويحك يا سائب ! والله ما أتت ليلة بعد ليلة بات فيها رسول الله ﷺ فينا ميتا مثل البارحة ! لا والله ما بت البارحة إلا تقديراً ! فما فعل النعمان بن مقرن ؟ قال : استشهد يا أمير المؤمنين ، فبكى عمر ثم قال : يرحم الله النعمان ـ ثلاثاً ، ثم قال : مه ! قال : لا والذى أكرمك بالخلافة وساقها إليك ! ما قتل بعد النعمان أحد نعرفه ، فبكى عمر بكاءً شديداً ثم قال : الضعفاء لكن الله أكرمهم بالشهادة وساقها إليهم ، أدفنتم إخوانكم ؟ لعلكم غلبتم على أجسادهم و خليتم بين لحومهم والكلاب والسباع ! أخشى أن يكونوا أصيبوا بأرض مضيعة .

قال السائب : هون عليك يا أمير المؤمنين ! فقد أكرمهم الله بالشهادة وساقها إليهم ، ثم قال عمر : أعطيت كل ذى حق حقه ؟ فقال : نعم ، فنفض عمر رداءه ثم ولى باكياً فأخذ السائب بطرف ردائه ثم قال : اجلس يا أمير المؤمنين ! فإن لى إليك حاجة ، قال : وما حاجتك ؟ ألم تخبرنى أنك أعطيت كل ذى حق حقه ؟ قال : بلى ، قال : فما حاجتك إلىّ ؟ فأبدى له عن السفطين فصوصهما كأنها شهب تتلألأ ، فقال عمر : ما هذا ؟ فأخبره السائب خبر الدهقان ، فصعد فيها بصره وخفضه ثم قال : ادع لى علياً وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعبد الله بن الأرقم ، فلما اجتمعوا عنده قال السائب : لم يكن لى هم إلا أن أنفلت من عمر ، فركبت راحلة لى وأتيت الكوفة ، فوالله ما جفت بردعة راحلتى حتى أتانى كتاب عمر : عزمت عليك إن كنت قاعداً لا قمت وإن كنت قائماً لا قعدت إلا على راحلتك ، ثم العجل العجل ! فقلت للرسول : هل كان فى الإسلام حدث ؟ قال : لا ، قلت : فما حاجته إلىّ ؟ قال : لا أدرى ، فركبت راحلتى حتى أتيت عمر ، فلما نظر إلىّ ، أقبل علىّ بدرته يضربنى بها حتى سبقته إلى غيره وهو يقول : مالى ولك يا ابن أم مليكة !

أعن دينى تفارقنى أم النار توردنى ؟ قلت : دعنى عنك يا أمير المؤمنين ! لا تقتلنى غماً ، قال عمر : فإنك لما خرجت من عندى فأويت إلى فراشى جاءنى ملائكة من عند ربى فى جوف الليل ؛ فرمونى بسفطين هذين ، فإذا حملتهما فإذا نار توقد على جنبى ، فجعلت أتأخر وجعلوا يدفعوننى إليهما ، حتى تعاهدت ربى فى هذا : إن هو تركنى حتى أصبح لأقسمن على من أفاء الله عليه، أخرج بهما من عندى ، لا حاجة لى بهما ... بعهما بعطية المقاتلة والذرية ، فإن لم تصب إلا عطية أحد الفريقين فبع ثم اقسمهما على من أفاء الله عليه ، والله لئن شكا المسلمون قبل أن تقسم بينهم لأجعلنك نكالاً لمن بعدك ؛ قال السائب : فخرجت بهما من عنده حتى قدمت الكوفة فأخرجتهما إلى الزحمة ، فأبديت عنهما فلاح ضوءهما كأنهما شهب تتلألأ ، فجعل لا يأتى عليهما قوم إلا صفقوا تعجباً منهما ، حتى أتانى عمرو بن حريث ، فلما نظر إليهما استامنى بهما فقلت : بعطية المقاتلة والذرية ، فما كلمنى حتى صفق على يدى وأوجبت له البيع ، فخرج بهما إلى الحيرة ، فباع أحدهما بعطية المقاتلة والذرية ، واستفضل الآخر ربحاً ، فكان أول شيء اعتقله بالكوفة مالاً .

ثم سار المغيرة بالمسلمين إلى مدينة آذربيجان فصالحه أهلها على ثمانمائة ألف درهم فى كل سنة .

ثم غزا حذيفة بن اليمان الدينور فافتتحها عنوة ، وكانت قبل ذلك فتحت لسعد فانتقضت ؛ ثم غزا حذيفة ماه سندان فافتتحها عنوة ، وكانت قبل ذلك فتحت لسعد فانتقضت ، ثم غزا حذيفة همذان فافتتحها عنوة .

ثم ولى عمر عمار بن ياسر الكوفة على الصلاة والحرب ، وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض ، فشكا أهل الكوفة عماراً وقالوا : رجل لا يعلم ، فاستعفى عمار ، ودعا عمر جبير بن مطعم خالياً ليوليه الكوفة وقال له : لا تذكره لأحد ، فبلغ المغيرة بن شعبة أن

عمر قد خلا بجبير بن مطعم ، فرجع إلى امرأته وقال لها : اذهبى إلى امرأة جبير بن مطعم فاعرضى عليها متاع السفر ، فأتتها فعرضت عليها فاستعجمت عليها ثم قالت : ائتينى به ، فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر وقال : بارك الله لك فيمن وليت ، وأخبره أنه ولى جبير بن مطعم ، فقال عمر : لا أدرى ما أصنع ؟ فولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات عمر.

ثم مضى عمرو بن العاص إلى برقة طرابلس ففتحها ، وصالح أهل برقة على اثنى عشر ألف دينار ، وبعث عقبة بن نافع الفهرى فافتتح لعمر زويلة بالصلح ، وكان بين برقة وزويلة صلح للمسلمين .

وحج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت .

فلما دخلت السنة الثانية والعشرون فتح المغيرة بن شعبة آذر بيجان صلحاً على ثمانمائة ألف درهم ، ودخل معاوية أرض الروم الصائفة فى عشرة آلاف ، ثم اعتمر عمر وساق معه عشر بدنات ونحرها فى منحر رسول الله ﷺ ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت وأبو ذر وأبو أيوب وشداد بن أوس ، وكان نافع بن عبد الحارث عامله على مكة فتلقاه نافع فقال عمر : من خلفت على أهل الوادى ؟ فقال : ابن أبزى رجل من الموالى ، قال عمر : أمولى أيضاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! إنه قارئ للقرآن عالم بالفرائض ، فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين** » .

فلما دخلت السنة الثالثة والعشرون فتح معاوية عسقلان صلحاً ، وقد قيل : إن الذى فتح فى هذه السنة فتحها قرظة بن كعب الأنصارى لعمر ، ولا يصح عندى .

ثم كان غزوة أصطخر الأولى ، وذلك أن عثمان بن أبى العاص أقام بتوج ، وتوفى قتادة بن النعمان الظفرى فصلى عليه عمر ، ونزل حفرته أخوه لأمه أبو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والحارث بن خزمة .

ثم حج بالناس عمر ، وأذن لأزواج النبى ﷺ أن يحججن معه ، فبينا هو بالأبطح إذ أقبل راكب يسأل عن عمر فدل عليه ، فلما رآه بكى وجعل يقول :

جزى الله خيراً من أمير وباركت ... يد الله فى ذاك الأديم الممزّق
قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها ... بوائج فى أكمامها لم تفتّق
أبعد قتيل بالمدينة أظلمت ... له الأرض تهتز العضاة بأسوق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يُسبق
فما كنت أخشى أن تكون وفاته ... بكفى سبتى أزرق العين مطرق

وكان جبير بن مطعم يقول : بينا أنا واقف مع عمر بعرفات إذ قال رجل : يا خليفة الله ! فقال رجل خلفى : قطع الله لحيتك ! والله لا يقف أمير المؤمنين بعد هذا العام أبداً ! قال جبير : فالتفت فإذا هو رجل من لهب ، ولهب بطن من الأزد ، وبينا نحن نرمى الجمار وإذا رمى إنسان فأصاب رأس عمر فشجه ، فقال رجل خلفى : قطع الله لحيتك ! ما أرى أمير المؤمنين إلا سيقتل ، قال جبير : فالتفت فإذا هو ذلك اللهبى . ثم رجع عمر من مكة إلى المدينة و قام فى الناس فقال إنى رأيت كأن ديكاً نقرنى نقرتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلى . ثم خرج يوماً إلى السوق وهو متكئ على يد عبد الله بن الزبير إذ لقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال لعمر : ألا تكلم مولاى أن يضع عنى من خراجى ؟ قال : وكم خراجك ؟ قال : دينار ، قال : ما أفعل ! إنك لعامل وإن هذا لشئ يسير ، ثم قال له عمر : ألا تعمل لى رحى ؟ قال : بلى ، فلما ولى عمر قال أبو لؤلؤة : أعمل لك رحى يتحدث بها من بين المشرق والمغرب ، قال ابن الزبير: فوقع فى قلبى قوله ذلك . فلما كان وقت النداء بالفجر خرج عمر إلى الصلاة ، وذلك يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة ، واضطجع له أبو لؤلؤة، فقام عمر فجعل يقول بين الصفوف : فاستووا استووا ! فلما كبر طعنه أبو لؤلؤة ثلاث طعنات فى وتينه ، فقال عمر : قتلنى الخبيث ! ثم أخذ بيد عبد

الرحمن فقدمه ، فصلى عبد الرحمن بالناس الصبح وقرأ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ و ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ثم دخل عبد الرحمن على عمر وعنده على وعثمان وسعد وابن عباس ، فقال : يا ابن عباس : من قتلنى ؟ قال : أبو لؤلؤة ، قال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل موتى برجل يدعى الإسلام ، ثم سكت عمر كالمطرق فقالوا : ألا ننبه للصلاة ! فقيل ! الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال : نعم، ولاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة ، ثم صلى وجرحه يثعب دماً ، ثم أقبل على علىّ فقال : اتق الله يا على ! إن وليت من أمور الناس شيئاً فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، وأنت يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً فلا تحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ، وأنت يا زبير ويا سعد ! إن وليتما من أمر الناس فلا تحملان أقار بكما على رقاب الناس ، ثم قال : إنى نظرت فى أمر الناس فلم أر عندهم شقاقاً إلا أن يكون فيكم ، وإن الأمر إلى الستة نفر : عثمان وعلى وعبد الرحمن وسعد وطلحة والزبير ، فتشاوروا ثلاثاً ، وكان طلحة غائباً فى مال له ، فقال عمر : إنى مصرت لكم الأمصار ودونت لكم الدواوين ، وإنى تركتكم على الواضحة ، إنما أتخوف أحد رجلين ، إما رجل يرى أنه أحق بالملك من صاحبه فيقاتله ، أو رجل يتأول القرآن على غير تأويله ، وإنى قرأت فى كتاب الله « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم » ألا ! فلا تهلكوا عن آية الرجم ، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا معه، ولولا أن يقول الناس : زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها بيدى ، فقد قرأناها بكتاب الله .

ثم دعا بكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى الخليفة من بعدى : سلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله وبالمهاجرين ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا (١) مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ ـ الآية . فتعرف فضيلتهم وتقسم عليهم فيئهم ، وأوصيك ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا

---

(١) راجع سورة الحشر آية ٨ ، وفى الأصل : خرجوا .

الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾[١] ـ الآية ، فهؤلاء الأنصار تعرف فضلهم وتقسم عليهم فيئهم، وأولئك ﴿ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾[٢] ـ الآية .

وخرج أبو لؤلؤة على وجه يريد البقيع وطعن فى طريقه اثنى عشر رجلاً فخرج خلفه عبيد الله بن عمر فرأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وكان نصرانياً وهم يتناجون بالبقيع ، فسقط منهم خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه ، فقتل عبيد الله أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة ثلاثتهم . فجرى بين سعد بن أبى وقاص وبين عبيد الله فى شأن جفينة ملاحاة ، وكذلك بين على بن أبى طالب وبينه فى شأن الهرمزان حتى قال على بن أبى طالب : إن وليت من هذا الأمر شيئاً قتلت عبيد الله بالهرمزان .

ثم أرسل عمر إلى عائشة يستأذنها فى أن يدفن مع رسول الله وأبى بكر ، فأذنت له فقال عمر : أنا أخشى أن يكون ذلك لمكان السلطان منى فإذا ، مت فاغسلونى فكفنونى ثم قفوا بى على بيت عائشة وقولوا : أيلج عمر ! فإن قالت نعم ، فأدخلونى ، وإن أبت فأدفنونى بالبقيع .

ثم أرسل عمر فجيء بلبن فشربه فخرج من جرحه ، فعلم أنه الموت ، فقال لعبد الله بن عمر : انظر ما علىّ من الدين فاحسبه ، فقال : ستة وثمانون ألفاً ، فقال : إن وفى لها مال آل عمر فأدها عنى من أموالهم ، وإلا فسل بنى عدى بن كعب ، فإن لم تف من أموالهم فسل قريشاً ولا تعدهم إلى غيرهم وأدها عنى .

فتوفى عمر رضى الله عنه وله خمسة وستون سنة وفعل به ما أمر فأذنت له عائشة ، وصلى عليه صهيب ، ودخل حفرته عثمان بن عفان وعبد الله بن عمر وكانت الخلافة عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال .

وكان له من العمال وقت ما توفى : على الكوفة المغيرة بن شعبة ، وعلى

(٢) راجع سورة الحشر آية ٩ .

(٢) راجع سورة الحشر آية ١٠ .

البصرة أبو موسى ، وعلى حمص وأعمالها عمير بن سعد الضمرى ، وعلى دمشق معاوية بن أبى سفيان وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبد الله بن أبى ربيعة ، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفى ، وعلى مكة نافع بن عبد الحارث ، وعلى مصر عمرو بن العاص ـ رحمهم الله تعالى أجمعين آمين !

استخلاف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه

وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكنيته أبو عمرو ، وقد قيل : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى ، وأم عثمان أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى بالبصرة ثنا على بن هاشم عن جعفر بن نجيح المدينى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى أن أحداً ارتج وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبى ﷺ « اثبت أحد! فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان » .

قال أبو حاتم : لما دفن رضى الله عنه تعمد عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن وسعد يتشاورون ، فأشار عثمان على عبد الرحمن بالدخول فى الأمر ، فأبى عبد الرحمن وقال : لست بالذى أنافسكم على هذا الأمر ، وإن شئتم اخترت لكم منكم واحداً ، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، فلما ولى ذلك مال الناس كلهم إليه وتركوا أولئك الآخرين ، فأخذ عبد الرحمن يتشاور فى تلك الليالى الثلاث حتى إذا كان من الليلة التى بايع عثمان بن عفان من غدها جاء إلى باب المسور بن مخرمة بعد هوىً من الليل فضرب الباب وقال : ألا أراك نائماً ؟ والله

ما كحلت منذ الليلة بكثير نوم ، أدع لى الزبير وسعداً ، فدعاهما فشاورهما ، ثم أرسله إلى عثمان بن عفان فدعاه فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن ، فلما صلوا الصبح اجتمعوا ، وأرسل عبد الرحمن إلى من حضر من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد ، ثم خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى نظرت فى أحوال الناس وشاورتهم فلم أجدهم يعدلون بعثمان ، ثم قال : يا عثمان ! نبايعك على سنة رسول الله ﷺ والخليفتين من بعده ! قال : نعم ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون ، وذلك لغرة المحرم .

وبعد دفن عمر بثلاثة أيام فى هذه السنة كان فتح همذان ثانياً . وكانت قد انتقضت على أميرها المغيرة بن شعبة على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ، وفى هذه السنة سار إليها أبو موسى الأشعرى بأهل البصرة حتى فتحها صلحًا ، معه البراء بن عازب وقرظة بن كعب ، وكان عمر بن الخطاب قد قتل وحذيفة قد افتتحها وجيشه كان عليها ، ثم انتقضوا حتى غزاهم أبو موسى ، وخرج عثمان بن عفان يوم الفطر إلى المصلى يكبر ويجهر بالتكبير حتى صلى العيد وانصرف، وبعث على الحج عبد الرحمن بن عوف فخطبهم عبد الرحمن قبل التروية بيوم بمكة بعد الظهر ، فلما زاغت الشمس خرج إلى منى وحج ونفر النفر الأول ، وكان قد ساق معه بدنات فنحرها فى منحر رسول الله ﷺ .

فلما دخلت السنة الخامسة والعشرون غزا معاوية أرض الروم وفتح الحصون ، وولد له ابن يزيد بن معاوية ؛ ثم نقضت الإسكندرية الصلح الذى صالحهم عمرو بن العاص عليه فغزاهم عمرو ، وظفر بهم وسباهم وبعث السبى إلى المدينة ، فردهم عثمان إلى ذمتهم وقال : إنهم كانوا صلحاً ، والذرية لا تنقض الصلح ، وإنما تنقض الصلح المقاتلة ، ونقض المقاتلة الصلح ليس يوقع السبى على ذراريهم .

ثم عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن الإسكندرية ومصر ، وولاهما عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فوجد عمرو من ذلك ، وكان بدء الشر بينه

وبين عثمان عزله عن مصر والإسكندرية ، وكان عمرو قد بعث جيشه إلى المغرب فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما دخل عبد الله بن سعد مصر والياً بعث جرائد الخيل إلى المغرب واستشار عثمان فى إفريقية ، وعزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى عيها الوليد بن عقبة بن أبى معيط فبعث الوليد سلمان بن ربيعة الباهلى فى اثنى عشر ألفاً إلى برذغة فافتتحها عنوة وقتل وسبى ، وغزا البيلقان فصالحوه قبل أن يجيء إلى برذعة ، وبعث خيله إلى جرزان فصالحوه ، وفى هذه السنة كانت غزوة سابور الأولى ؛ ثم حج عثمان بالناس .

فلما دخلت السنة السادسة والعشرون

قدم معاوية المدينة وافداً على عثمان بن عفان ، وبعث عثمان بن عفان بن أبى العاص إلى فارس ففتح سائر الجنود ، وغزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح الإفريقية ومعه العبادلة : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، فلقى جرجير فى مائتى ألف بموضع يقال له سبيطلة على سبعين ميلاً من القيروان ، فقتل جرجير ، وسبوا وغنموا ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهب ، وسهم الراجل ألف مثقال ، وصالحه أهل تلك المدن إلى قيروان على مائة ألف رطل من ذهب .

واعتمر عثمان ودخل مكة ليلاً وكان بين الصفا والمروة ، وحل قبل أن يصبح ، ثم رجع إلى المدينة ، وأمر بتوسعه المسجد الحرام وتجديد أنصاب الحرم ؛ وتزوج عثمان بنت خالد بن أسيد ، ثم اعتمر عثمان فى رجب وخرج معه عبد الله بن جعفر والحسين بن على فمرض الحسين بن على ، فأقام عبد الله بن جعفر عليه بالسقيا ، وبعث إلى على يخبره بذلك ، فخرج على فى نفر من بنى هاشم إلى السقيا ، فلما دخلها دعا ببدنة فنحرها وحلق رأسه ، وأقام على الحسين بمرضه، فلما فرغ عثمان من عمرته كلموه بأن يحول الساحل إلى جدة ، وكانوا قبل ذلك فى الجاهلية يرسون بالشعبية وقالوا : جدة أقرب إلى مكة وأوسع وأقرب من كل ناحية ، فخرج عثمان إلى جدة فرآها ورأى موضعها

وأمرهم أن يجعلوها بمكان الشعبية ، فحول الساحل إلى جدة ودخل البحر وقال: إنه مبارك ، وقال لمن معه: ادخلوا ، ولا يدخلها إلا بمئزر ، ثم خرج عثمان من جدة على طريق يخرجه إلى عسفان ثم مضى إلى الجار ، فأقام بها يوماً وليلة ، ثم انصرف فمر بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فى منصرفه وهو يمرض الحسين مع جماعة من بنى هاشم ، فقال عثمان : قد أردت المقام عليه حتى تقدم ، ولكن الحسين عزم عليّ وجعل يقول : امض لرهطك ، فقال على: ما كان ذلك بشيء يفوتك ، هل كانت إلا عمرة ، إنما يخاف الإنسان فوت الحج ، فأما العمرة فلا ، فقال عثمان : إنى أحببت أن أدرك عمرة فى رجب ، فقال على بن أبى طالب : ما رأيت رسول الله ﷺ اعتمر فى رجب قط ، وما اعتمر عمراته الثلاث إلا فى ذى القعدة ؛ ثم رجع عثمان إلى المدينة ، ثم مضى على مع الحسين إلى مكة . . .

وافتتح عثمان بن أبى العاص سابور الثانية على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف صلحاً ، ودخل فى صلحهم كازرون ، وبعث عثمان بن أبى العاص هرم بن حيان العبدى إلى قلعة بجرة على ذلك ، وهى يقال لها قلعة الشيوخ ، فافتتحها عنوة وسبى أهلها ؛ وحج بالناس عثمان بن عفان .

فلما دخلت السنة السابعة والعشرون

استشار عثمان بن عفان أصحاب رسول الله ﷺ فى إفريقية فأشاروا عليه بذلك ، وكان عثمان يكره ذلك لأن عمر كان يكرهه ويقول : إنها لا تحمل والياً مقتصداً . فخرج عبد الله بن أبى سرح ، وجلب عثمان إبلاً كثيرة من الربذة وسرف ، وحمل عليها سلاحاً كثيراً ، وسار المسلمون معها يلحقون بعبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما التقى المسلمون والمشركون ألقى الله فى قلوبهم الرعب وفض ذلك الجمع حتى طلبوا الصلح ، فصالحهم عبد الله بن أبى سرح على ألفى ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألفاً .

فلما كان العيد خطبهم عثمان ، وكان صادف العيد يوم الجمعة فقال : من كان من أهل العالية وأحب أن يجتمع معنا فعل ، وإلا فليجلس فى موضعه . فافتتح عثمان بن أبى العاص أرجان ودارابجرد ، وصالح أهلها على ألفى ألف ومائة .

فلما دخلت السنة الثامنة والعشرون

تزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة وكانت على دين النصرانية ، فلما دخلت عليه قال لها عثمان : إنى شيخ كبير كما ترين ، قالت : أنا من نساء أحب الأزواج إليهن الكهول ، قال : تقومين إلىّ أو آتيك ؟ قالت : ما جئت من سماوة كلب إليك إلا وأنا أريد القيام إليك .

وغزا معاوية البحر ،معه عبادة بن الصامت معه امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، فأتى قبرس ، فتوفيت أم حرام بها وقبرها هناك . ثم كانت فتح فارس الأول على يدى هشام بن عامر . وغزا معاوية قبرس فلحقه عبد الله بن أبى سرح وأهل مصر وغنموا غنائم كثيرة . وغزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم ، ثم كانت قبرس الأخرة أميرها هشام بن عامر . واعتمر عثمان فى رجب ومعه عمرو بن العاص ، فأتى عثمان بلحم صيد فأمرهم بأكله ، فقال له عمرو بن العاص : لا تأكل ولا تأمرنا به ، فقال عثمان : لست آكل منه شيئاً لأنه صيد من أجلى ، فكان بين عثمان وعمرو كلام كان ذلك أول ملاحاة كانت بينهما ، وفى هذه السنة بنى عثمان دار بالزوراء ، ثم حج عثمان بالناس.

فلما دخلت السنة التاسعة والعشرون

عزل أبا موسى الأشعرى عن البصرة وكان عاملاً عليها سبع سنين وعزل عثمان بن أبى العاص عن فارس، وولى ذلك كله عبد الله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس و عشرين سنة فقدم البصرة ، ثم خرج عبد الله بن عامر إلى فارس على مقدمته عبيد الله بن معمر التيمى ، فقتل عبيد الله ، وفتح

إصطخر الثانية عنوة فقتل وسبى ، فكان ذلك إصطخر الآخرة ، وقد قيل : فى هذه السنة فتح سارية بن زينم الدائلى أصبهان صلحاً وعنوة بأهل البصرة ، بعثه ابن عامر .

وضاق مسجد رسول الله ﷺ على الناس فكلموا عثمان فى توسعته ، فأمر بتوسعته ، فكان عثمان يركب على راحلته ويقوم على العمال وهم يعملون حتى يجئ وقت الصلاة فيترك ويصلى بهم ، وربما قال فى المسجد ونام فيه حتى جعل أعمدته من حجارة وفرش فيها الرضراض ؛ وبناه بالحجارة المنقوشة والساج ، وجعل له ستة أبواب .

ثم نقضت حلوان الصلح فافتتحها ابن عامر عنوة . ورجم عثمان امرأة من جهينة أدخلت على زوجها فولدت فى ستة أشهر من يوم أدخلت عليه فأمر بها عثمان فرجمت ، فدخل علىّ على عثمان فقال له : إن الله يقول : ﴿ حَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾(1) فأرسل عثمان فى طلبها فوجدوها قد رجمت فاعتراف الرجل بالغلام ، وكان من أشبه الناس به .

وفى السنة الثلاثين

زاد عثمان النداء الثانى على الزوراء حيث كثر الناس . وانتقصت آذربيجان فغزاها سعيد بن العاص ففتحها ، ثم غزا جرجان ففتحها ، ومات الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . وسقط خاتم رسول الله ﷺ فى بئر أريس على ميلين من المدينه وكانت من أقل تلك الأبار ماء ، فطلب فلم يوجد إلى الساعة . وغزا ابن عامر فى هذه السنة جور فافتتحها ، وأصاب بها غنائم كثيرة، وافتتح الكاريان والفنسجان من دارابجرد ولم يكونا أدخلا فى علم عثمان بن أبى العاص ؛ ثم افتتح ابن عامر أردشير خرة عنوة فقتل وسبى ،وهرب يزدجرد فاتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمى حتى نزل على السيرجان . وبعث راشد بن عمرو الجديدى ففتح هرمز . ووجه ابن عامر زياد بن الربيع الحارثى

(1) سورة الأحقاف آية ١٥ .

إلى سجستان فافتتح زالق وناشروذ . ثم بعث زياد بن الربيع إبراهيم بن بسام مولى بنى ليث حتى حاصر مدينة زرنج فصالحوه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب . ومات مسعود بن الربيع وكان من أهل بدر ؛ ومات الحصين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف أخو الطفيل بن الحارث ثم حج عثمان بالناس وصلى بمنى أربعاً .

وفى السنة الحادية والثلاثين

فتحت أرمينية الآخرة وأميرها حبيب بن مسلمة الفهرى ، وذلك أن عثمان كتب إلى حبيب بن مسلمة أن سر من الشام فى جيش إلى أرمينية ، فمضى حبيب بن مسلمة من ناحية درب الحدث فافتتح خلاط وسراج ووادى المطامير . ومات أبو سفيان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة . ثم خرج ابن عامر إلى خراسان و على مقدمته الأحنف بن قيس ، فلقى أهل هراة فهزمهم ، وافتتح أبرشهر صلحاً ، وقد قيل : عنوة ؛ ثم افتتح طوس وما حولها ، ثم صالح أهل سرخس على مائة ألف وخمسين ألفاً .

وبعث أبو عامر الأسود بن كلثوم العدوى إلى بيهق فافتتحها ، وقتل بها ؛ وبعث أهل مرو يطلبون الصلح فصالحهم ابن عامر على ألفى ألف ومائتى ألف، وكان الذى صالحه ماهويه بن أوزمهر مرزبان مرو . ثم بعث ابن عامر الأحنف ابن قيس إلى مرو الروذ والفاريات والطالقان وافتتح طخارستان ، وقتل منهم ثلاثة عشر نفساً ، ثم خرج الأحنف إلى بلخ فصالحوه على أربعمائة ألف درهم ؛ ثم أتى خوارزم فلم يطقها فرجع . وبعث ابن عامر خليد بن عبد الله بن زهير الحنفى إلى باذغيس وهراة فافتتحها ثم ارتدوا بعد . وغزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح أرض الروم فى ناحية المصيصة وغنم ثم رجع ؛ وحج بالناس عثمان .

وفى السنة الثانية والثلاثين

مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه عثمان بن

عفان . ومات عبد الرحمن بن عوف وهو ابن خمس وسبعين سنة . ومات العباس بن عبد المطلب وهو ابن خمس وثمانين سنة ، لأن العباس ولد قبل الفيل بثلاثة سنين . ومات عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذى أرى النداء . ومات أبو طلحة الأنصارى زيد بن سهل . وغزا معاوية غزوة مضيق القسطنطينية ومعه امرأته عاتكة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، وقد قيل : إن اسمها فاختة . وفيها غزا سعيد بن العاص طبرستان .

وفى السنة الثالثة والثلاثين

مات المقداد بن عمرو بن ثعلبة على ثلاثة أميال من المدينة ، وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، وصلى علية عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع ، وغزا معاوية ملطية وقرطبة من أرض الروم . وجمع قارن جمعاً كثيراً بباذغيس وهراة وأقبل فى أربعين ألفاً ، وقام بأمر الناس عبد الله بن خازم السلمى فلقى قارن وهزم أصحابه ، وأصابوا سبياً كثيراً . ثم بعث ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب إلى سجستان فصالحه صاحب زرنج فأقام عبد الرحمن بها . وتحرك أهل إفريقية فزحف إليهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح فكانت أفريقية الثانية . وغزا معاوية حصن المرأة من بلاد الروم من ناحية ملطية . وحج بالناس عثمان .

وفى السنة الرابعة والثلاثين

مات مسطح بن أثاثة من أهل بدر . وغزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح الصوارى من أرض مصر ، وقاتل منهم مقتلة عظيمة ، وذلك أن المسلمين وعدوهم جميعاً كانوا فى البحر ، فالتقوا قتالاً شديداً من غير رمى ولا أسهم ولا طعن بالرمح ، إنما كان الضرب بالسيف أو الطعن بالخنجر حتى قتل من أرض الروم خلق كثير ، وهزم الله الروم منكوبين ، وانصرف المسلمون غانمين . ومات عبادة بن الصامت بالرملة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . ومات عاقل بن البكير من بنى سعد بن الليث من أهل بدر . ومات أبو عبس بن جبر بالمدينة وهو من أهل بدر . وحج عثمان بالناس .

وفى السنة الخامسة والثلاثين

خرج جماعة من أهل مصر إلى عثمان يشكون ابن أبى سرح ويتكلمون منه، فكتب إليه عثمان كتاباً وهدده فيه ، فأبى ابن أبى السرح أن يقبل من عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان متظلماً وقتل رجلاً من المتظلمة ، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فيهم من الرؤساء : عبد الرحمن بن عديس البلوى وعمرو بن الحمق الخزاعى ، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندى ، وسودان بن حمران المرادى ؛ فساروا حتى قدموا المدينة ونزلوا مسجد رسول الله ﷺ وشكوا إلى أصحاب محمد ﷺ في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبى سرح ؛ فقام طلحة بن عبيد الله إلى عثمان بن عفان وكلمه الكلام الشديد، وأرسلت إليه عائشة قدم عليك أصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت ذلك بواحدة ، وهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك ؛ وكان عثمان يحب قومه . ثم دخل عليه عليّ بن أبى طالب فقال : سألوك رجلاً مكان رجل وقد أدعوا قبله دماً ، فاعزله واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه ، فقال لهم عثمان : اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر ، فقالوا لعثمان : استعمل علينا محمد بن أبى بكر ، فكتب عهده وولاه مصر ، فخرج محمد بن أبى بكر والياً على مصد بعهده ومعه عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبى سرح ، فلما بلغوا مسيرة ثلاثة ليال من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير له ، يخبط البعير خبطاً، كأنه رجل يطلب أو يُطلب ، فقالو ا له : ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب ؟ قال : أنا غلام أمير المؤمنين ، وجهنى إلى عامل مصر ، قالوا: هذا عامله معنا ، قال : ليس هذا أريد ـ ومضى ؛ فأخبر محمد بن أبى بكر بأمره ، فبعث فى طلبه أقواماً فردوه ، فلما جاءوا به قال له محمد : غلام من أنت ؟ فأقبل مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرة يقول : أنا غلام مروان ، فعرفه رجل منهم أنه لعثمان ، فقال له محمد بن أبى بكر : لمن أرسلت ؟ قال:

إلى عامل مصر ، قال : بماذا ؟ قال : برسالة ، قال : أمعك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً معه وكان إداوة قد يبست وفيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح ، فجمع محمد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك الكتاب بحضرتهم فإذا فيه : إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم ، وأبطل كتابه ، وقر على عملك ، وأحبس من يجيء إلى يتظلم منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله ، فلما قرأوا الكتاب فزعوا وأزمعوا ورجعوا إلى المدينة ، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم جماعة من المهاجرين معه ، ودفع الكتاب إلى رجل منهم وانصرافوا إلى المدينة ، فلما قدموها جمع محمد بن أبي بكر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بها من أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم فك الكتاب بحضرتهم عليه خواتم من معه من المهاجرين ، وأخبرهم بقصة الغلام ، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق على عثمان ، وقام أصحاب رسول الله ﷺ فلحقوا بمنازلهم ، وما منهم أحد إلا هو مغتم ؛ وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبها ما فيها على عثمان لحال ابن مسعود، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر من بني تيم ، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله وعائشة ، فلما رأى ذلك عليّ وصح عنده الكتاب بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب رسول الله كلهم بدريوى ، ثم جاء معهم حتى دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له : هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال : لا ، وحلف بالله أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ، فقال له علي : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال علي : فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف عثمان بالله : ما كتبت هذا الكتاب

ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام قط إلى مصر ؛ وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان ، فلما شكوا فى أمر عثمان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده فى الدار وكان خشى عليه القتل ؛ فخرج من عنده علىّ وأصحاب رسول الله ﷺ وعلموا أن عثمان لا يحلف باطلاً ثم قالوا : لا نسكت إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحث ونتعرف منه ذلك الكتاب ، وكيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بغير حق ! فإن يك عثمان كتب ذلك عزلناه وإن يك مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون فى أمر مروان ، ولزموا بيوتهم ، وفشا الخبر فى المسلمين من أمر الكتاب ، وفقد أصحاب رسول الله ﷺ عن عثمان ، وخرج من الكوفة عدى بن حاتم الطائى والأشتر مالك بن الحارث النخعى فى مائتى رجل ، وخرج من البصرة حكيم بن جبلة العبدى فى مائة رجل ، حتى قدموا المدينة يريدون خلع عثمان ، وحوصر عثمان قبل هلال ذى القعدة بليلة ، وضيق عليه المصريون والبصريون وأهل الكوفة بكل حيلة ولم يدعوه يخرج ، ولا يدخل إليه أحد إلا أن يأتيه المؤذن فيقول : الصلاة ! وقد منعوا المؤذن أن يقول : يا أمير المؤمنين ، فكان إذا جاء وقت الصلاة بعث أبا هريرة يصلى بالناس ، وربما أمر ابن عباس بذلك ، فصعد يوماً عثمان على السطح فسمع بعض الناس يقول : ابتغوا إلى قتله سبيلاً ، فقال : والله ما أحل الله ولا رسوله قتلى ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل نفس بغير نفس» ؛ وما فعلت من ذلك شيئاً ؛ ثم قال : لا أخلف رسول الله ﷺ فى أمته بإراقة محجمة دم حتى ألقاه ، يا معشر أصحاب رسول الله ﷺ ! أحبكم إلىّ من كف عنا لسانه وسلاحه ؛ ثم أشرف عليهم فقال : أفيكم علىّ ؟ قالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فقال : أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بشىء ، فابتعتها من مالى وجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ، فقالوا : نعم ، قال : فاسقونى منها ، ثم قال : ألا أحد يبلغ علياً

فيسقينا ماء ؟ فبلغ ذلك علياً ، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ، فما كادت تصل إليه حتى خرج في سببها عدة من بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه ؛ ثم قال عثمان : والله ! لو كنت في أقصى داري ما طلبوا غيري ، ولو كنت أدناهم ما جاوزوني إلى غيري ، سنجتمع نحن وهم عند الله ، وسترون بعدي أموراً تتمنون أني عشت فيهم ، ضعف أمري ، والله ، ما أرغب في إمارتهم ، ولولا قول رسول الله ﷺ لي « إذا ألبسك الله قميصاً وأرادوك على خلعه فلا تخلعه » لحبست في بيتي وتركتكم وإمارتكم ، ووالله ! لو فعلت ما تركوني وإنهم قد خدعوا وغروا ، والله ! لو أقتل لمت ، لقد كبر سني ، ورق عظمي وجاوزت أسنان أهل بيتي ، وهم على هذا لا يريدون تركي ، اللهم ! فشتت أمرهم وخالف بين كلمتهم وانتقم لي منهم واطلبهم لي طلباً حثيثاً . وقد استجيب دعاءه في كل ذلك .

ثم أمر عثمان بن عفان عبد الله بن عباس على الحج فحج بالناس فأمّره وبعث إلى الأشتر فدعاه فقال : يا أشتر ! ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، إما أن تخلع أمرهم وتقول : هذا أمركم فاختاروا له من شئتم ، وإما أن تقص من نفسك ، فإن أبيتهما فالقوم قاتلوك ؛ قال عثمان : أما أن أخلع لهم أمرهم ، فما كنت لأخلع سربالاً سربلنيه الله والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أخلع أمة محمد ﷺ بعضها على بعض ، وأما أن أقص من نفسي ، فوالله لقد علمتم أني لم آت شيئاً يجب عليّ القصاص فيه ، وأما أن تقتلوني ، فوالله إن تقتلوني لا تتحابون بعدي ! ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً ،ولتختلفن حتى تصيروا هكذا ، ﴿ يَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ ﴾[1] ــ الآية ، ثم أرسل عبد الله بن سلام فجاءه فقال : الكف الكف ! ثم جاءه زيد بن ثابت فقال : يا أمير المؤمنين ! هذه الأنصار بالباب ، فقال عثمان : إن شاءوا أن يكونوا أنصار الله منكم وإلا فلا ؛ ثم جاءه

---

(١) سورة هود آية ٨٩ .

عبد الله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين ! اخرج فقاتلهم ، فإن معك من قد نصر الله بأقل منهم ، فلم يعرج على قول ابن الزبير ، ثم قال : ائتونى برجل منهم أقرأ عليه كتاب الله ، فأتوه بصعصعة بن صوحان وكان شاباً فقال : ما وجدتم أحداً تأتونى به غير هذا الشاب ! فتكلم صعصعة بكلام ، فقال عثمان : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [(١)] ؛ فلما اشتد بعثمان الأمر أصبح صائماً يوم الجمعة وقال : إنى رأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى : « يا عثمان ! إنك تفصر عندنا الليلة » ؛ ثم قال علىّ للحسن والحسين : اذهبا بسيفكما حتى تقفا على باب عثمان ولا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عدة من أصحاب رسول الله أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ؛ ورماه الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء ، وتخضب محمد بن طلحة ، وشج قنبر مولى علىّ ؛ ثم أخذ محمد بن أبى بكر بيد جماعة وتسور الحائط من غير أن يعلم به أحد من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وهو قاعد والمصحف فى حجره ومعه امرأته والناس فوق السطح لا يعلم أحد بدخولهم ، فقال عثمان لمحمد بن أبى بكر : والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى ! فرجع محمد ، وتقدم إليه سودان بن رومان المرادى ومعه مشقص فوجأه حتى قتله وهو صائم ، ثم خرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذى الحجة ، وكان تمام حصاره خمسة وأربعين يوماً ، وكانت امرأته تقول: إن شئتم قتلتموه ، وإن شئتم تركتموه ! فإنه كان يختم القرآن كل ليلة فى ركعة . ثم صعدت إلى الناس تخبرهم وهمر الناس عليه فدخلوا ، وأول من دخل عليه الحسن والحسين فزعين وهما لا يعلمان بالكائنة وكانا مشغولين على الباب ينصرانه ويمنعان الناس عنه ؛ فلما دخلوا وجدوا عثمان مذبوحاً ، فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجاً فوجا ، وبلغ الخبر على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعداً فخرجوا مذهلين ، كادت عقولهم تذهب لعظم الخبر الذى أتاهم ، حتى

(١) سورة الحج آية ٣٩

دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً واسترجعوا ، وقال عليّ لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ قالا : لم نعلم ، قال فرفع يده ولطم الحسن وضرب صدر الحسين ، وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ثم خرج وهو غضبان يسترجع ، فلقيه طلحة بن عبيد الله فقال : ما لك يا أبا الحسن ؟ فقال على : يقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب محمد ﷺ من غير أن تقوم بينة ولا حجة ! فقال له طلحة : لو دفع مروان إليهم لم يقتلوه فقال على : لو خرج مروان إليكم لقتلتموه قبل أن يثبت عليه حكومة ! ثم أتى على منزله يسترجع ، فاشتغل الناس بعضهم ببعض وفزعوا ولم يتوهموا بأن هذه الكائنة تكون ؛ ثم حمل على سريره بين المغرب والعشاء ، وصلى عليه جبير بن مطعم ، ودلته فى قبره نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن بدر الفزارى ، ودفن ليلة السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة ؛ وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة إلا غشر يوماً .

وقتل يوم عثمان من قريش عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي ، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن العوام ، والمغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى ، وقتل معهم غلام لعثمان أسود ــ أربعة أنفس .

وكان عمال عثمان حين قتل : على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز ، وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص ، وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان ، وعلى مصر محمد بن أبى حذيفة ، وعلى مكة عبد الله بن الحضرمى ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى ، وعلى صنعاء يعلى بن منبه ، وعلى الجند عبد الله بن أبى ربيعه .

استخلاف على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن الهاشمي ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف ، وهاشم أخو هشام ، ومن زعم أنه أسد بن هاشم بن عبد مناف فقد وهم .

أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال : كان على قد تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال : أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ! فخرج فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية ـ أو ليأخذن الراية ـ غداً رجل يحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه » ، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه ، فقالوا : هذا عليّ ، فأعطاه رسول الله ﷺ ، ففتح الله عليه .

قال أبو حاتم : لما كان من أمر عثمان ما كان قعد على في بيته وأتاه الناس يهرعون إليه . كلهم يقولون : أمير المؤمنين عليّ ، حتى دخلوا عليه داره وقالوا: نبايعك ، فإنه لابد من أمير وأنت أحق ، فقال عليّ : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً يطلبون البيعة وهو يأبى عليهم ، فجاء الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى عليّ فقال له : ما يمنعك أن تجيب هؤلاء إلى البيعة ؟ فقال : لا أفعل إلا عن ملأ وشورى ، وجاء أهل مصر فقالوا : ابسط يدك نبايعك ، فوالله ! لقد قتل عثمان ، وكان قتله لله رضى ، فقال عليّ : كذبتم ، والله ما كان قتله لله رضى ! لقد قتلتموه بلا قود ولا حد ولا غيره ؛ وهرب مروان فطلب فلم يقدر عليه ، فلما رأى ذلك على منهم خرج إلى المسجد وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يا أيها الناس ! رضيتم منى أن أكون عليكم أميراً ؟ فكان أول من صعد إليه المنبر طلحة فبايعه بيده ، وكان إصبع طلحة شلاء فرآه أعرابي يبايع فقال : يد شلاء وأمر لا يتم ، فتطير على منها وقال : ما أخلقه أن يكون كذلك ، ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب رسول

الله ﷺ ، ثم بلغ علياً أن سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة يذكرون هنات ، فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه فقال : أيها الناس ! إنكم بايعتمونى على ما بايعتم عليه أصحابى ، فإذا بايعتمونى فلا خيار لكم علىّ ، وعلى الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وهذه بيعة عامة ، فمن ردها رغب عن دين المسلمين واتبع غير سبيلهم ، ولم تكن بيعته إياى فلتة ، وليس أمرى وأمركم واحداً ، أريد الله وتريدوننى لأنفسكم ، وأيم الله ! لأنصحن الخصم ولأنصفن المظلوم .

وقد أكثر الناس فى قتل عثمان ، فمنهم من قد زعم أنه قتل ظالماً ، ومنهم من قد زعم أنه قتل مظلوماً ، وكان الإكثار فى ذلك على طلحة والزبير ، قالت قريش : أيها الرجلان ! إنكما قد وقعتما فى ألسن الناس فى أمر عثمان فيما وقعتما فيه ، فقام طلحة فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما قلنا فى عثمان أمس إلا نقول لكم فيه اليوم مثله أنه خلف الدنيا بالتوبة ، ومال عليه قوم فقتلوه ، وأمره إلى الله ؛ ثم قام الزبير فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى ﷺ ثم قال : يا أيها الناس ! إن الله اختار من كل شئ شيئاً ، واختار من الناس محمداً ﷺ ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، واختار من الشهور رمضان وأنزل فيه القرآن وفرض فيه الصيام ، واختار من الأيام يوم الجمعة فجعله عيداً لأهل الإسلام ، واختار من البلدان هذين الحرمين : مكة والمدينة ، فجعل بمكة البيت الحرام ، وجعل بالمدينة حرم رسول الله ﷺ ، وجعل ما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة ، واختار من الشورى التسليم كما اختار هذه الأشياء ، فأذهبت الشورى بالهوى والتسليم بالشك ، وقد تشاورنا فرضينا علياً ، وأما إن قتل عثمان فأمره إلى الله .

فلما رأى على اختلاف الناس فى قتل عثمان صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! أقبلوا علىّ بأسماعكم وأبصاركم ، إن الناس بين

حق وباطل ، فلئن علا أمر الباطل لقديماً ما فعل ، وإن يكن الحق قد غاب فلعل ، وإنى أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا فى فتنة ، وما علينا فيها إلا الاجتهاد ، الناس اثنان وثلاثة لا سادس لهم : ملك طار بجناحيه ، أو نبى أخذ الله بيده ، أو عامل مجتهد ، أو مؤمل يرجو ، أو مقصر فى النار ؛ وإن الله أدب هذه الأمة بأدبين : بالسيف والسوط ، لا هوادة عند السلطان فيهما ، فاستتروا واستغفروا الله فأصلحوا ذات بينكم .

ثم نزل وعمد إلى بيت المال وأخرج ما فيه وفرقه على المسلمين ، ثم بعث إلى سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة فقال : لقد بلغنى عنكم هنات ، فقال سعد : صدقوا ! لا أبايعك ، ولا أخرج معك حيث تخرج حتى تعطينى سيفاً يعرف المؤمن من الكافر ، وقال له ابن عمر : أنشدك الله والرحم أن تحملنى على ما لا أعرف ، والله ! لا أبايع حتى يجتمع المسلمون على من جمعهم الله عليه ، وقال محمد بن مسلمة : إن رسول الله ﷺ أمرنى إذا اختلف أصحابه ألا أدخل فيما بينهم ، وأن أضرب بسيفى صخر أحد ، فإذا انقطع أقعد فى بيتى حتى تأتينى يد خاطئة أو منية قاضية ، وقد فعلت ذلك ؛ ثم دعا علىّ أسامة بن زيد وأراده على البيعة فقال أسامة : أما البيعة فإننى أبايعك، أنت أحب إلىّ وآثرهم عندى ، وأما القتال فإنى عاهدت رسول الله ﷺ أن لا أقاتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله ، فلما رآهم على مختلفين قال : أخرجونى من هذه البيعة واختاروا لأنفسكم من أحببتم ، فسكتوا وقاموا وخرجوا، فدخل عليه المغيرة بن شعبة فقال : يا أمير المؤمنين ! إنى مشير عليك بخلال ثلاث فافعل أيها شئت ، فقال : ما هى يا أعور ؟ فقال : إنى أرى من الناس بعض التثاقل فيك ؛ فأرى أن تأتى بحمل ضهر فتركبه وتركض فى الأرض هارباً من الناس ، فإنهم إذا رأوا ذلك منك ابتاعوا جمالاً أظهر من جمالك وخيولاً ، ثم ركضوا فى أثرك حتى يدركوك حيث ما كنت ويقلدوك هذا الأمر على اجتماع منهم شئت أو بيت ، فإن لم تفعل هذا فأقرّ معاوية على

الشام كله واكتب إليه كتاباً بذلك تذكر فيه من شرفه وشرف آبائه وأعمله أنك ستكون له خيراً من عمر وعثمان ، واردد عمرو بن العاص على مصر ، واذكر فى كتابك شرفه وقدمه ، فإنه رجل يقع الذكر منه موقعاً ، فإذا ثبت الأمر أذنت لهما حينئذ فى القدوم عليك تستخبرهما عن البلاد والناس ، ثم تبعث بعاملين وتقرهما عندك ؛ فإن أبيت فاخرج من هذه البلاد فإنها ليست ببلاد كراع وسلاح .

فقال على : أما ما ذكرت من فرارى من الناس فكيف أفر منهم وقد بايعونى، وأما أمر معاوية وعمرو بن العاص فلا يسألنى الله عن إقرارهما ساعة واحدة فى سلطانى ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾[1] ، وأما خروجى من هذه البلاد إلى غيرها فإنى ناظر فى ذلك . فخرج من عنده المغيرة ثم عاد وهو عازم على الخروج إلى الشام واللحوق بمعاوية ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أشرت عليك بالأمس فى رأيى بمعاوية وعمرو ، إن الرأى أن تعاجلهم بالنزع ، فقد عرف السامع من غير وتستقبل أمرك ، ثم خرج من عنده فلقيه ابن عباس خارجاً وهو داخل ، فلما ، انتهى إليه قال : رأيت المغيرة خارجاً من عندك ، فيم جاءك ؟ قال : جاءنى أمس برأى واليوم برأى ، وأخبره بالرأيين ، فقال ابن عباس : أما أمس فقد نصحك ، وأما اليوم فقد غشك ، فقال : فما الرأى ؟ فقال ابن العباس : كان الرأى قبل اليوم ، قال على : علىّ ذلك ! قال : كان الرأى أن تخرج إلى مكة حتى تدخلها وتدخل داراً من دورها وتغلق عليك بابك، فإن الناس لم يكونوا ليدعوك ، وإن قريشاً كانت تضرب الصعب والذلول فى طلبك، لأنها لا تجد غيرك ، فأما اليوم فإن بنى أمية يستحسنون الطلب بدم صاحبهم ، ويشبهون على الناس أن يلزموك شعبة من أمره ويلطخونك من ذلك ببعض اللطخ . فهمّ على بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما رأى معاوية وما هو صانع ، فجاءه أبو أيوب الأنصارى فقال له : يا أمير المؤمنين ! لو أقمت بهذه البلاد ! لأنها الدرع الحصينة ومهاجرة للنبى ﷺ ، وبها قبره ومنبره ومادة

---

(١) سورة الكهف الآية ٥١ .

الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت فيهاكمن كان ، وأن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن ألجئت حينئذ إلى المسير سرت وقد أعذرت ، فقال على : إن الرجال والأموال بالعراق ، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، ثم أخذ بما أشار عليه أبو أيوب الأنصارى وعزم على المقام بالمدينة ؛ وبعث العمال على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة أميراً ، وعمارة بن حسان بن شهاب على الكوفة ، عبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام ؛ فأما سهل بن حنيف فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيه خيل من أهل الشام فقالوا له : من أنت ؟ قال : أمير ، قالوا : على أى شيء ؟ قال : على الشام ، قالوا : إن كان عثمان بعثك فحى هلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع ، قال : ما سمعتم بالذى كان قالوا : بلى ، ولكن أرجع إلى بلدك ، فرجع إلى على وإذا القوم أصحاب .

وأما قيس بن سعد فإنه انتهى إلى إيلة فلقيه طلائع فقالوا له : من أنت ؟ فقال : أنا من الأصحاب الذين قتلوا وشردوا من البلاد ، فأنا أطلب مدينة آوى إليها ، فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا قيس بن سعد بن عبادة ، فقالوا : امض بنا، فمضى قيس حتى دخل مصر وأظهر لهم حاله . وأخبرهم أنه ولى على مصر ، فافترق عليه أهل مصر فرقاً : فرقة دخلت فى الجماعة وبايعت ، وفرقة أمسكت واعتزلت ، وفرقة قالت : إن قيد من قتلة عثمان فنحن معه وإلا فلا ، فكتب قيس بن سعد بجميع ما رأى من أهل مصر إلى على .

وأما عبيد الله بن عباس فإنه خرج منطلقاً إلى اليمن ، لم يعانده أحد ولم يصدّه عنها صاد حتى دخلها فضبطها لعلى ، وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامداً إلى الكوفة حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدى وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان ، فقال طليحة : من أنت ؟ قال : أنا عمارة بن حسان بن شهاب ، قال : ما جاء بك ؟ قال : بعثت إلى الكوفة أميراً، قال : ومن بعثك ؟ قال : أمير المؤمنين على ، قال : الحق بطيّتك ، فإن

القوم لا يريدون بأميرهم أبى موسى الأشعرى بدلاً ، فرجع عمارة إلى على وأخبره الخبر ، وأقام طليحة بزبالة .

وأما عثمان بن حنيف فإنه مضى يريد البصرة وعليها عبد الله بن عامر بن كريز ، وبلغ أهل البصرة قتل عثمان ، فقام ابن عامر فصعد المنبر وخطب وقال: إن خليفتكم قتل مظلوماً ، وبيعته فى أعناقكم ، ونصرته ميتاً كنصرته حياً ، واليوم ما كان أمس ، وقد بايع الناس علياً ونحن طالبون بدم عثمان ، فأعدوا للحرب عدتها ، فقال له حارثة بن قدامة : يا ابن عامر ! إنك لم تملكنا عنوة وقد قتل عثمان بحضرة المهاجرين والأنصار وبايع الناس علياً ، فإن أقرك أطعناك، وإن عزلك عصيناك ، فقال ابن عامر : موعدك الصبح ، فلما أمسى تهيأ للخروج وهيأ مراكبه وما يحتاج إليه ، واتخذ الليل جملاً يريد المدينة ، واستخلف عبد الله بن عامر الحضرمى على البصرة فأصبح الناس يتشاورون فى ابن عامر وأخبروا بخروجه ، فلما قدم ابن عامر المدينة أتى طلحة والزبير فقالاً له: لا مرحباً بك ولا أهلاً ! تركت العراق والأموال ، وأتيت المدينة خوفاً من على ، ووليتها غيرك ، واتخذت الليل جملاً ، فهلا أقمت حتى يكون لك بالعراق فئة، قال ابن عامر : فأما إذا قلتما هذا فلكما علىّ مائة ألف سيف وما أردتما من المال .

ثم أتت أم كلثوم بنت على أباها وكانت تحت عمر بن الخطاب ، فقالت له: إن عبد الله بن عمر رجل صالح ، وأنا أتكفل ما يجيىء منه لك ، فلما كان من قدوم ابن عامر المدينة جاء ابن عمر إليها فقال : يا أماه ! إنك قد كفلْت فىّ وأنا أريد الخروج إلى العمرة الساعة ، ولست بداخل فى شىء يكرهه أبوك غير أنى ممسك حتى يجتمع الناس ، فإن شئت فأذنى ، وإن شئت فابعثينى إلى أبيك ، قالت : لا بل اذهب فى حفظ الله وتحت كنفه ، فانطلق ابن عمر معتمراً .

فلما أصبح الناس أتوا عليّا فقالوا : قد حدث البارحة حدث هو أشد من

طلحة والزبير ومعاوية ، قال على : وما ذاك ؟ قالوا : خرج ابن عمر إلى الشام ، فأتى على السوق وجعل يعد طلاباً ليرد ابن عمر ، فسمعت أم كلثوم بذلك فركبت بغلتها حتى أتت أباها فقالت : إن الأمر على غير ما بلغك ، وحدثته بما ذكر لها ابن عمر ، فطابت نفس على بذلك ، فما انصرفوا من السوق حتى جاءهم بعض القدام من العمرة وأخبروه أنهم رأوا ابن عمر وآخر معه على حمارين محرمين بكساءين .

ثم كتب على إلى معاوية : « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان ، سلام عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتى فادخل فى السلام كما دخل الناس وإلا فأذن بحرب كما يؤذن أهل الفرقة ـ والسلام . وبعث كتابه مع سبرة الجهنى والربيع بن سبرة فلما قدم سبرة بكتاب على ودفعه إلى معاوية جعل يتردد فى الجواب مدة ، فلما طال ذلك عليه دعا معاوية رجلاً من عبس يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً مختومًا عنوانه « من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب » وقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وأبرزه ـ وأوصاه بما يقول ، وبعثه مع سبرة رسول على فقدما المدينة ، فرفع العبسى الطومار كما أمر معاوية ، فخرج الناس ينظرون إليه وعلموا حينئذ أن معاوية معترض معاند ؛ فلما دخلا على على دفع إليه العبسى الطومار ففض عن خاتمه فلم يجد فى جوفه شيئاً ، فقال لسبرة : ما وراءك ؟ قال : تركت قوماً : لا يرضون إلا بالقود، وقد تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، فقال على : أمنى يطلبون دم عثمان .

ثم كتب إلى أبى موسى الأشعرى وهو على الكوفة « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعرى ، سلام عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد بلغك ما كان من مصاب عثمان وما اجتمع الناس عليه من بيعتى ، فادخل فيما دخل

فيه الناس ورغب أهل ملكك في السمع والطاعة ، واكتب إلى بما كان منك ومنهم إن شاء الله ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » . وبعث الكتاب مع معبد الأسلمي ، فلما قدم معبد الكوفة دعا أبو موسى الأشعرى الناس إلى طاعة على فأجابوه طائعين، وكتب إلى على بن أبى طالب « بسم الله الرحمن الرحيم ـ لعبد الله على أمير المؤمنين من عبد الله بن قيس ، سلام عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد ! فقد قرأت كتابك ودعوت من قبلى المسلمين فسمعوا وأطاعوا ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ودفع كتابه إلى معبد .

وكانت عائشة خرجت معتمرة ، فلما قضت عمرتها نزلت على باب المسجد واجتمع إليها الناس فقالت : أيها الناس ! إن الغوغاء من أهل الأمصار وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول بالأمس ظلماً ، واستحلوا البلد الحرام وسفكوا الدم الحرام . فقال عبد الله ابن عامر : ها أنا ذا أول طالب بدمه، فكان أول من انتدب لذلك .

ولما كثر الاختلاف بالمدينة استأذن طلحة والزبير علياً فى العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وقد قلت لكما قبل بيعتكما لى : أيكما شاء بايعته ، فأبيتما إلا بيعتى ، وقد أذنت لكما فاذهبا راشدين ، فخرجا إلى مكة وتبعهما عبد الله بن عامر بن كريز فلما لحقهما قال لهما : ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما ، فاجتمعوا مع عائشة بمكة وبها جماعة من بنى أمية .

ثم جمع معاوية أهل الشام على محاربة على والطلب بالقود من دم عثمان، واحتال فى قيس بن سعد بن عبادة وكان والياً على مصر ، وكتب إلى على كتاباً يمرغ فيه معاوية ، فلما قرأ على الكتاب عزل قيساً وولى عليها محمد بن أبى بكر .

وخرج قسطنطين بن هرقل بالمراكب يريد المسلمين ، فسلط الله عليهم ريحاً قاصفاً فغرقهم ، ونجا قسطنطين بن هرقل حتى انتهى إلى سقلية ،فصنعت الروم

حماماً ، فلما دخله قتلوه فيه وقالوا له : قتلت رجالنا .

ثم حج بالناس عبد الله بن عباس ، أمره على الحج ، فلما انصرف أجمع طلحة والزبير على المسير بعائشة ، فقال طلحة : ما لنا أمر أبلغ فى استمالة الناس إلينا من شخوص ابن عمر معنا ، وكان من أمره فى عثمان وخلافه له على ما يعلمه من يعلمه ، فأتاه طلحة فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إن عائشة قصدت الإصلاح بين الناس فاشخص معنا فإن لك بنا أسوة ، فقال ابن عمر أتخدعوننى لتخرجونى كما تخرج الأرنب من جحرها ! إن الناس إنما يخدعون بالوصيف والوصيفة والدنانير والدراهم ، ولست من أولئك ،قد تركت هذا الأمر عياناً وأنا أدعى إليه فى عافية ، فاطلبوا لأمركم غيرى ، فقال طلحة : يغنى الله عنك .

وقدم يعلى بن أمية من اليمن وقد كان عاملاً عليها بأربعمائة من الإبل ، فدعاهم إلى الحملان ، فقال له الزبير : دعنا من إبلك هذه ، ولكن أقرضنا من هذا المال ، فأعطاه ستين ألف دينار ، وأعطى طلحة أربعين ألف دينار ، فتجهزوا وأعطوا من خف معهم .

فلما دخلت السنة السادسة والثلاثون

تشاوروا فى مسيرهم فقال الزبير : عليكم بالشام بها الأموال والرجال ، وقال ابن عامر : البصرة فإن غلبتهم عليها فلكم الشام ، إن معاوية قد سبقكم إلى الشام وهو ابن عم عثمان ، وإن البصرة لى بها صنائع ولأهلها فى طلحة هوى، وكانت عائشة تقول : نقصد المدينة ، فقالوا لها : يا أم المؤمنين ! دعى المدينة فإن من معك لا يقرنون لتلك الغوغاء ، واشخصى معنا إلى البصرة ، فإن أصلح الله هذا الأمر كان الذى نريد ، وإلا فقد بلغنا ويقضى الله فيه ما أحب ، وكلموا حفصة ابنه عمر أن تخرج معهم فقالت : رأيى تبع لرأى عائشة ، فأتاها عبد الله بن عمر فناشدها الله أن تخرج ، فقعدت وبعثت إلى عائشة أن أخى حال بينى وبين الخروج ، فقالت : يغفر الله لابن عمر . ثم نادى منادى طلحة

والزبير : من كان عنده مركب وجهاز ، وإلا فهذا جهاز ومركب ، فحملوا على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب ، وكانوا نحو ألف نفس ، وتجهزوا بالمال، وشيعهم نساء النبى ﷺ وكان كلهن بمكة حاجّات إلا أم سلمة فإنها سارت إلى المدينة، فلما بلغوا ذات عرق ودعت أزواج النبى ﷺ وبكين وبكى الناس ، فما رأوا بكاء أكثر من ذلك اليوم ، وسمى يوم النحيب . وجعلن يدعون على قتلة عثمان الذين سفكوا فى حرم رسول الله ﷺ الدم الحرام ، ثم انصرفن ، ومضت عائشة وهى تقول : اللهم ! إنك تعلم أنى لا أريد إلا الإصلاح فأصلح بينهم .

وبعثت أم الفضل حين خرجت عائشة ومن معها من مكة إلى على رجلاً من جهينة قالت له : اقتل فى كل مرحلة بعيراً وعلىّ ثمنه ، وهذه مائة دينار وكسوة وكتبت معه « أما بعد فإن طلحة والزبير وعائشة خرجوا من مكة يريدون البصرة » فقدم المدينة وأعطى علياً الكتاب ، فدعا على محمد بن أبى بكر فقال له : ألا ترى إلى أختك خرجت مع طلحة والزبير ! فقال محمد بن أبى بكر : إن الله معك ولن يخذلك ، والناس ناصروك .

ثم قام على فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ، تهيئوا للخروج إلى قتال أهل الفرقة فإنى سائر إن شاء الله ، إن الله بعث رسولاً صادقاً بكتاب ناطق وأمر واضح ، لا يهلك عنه إلا هالك ، وإن فى سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم ، وقد قال رسول الله ﷺ « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » . انهضوا إلى هؤلاء الذين يريدون تفريق جماعتكم ، لعل الله يصلح بكم ذات البين .

وبعث على الحسن بن على وعمار بن ياسر إلى الكوفة لا ستنفارهم ، فلما قدموا الكوفة قام أبو موسى الأشعرى فى الناس وكان والياً عليها وأخبرهم بقدوم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين .

وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبى موسى

وإلى الكوفة وإذا فى كل كتاب منهما « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعرى ـ سلام عليك ! فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ! فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت ، وقد خرجت مصلحة بين الناس ، فمر من قبلك بالقرار فى منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين ، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار » فلما قرأ الكتابين وثب عمار بن ياسر فقال : أمرت عائشة بأمر ، وأمرنا بغيره أمرت أن تقر فى بيتها ، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة ، فهوذا تأمرنا بما أمرت ، وركبت ما أمرنا به ثم قال : هذا ابن عم رسول الله ﷺ فأخرجوا إليه ، ثم انظروا فى الحق ومن الحق معه . ثم قام الحسن بن على فقال : يا أيها الناس ! أجيبوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، لعل الله يصلح بينكم . ثم قام هند بن عمرو البجلى فقال : إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا ابنه فاتبعوا قوله وانتهوا إلى أمره ، فقام حجر بن عدى الكندى فقال : أيها الناس ! أجيبوا أمير المؤمنين ، وانفروا خفافاً وثقالاً بأموالكم وأنفسكم . ثم قال الحسن : أيها الناس ! إنى غاد ، فمن شاء منكم فليخرج معى على الظهر ، ومن شاء فليخرج فى الماء فأجابوه ، وخرج معه تسعة آلاف نفس بعضهم على البر وبعضهم على الماء ، وساروا حتى بلغوا ذا قار، وخرج على من المدينة معه ستمائة رجل ، وخلف على المدينة سهل بن حنيف، فالتقى هو وابنه الحسن مع من خرج معه من الكوفة بذى قار ، فخرجوا جميعاً إلى البصرة ولم يدخل على الكوفة ، وكتب إلى المدينة إلى سهل بن حنيف أن يقدم عليه ويولى على المدينة أبا حسن المازنى ؛ والتقى مع طلحة والزبير وعائشة بالجلحاء على فرسخين من البصرة ، وذلك لخمس خلون من جمادى الآخرة ، وكان على كثيراً ما يقول : يا عجب كل العجب ، من جمادى ورجب ! فكان من أمرهم ما كان .

وقتل ابن جرموز الزبير ثم أتى علياً يخبره فقال علىّ : سمعت رسول الله ﷺ

يقول « قاتل ابن صفية بالنار » فقال ابن جرموز : إن قتلنا معكم فنحن فى النار! وإن قاتلناكم فنحن فى النار ! ثم بعج بطنه بسيفه فقتل نفسه . وأما طلحة فرماه مروان بن الحكم بسهم من ورائه ، فأثبته فيه وقتله ، وحمله إلى البصرة فمات بها ، فقبر طلحة بالبصرة ، وقتل الزبير بوادى السباع ؛ وكان كعب بن سور قد علق المصحف فى عنقه ثم يأتى هؤلاء فيذكرهم ، ويأتى هؤلاء فيذكرهم حتى قتل .

وكان على ينادى مناديه : « لا تقتل مديراً ، ولا تذفف على جريح ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن طرح السلاح فهو آمن ، ولم يقتل بعد آن واحداً .

فلما اطمأن الناس بعث على بعائشة مع نساء من أهل العراق إلى المدينة ، وأقام بالبصرة خمسة عشر يوماً ثم خرج إلى الكوفة ، وولى على البصرة عبد الله ابن عباس ، وولى الولاة فى البلدان ، وكتب إلى المدن بالقرار والطاعة .

ثم إن أبا مسلم الخولانى قال لمعاوية : على ما تقاتل علياً وهو ابن عم رسول الله ﷺ وله من القدم والسابقة ما ليس لك وإنما أنت رجل من الطلقاء ؟ فقال له معاوية : أجل ! والله ما نقاتل علياً ، وأنا لست أدعى فى الإسلام مثل الذى له ، ولكن أقاتله على دم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وأنا أطلبه بدمه ، فقال أبو مسلم : إنى استخبر لك عن ذلك ، فركب راحلته وانتهى إلى الكوفة ، ثم نزل عن راحلته وأتى علياً ماشياً والناس عنده ولا يعرفه أحد ، فقال : من قتل عثمان ؟ فقال على : الله قتل عثمان وأنا معه ، فخرج أبو مسلم ولم يتكلم ، ومضى حتى انتهى إلى راحلته فركبها ، ولحق بالشام فانتهى إلى معاوية وهو يثقل فقيل له : هذا أبو مسلم قد جاء ، فعانقه معاوية وسأله عن سفره وخاف أن يكون قد جاء بشىء مما يكره فقال أبو مسلم : والله لتقاتلن علياً أو لنقاتلنه ، فإنه قد أقر بقتل أمير المؤمنين عثمان ، فقام معاوية فرحاً وصعد المنبر واجتمع إليه الناس وحمد الله وأثنى عليه ، وقام أبو مسلم خطيباً وحرض الناس على قتال على ؛ فصح أهل الشام قاطبة على على وطلبهم إياه بدم عثمان .

ثم إن حجر بن الأدبر قدم على على فقال : يا أمير المؤمنين ! الجماعة والعدد والمال مع الأشعث بن قيس بآذربيجان فابعث إليه فليقدم ، فكتب إليه على «بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس، أما بعد ! فإذا أتاك كتابى هذا فاقدم واحمل ما غللت من المال» . فكتب إليه الأشعث بن قيس «أما بعد فقد جاءنى كتابك بأن أقدم عليك وأحمل ما غللت من مال الله ، فما أنت وذاك ! والسلام» ، ثم قال الأشعث : والله لأدعنه بحال مضيعة ، ولأفسدن عليه الكوفة ، ثم ارتحل من آذربيجان وهو يريد معاوية ، وبلغ ذلك علياً وشق عليه خروجه إلى معاوية ، فقال حجر بن الأدبر : يا أمير المؤمنين ! ابعثنى إلى الأشعث بن قيس فأنا أعرف به وارفق ، وإن هو خوشن لم يجب أحداً ، قال له على : سر إليه فسار حجر إليه فأدركه بشهرزور فقال له حجر : يا أبا محمد ! أنشدك الله أن تأتى معاوية وتدع ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال الأشعث : أو ما سمعت كتابه إلىّ ؟ فقال حجر : إنك إن أتيت معاوية أقبلنا جميعاً إلى الشام ، وأنشدك الله ألا نظرت إلى أيتام قومك وأياماهم ! فإنى لا آمن أن يفتضحوا غداً ، قال : فما نزيد يا حجر ؟ قال : تنحدر معى إلى الكوفة ، فإنك شيخ العرب وسيدها والمطاع فى قومك ، وسيصير إليك الأمر ، فلم يزل به حجر حتى قال : ليصرفوا صدور الركائب إلى الكوفة ، فتقدم على على فسرّ على بمجيئه فقال : مرحباً وأهلاً بأبى محمد على عجلته ، فقال : أمير المؤمنين ! إن هذا ليس بيوم عتاب ، ثم أقام مع على بالكوفة . وحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر على وولاه .

فلما دخلت السنة السابعة والثلاثون

كتب معاوية إلى على بن أبى طالب «أما بعد فإن الله اصطفى محمداً ﷺ بعلمه ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ، واختار له من المسلمين أعواناً ، فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام ، كان أفضلهم فى الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة بعده وخليفة خليفته

والخليفة المظلوم المقتول ـ رحمة الله عليهم ! وقد ذكر لى أنك تنتفى من دمه، فإن كنت صادقاً فأمكنا ممن قتله حتى نقتله به ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة ، وإلا فإنه ليس لك ولا لأحد من أصحابك عندنا إلا السيف ، والذى لا إله غيره ! لنطلبن قتله عثمان فى الجبال والرمال حتى يقتلهم الله أو تلحق أروحنا بعثمان ـ والسلام » .

فكتب إليه على « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان ـ أما بعد فإن أخا خولان قدم على بكتاب منك يذكر فيه محمداً ﷺ ، وما أنعم الله عليه من الهدى ، والحمد لله على ذلك ، وأما ما ذكرت من ذكر الخلفاء فلعمرى إن مقامهم فى الإسلام كان عظيماً ، وإن المصاب بهم لجرح عظيم فى الإسلام ، وأما ما ذكرت من قتلة عثمان فإنى قد نظرت فى هذا الأمر فلم يسعنى دفعهم إليك ، وقد كان أبوك أتانى حين ولى الناس أبا بكر فقال لى : يا على ! أنت أحق الناس بهذا الأمر بعد رسول الله ﷺ، وهات يدك حتى أبايعك فلم أفعل مخافة الفرقة فى الإسلام ، فأبوك أعرف بحقى منك ، فإن كنت تعرف من حقى ما كان يعرفه أبوك فقد قصدت رشدك ، وإن لم تفعل فسيغنى الله عنك ـ والسلام » .

فلما قرأ معاوية الكتاب تهيأ هو ومن معه على المسير إلى على ثم سار يريد العراق ، وسار على من العراق ، وصلى الظهر بين القنطرة والجسر ركعتين ، وبعث على مقدمته شريح بن هانىء وزياد بن النضر بن مالك ، أمر أحدهما أن يأخذ على شط دجلة والآخر على شط الفرات ، معهما أكثر من عشرة آلاف نفس ، واستخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصارى ، ثم أخذ على طريق الفرات وجعل يقول : إذا سمعتمونى أقول « قال رسول الله ﷺ » فهو كما أقول ، وإذا لم أقل « قال رسول الله ﷺ » فإنما الحرب خدعة ؛ فالتقى على وأهل الشام بصفين لسبع بقين من المحرم ، فقام على خطيباً فى الناس فقال : الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض ، وأبرم أمراً لم ينقضه الناقضون ، مع أن الله ـ وله

الحمد ـ لو شاء لم يختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره ،ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[1] وقد ساقتنا وهؤلاء المقادير حتى جمعت بيننا فى هذا المكان فنحن من ربنا بمنظر ومستمع ، ولو شاء الله لجعل الانتقام ، وكان منه التغيير حتى يتبين أهل الباطل ويعلم أهل الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة هى دار القرار ﴿ **ليجزى الذين أساءوا** ﴾ ـ الآية ألا ! إنكم تلقون عدوكم غداً فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا فيها تلاوة القرآن ، وسلوه النصر ، وعليكم بالجد والحزم وكونوا صادقين . ثم قعد فوثب الناس إلى سيوفهم يهيؤونها ، وإلى رماحهم يثقفونها ، وإلى نبالهم يريشونها ، ثم جعل على مقدمته شريح بن هانىء الحارثى والأشتر ، وعلى الميمنة الأشعث بن قيس وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء ، وعلى الساقة زياد بن النضر ، وعلى ميمنة الرجالة سليمان بن صرد الخزاعى .

ثم قام معاوية خطيباً فى أهل الشام واجتمع الناس فقال : الحمد لله الذى دنا فى علوه وعلا فى دنوه ، وظهر وبطن فارتفع فوق كل منظر أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً يقضى فيفصل ، ويقدر فيغفر ، ويفعل ما يشاء ، وإذا أراد أمراً أمضاه ، وإذا عزم على أمر قضاه ، لا يؤامر أحداً فيما يملك ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، والحمد لله رب العالمين على ما أحببنا وكرهنا ، ثم كانت من قضاء الله أن ساقتنا المقادير إلى الرقعة من الأرض ، ولفّت بيننا وبين أهل العراق ، فنحن من الله بمنظر ومستمع ، وقد قال الله ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ ـ الآية ، فانظروا يا أهل الشام ، فإنما تلقون غداً العدو ، فكونوا على إحدى ثلاث خلال : إما قوماً تطلبون ما عند الله بقتالكم قوماً بغوا عليكم ، وإما قوماً تطلبون بدم الخليفة عثمان فإنه خليفتكم وصهر نبيكم ،وإما قوماً تدفعون عن نسائكم وذراريكم ؛ وعليكم بتقوى الله والصبر الجميل ! نسأل الله لنا ولكم النصر ، وأن يفرغ علينا وعليكم الصبر، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

خير الفاتحين ؛ فأجابه أهل الشام : طب نفساً ! نموت معك ونحيى معك، ثم جعل معاوية أبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى على مقدمته ، وحبيب بن مسلمة الفهرى على ميمنته ، وبسر بن أرطاة على ميسرته ، ومسلم بن عقبة على رجالة العسكر ؛ فلما كان الغد اقتتلوا قتالاً شديداً فحجز بينهم الليل حتى قاتلوا ثلاثة أيام ؛ فقتل من أصحاب على بالمبارزة : هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء وعمار بن حنظلة الكندى ، وبشر بن زهير ، ومالك بن كعب العامرى ، وطالب بن كلثوم الهمدانى ، والمرتفع بن وضاح الزبيدى ، وشريح بن طارق البكرى ، وأسلم بن يزيد الحارثى ، والحارث بن اللجاج الحكمى ، وعائذ بن كريب الهلالى ، وواصل بن ربيعة الشيبانى وعائذ بن مسروق الهمدانى ، ومسلم بن سعيد الباهلى ، ومحارب بن ضرار المرادى ، وسبيمان بن الحارث الجعفى ، وشرحبيل ابن يزيد الحضرمى .

وقتل من أصحاب معاوية فى المبارزة : شرحبيل بن منصور ، وعبد الرزاق بن خالد العبسى ، وشريح بن الحارث الكلابى ، وصالح بن المغيرة الجمحى ، وحريث بن الصباح الحميرى ، والحارث بن وداعة الحميرى ، وروق بن الحارث العكى ، والمطاع بن المطلب القينى وجلهمة بن هلال الكلبى ، والوضاح بن أزهر السكسكى ووزاع بن سلامان الغسانى ، والمهاجر بن حنظلة الجعفى ، وعبد الله بن جرير العكى ، ومالك بن وديعة القرشى ، سوى من قتل من الفريقين من غير براز .

ولما قتل عمار أتى عبد الله بن عمرو معاوية فقال : قتل عمار ، فقال عمرو ابن العاص : قتل عمار ! فما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية ! فقال معاوية : أنحن قتلناه ! إنما قتله أهل العراق ، وجاءوا به فطرحوه فى سيوفنا ورماحنا ، وقد قيل : إنه قتل بصفين سبعون ألفاً : من أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً ، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً . فلما اشتدت البلاء بالفريقين وكثر بينهم القتلى قال عمرو بن العاص لمعاوية : إن هذا الأمر

لا يزداد إلا شدة ، فهل لك إلى أمر لا يزداد القوم به إلا فرقة ، إن أعطونا اختلفوا وإن منعونا اختلفوا ؟ فقال معاوية : ما هو ؟ فقال : المصاحف نرفعها وندعوهم بما فيها ، فإنهم لا يقاتلون إلا على ما قد علمت ؛ فقال معاوية : افعل ما رأيت ، فأمر بالمصاحف فرفعت في الرماح ثم جعلوا ينادون : ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه فسر الناس به وكرهوا القتال ، وأجابوا إلى الصلح ، وأنابوا إلى الحكومة ، وقالوا لعلى : إن القوم يدعونك إلى الحق وإلى كتاب الله فإن كرهنا ذلك فنحن إذا مثلهم ، فقال علي : ويحكم ! ما يريدون ولا يفعلون ؛ ثم مشى الناس بعضهم إلى بعض وأجابوا الصلح والحكومة ، وتفرقوا إلى دفن قتلاهم ، ولم يجد عليّ بداً أن يقبل الحكومة لما رأى من أصحابه ، فحكم أهل الشام عمرو بن العاص ، وأراد على أن يحكم ابن عباس فقال الأشعث بن قيس ـ وهو يومئذ سيد الناس : لا يحكم فى هذا الأمر رجلان من قريش ، ولا افترق الفريقان على هذا الجمع على حكومة بعد أن كان من القتال بينهما ما كان إلا وأحد الحكمين منا ؛ وتبعه أهل اليمن على ذلك ، ثم قال الأشعث : لا نرضى إلا بأبى موسى الأشعرى ، وكتبوا بينهم كتابى الصلح « بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان ، قاضى على على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المسلمين أنا ننزل على حكم الله وكتابه ، فما وجد الحكمان فى كتاب الله فيهما يتبعانه ، وما لم يجدا فى كتاب الله فالسنة العادلة تجمعهما ، وهما آمنان على أموالهم وأنفسهما وأهاليهما ، والأمة أنصار لهما على الذى يقضيان عليه، وعلى المؤمنين والمسلمين ـ والطائفتان كلتاهما عليهما ـ عهد الله وميثاقه أن يفيا بما فى هذه الصحيفة على أن بين المسلمين الأمن ووضع السلاح ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكما بين الناس بما فى هذه الصحيفة ، على أن الفريقين جميعاً يرجعان سنة ، فإذا

انقضت السنة إن أحبا أن يردا ذلك ردا ، وإن أحبا زادا فيهما ما شاء الله ، اللهم إنا نستنصرك على ما فى هذه الصحيفة .

وشهد على الصحيفة فريق عشرة أنفس ، فشهد من أصحاب على الأشعث ابن قيس ، وعبيد الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، وحجر بن الأدبر الكندى ، وعبد الله بن الطفيل بن العامرى ، وعبد الله بن محل العجلى ، ووفاء ابن سمى البجلى وعقبة بن زيد الأنصارى ، ويزيد بن حجية التيمى ، ومالك ابن أوس الرجبى .

وشهد من أهل الشام أبو الأعور السلمى ، وحبيب بن مسلمة الفهرى ، والمخارق ابن الحارث الزبيدى ، وعلقمة بن يزيد الحضرمى ، وسبيع بن يزيد الحضرمى وزمل بن عمرو العذرى ، ويزيد بن الحر العبسى ، وحمزة بن مالك الهمدانى ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعتبه بن أبى سفيان .

وكتب يوم الأربعاء سنة سبع وثلاثين .

فانصرف على بمن معه من أهل العراق ، وانصرف معاوية بمن معه إلى الشام ، فقال عبد الله بن وهب الحرمى ـ وكان من أصحاب على : لا حكم إلا لله ، فقال على : هذه كلمة حق أريد بها باطل . فلما دخل على الكوفة خرج من كان يقول : لا حكم إلا لله ، ونزلوا بحروراء وهم قريب من اثنى عشر ألفاً ، فسموا الحرورية ، ومناديهم ينادى : أمير القتال شبث بن ابعى التميمى ، والأمر بعد الفتح شورى ، والبيعة لله ، ومات خباب بن الأرت بالكوفة .

فخرج على من صفين ، وولى على سهل بن حنيف فارس ، فأخرجه أهل فارس ، فوجه زياداً فرضوا وصالحوا وأدوا إليه الخراج.

ثم إن الخوارج اجتمعت على زيد بن حصين وقالوا له : أنت سيدنا وشيخنا وعامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، تول أمرنا ، وجهروا به فقال : ما كنت

لأفعلها ، فلما أبى عليهم ذلك ذهبوا إلى يزيد بن عاصم المحاربى فعرضوا عليه أمرهم فأبى عليهم ذلك ، ثم ذهبوا إلى سعد بن وائل التميمى فأبى عليهم، فأتوا عبد الله بن وهب الراسبى واجتمعوا عنده بقرب النهروان ، وخرج إليهم على فى جمعية ، فلما أتاهم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنكم أيها القوم قد علمتم وعلم الله أنى كنت للحكومة كارهاً حتى أشرتم علىّ بها وغلبتمونى عليها والله بينى وبينكم شهيد ! ثم كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وأنتم على ذلك من الشاهدين ، فقالت طائفة من القوم : صدقت ـ ورجعوا إلى الجماعة ، وبقيت طائفة منهم على قولهم ، فقال على : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (١). منهم أهل النهروان ورب الكعبة ! ثم إنهم عبروا الجسر إلى على ليحاربوه ، فلما عبروا الجسر نادى على فى العسكر : استقبلوهم ، فاستقبلوهم والتقطوهم بالرماح ، فكان مع على جميعة يسيرة ، إنما جاء على أن يردهم بالكلام ، وقد كانت الخوارج قريباً من خمسة آلاف ؛ فلما فرغوا من قتلهم قال على : اطلبوا لي المخدع ، فطلبوه فلم يجدوه فقال : اطلبوا المخدع ، فوالله ما كذبت ولا كُذِبْتُ، ثم دعا ببغلته البيضاء فركبها وجعل يقلب القتلى حتى أتى على فضاء من الأرض فقال : قلبوا هؤلاء فإذا هم برجل ليس له ساعد ، بين جنبية ثدى فيه شعرات إذا مدت امتدت ، وإذا تركت قلصت ، فقال على : الله أكبر ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم فيهم رجل مخدع اليد ولولا أن تنكلوا عن العمل لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمد ﷺ » ثم حج بالناس عبد الله بن عباس .

فلما دخلت السنة الثامنة والثلاثون

اجتمعوا لميعادهم مع الحكمين بأذرح ، وحضر فيهم من أهل المدينة سعد ابن أبى وقاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابن عمر ، ولم يخرج على بنفسه ،

---

(١) من القرآن الكريم سورة الكهف آية ١٠٤ .

ووافى معاوية فى أهل الشام وكان بينه وبين أبى موسى الأشعرى ما كان وافترق الناس ورجعوا إلى أوطانهم ، وندم عبد الله بن عمر على حضوره أذرح ، فأحرم من بيت المقدس تلك السنة ورجع إلى مكة .

واستشار معاوية أصحابه فى محمد بن أبى بكر وكان والياً على مصر ، فأجمعوا على المسير إليه فخرج عمرو بن العاص فى أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمى ومعاوية بن حديج فالتقوا بالمسنّاة وقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل كنانة بن بشير بن عتاب التجيبى ، وانهزم محمد بن أبى بكر وقاتل حتى قتل ، وقد قيل: إنه أدخل فى جوف حمار ميت ، ثم أحرق بالنار ، فلما بلغ علياً سرور معاوية بقتله قال : لقد حزنا عليه بقدر سرورهم بقتله ، ثم ولى على الأشتر على مصر . ومات صهيب بن سنان .

فلما بلغ معاوية خبر مسير الأشتر إلى مصر قال : إنه ليأتى وعامة أهل مصر أهل اليمن وهو يمانى ، وكتب إلى دهقان بالعريش : إن احتلت فى الأشتر فلك على أن أخرج خراجك عشرين سنة ، فقدم الأشتر على امرأة من حمير يقال لها ليلى بنت النعمان ، فتلطف له الدهقان وسأله : أى الشراب أحب إليك ؟ قال العسل ، قال : عندى عسل من عسل برقة لم ير مثله ، ثم قدمته إليه فسقته منه ، فمات من ساعته ، فبلغ ذلك معاوية فقال : إن لله جنوداً من العسل . ومات صفوان ابن بيضاء فى رمضان وكان قد شهد بدراً ، ومات سهل بن حنيف بالكوفة وصلى عليه . وحج بالناس قثم بن العباس .

فلما دخلت السنة التاسعة والثلاثون

استعمل على يزيد بن حجية التميمى على الرى ، ثم كتب إليه بعد مدة أن أقدم ، فقدم على فقال له : أين ما غللت من مال الله ؟ قال : ما غللت ، فخفقه بالدرة خفقات وحبسه فى داره ، فلما كان فى بعض الليالى قرب يزيد البواب وما حله ، ولحق بالرقة وأقام بها حتى أتاه إذن معاوية ، فلما بلغ علياً

لحـوقـه مـعـاوية قـال : اللهم ! إن يزيد أذهب بمال المسلمين ولحق بالقـوم الظالمين، اللهم ! فاكفنا مكره وكيده .

ثم وجه معاوية خيلاً فيهم الضحاك بن قيس الفهرى ، وسفيان بن عوف الدابرى ، فأغار سفيان على الأنبار وفيها مسلحة لعلى ، فلما بلغ علياً خروجهم خرج من بيته والناس فى المسجد فلما رأوه صاحوا ، قال : اسكتوا اسكتوا ! فلما سكتوا قال : شاهت الوجوه ! إن قلت نعم ، قلتم : لا ، وإن قلت : لا ، قلتم : نعم ، إن استنفرتكم فى الحر قلتم : الحر شديد فإذا جاء الشتاء نفرنا ، وإذا جاء الشتاء واستنفرتكم قلتم : البرد شديد وإذا كان الصيف نفرنا ، إن عدوكم يجد من الهناء ما تجدون ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع ، وددت أن لى بجماعتكم ألف فارس .

ثم بعث معاوية بسر بن أرطاه ـ أحد بنى عامر بن لؤى ـ فى جيش من أهل الشام إلى المدينة وعليها أبو أيوب الأنصارى ، فهرب منه أبو أيوب ولحق علياً بالكوفة ، ولم يقاتله أحد بالمدينة حتى دخلها ، فصعد منبر رسول الله ﷺ وجعل ينادى : يا أهل المدينة ! والله لولا ما عهد إلى أمير المؤمنين معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته ! فبايع أهل المدينة معاوية ، وأرسل إلى بنى سلمة : ما لكم عندى أمان تأتونى بجابر بن عبد الله على أم سلمة وقال : يا أماه ! إنى خشيت على دمى ، وهذه بيعة ضلالة ، فقالت : أرى أن تبايع ، فخرج جابر بن عبد الله فبايع بسر بن أرطاة لمعاوية كارهاً ، ثم خرج بسر حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى الأشعرى وكان والى مكة لعلى ، وتنحى عن مكة حتى دخلها ، ثم مضى إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عامل على ، فلما سمع به عبيد الله هرب ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد المدان ، وكانت ابنته تحت عبيد الله بن عباس . فلما قدم بسر اليمن قتل عبد الله بن عبد المدان ، وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب ـ من أحسن الصبيان ـ صغيرين كأنهما درتان ، ففعل بهما ما فعل .

فلما حضر الموسم بعث على على الحج عبد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى ، فاجتمعا بمكة وتنازعا وأبى كل واحد منهما أن يسلم لصاحبه إقامة الحج ، فاجتمع الناس على شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، فحج بالناس شيبة بن عثمان .

فلما دخلت السنة الأربعون

وبلغ الخبر علياً بما فعل بسر بن أرطأة باليمن وما كان من أمر بنى عبيد الله ابن عباس بن عبد المطلب خطبهم وقال : لقد خفت أن يظهر مولى القوم عليكم ، وما يظهرون عليكم بأن يكونوا بالحق أولى منكم ، ولكن بصلحهم فى بلادهم وفسادكم فى بلادكم ، واجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وأدائهم الأمانة وخيانتكم ، والله لو استعملت فلاناً لخان وغدر ـ ثلاثاً ! ولو بعثه معاوية لم يخنه ولا غدره ، اللهم ! قد مللتهم وملّونى ، وسئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى ، فأرحنى منهم وأرحهم منى وأبدلنى بمن هو خير لى منهم وأبدلهم بمن هو شرلهم منى .

ثم كان قتل على بن أبى طالب .

وكان السبب فى ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم المرادى أبصر امرأة من بنى تيم الرباب يقال لها قطام ، وكانت من أجمل أهل زمانها ، وكانت ترى رأى الخوارج ، فولع بها فقالت : لا أتزوج بك إلا على ثلاثة آلاف وقتل على بن أبى طالب فقال لها : لك ذلك ، فتزوجها وبنى بها فقالت له : يا هذا ! قد عرفت الشرط ، فخرج عبد الرحمن بن ملجم ومعه سيف مسلول حتى أتى مسجد الكوفة وخرج على من داره وأتى المسجد وهو يقول : أيها الناس ! الصلاة الصلاة ! أيها الناس ! الصلاة الصلاة ! وكانت تلك ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان ، فصادفه عبد الرحمن بن ملجم من خلفه ثم ضربه بالسيف ضربة من قرنه إلى جبهته ، وأصاب السيف الحائط فثلم فيه ، ثم ألقى من يده ، وأقبل الناس عليه فجعل ابن ملجم يقول للناس : إياكم والسيف فإنه

مسموم ، وقد سمه شهراً ، فأخذوه ، ورجع على بن أبى طالب داره ، ثم أدخل عليه عبد الرحمن بن ملجم فقالت له أم كلثوم بنت على : يا عدو الله ! أمير المؤمنين ! فقال : لم أقتل إلا أباك ، فقالت : إنى لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين من بأس ، فقال عبد الرحمن بن ملجم : فلم تبكين إذاً ؟ فوالله سممته شهراً ! فإن أخلفنى أبعده الله وأسحقه ، فقال على : احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فعفو أو قصاص ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند رب العالمين .

فمات على بن أبى طالب غداة يوم الجمعة فأخذ عبد الله بن جعفر والحسن ابن على ومحمد بن الحنفية عبد الرحمن بن ملجم ، فقطعوا يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ، ثم كحلوا عينيه بملمول[1] محمى ، ثم قطعوا لسانه وأحرقوه بالنار ؛ وكان لعلى يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر

واختلفوا فى موضع قبره ولم يصح عندى شىء من ذلك فأذكره ، وقد قيل: إنه دفن بالكوفة فى قصر الإمارة عند مسجد الجماعة ، وهو ابن ثلاث وستين.

ثم قام الحسن بعد دفن أبيه خطيباً فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : والله لقد مات فيكم رجل ما سبقة الأولون يدركه الآخرون ! لقد كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، يقاتل جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، ولا ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطائه ، أراد أن ي

وكان لعلى بن أبى طالب خـ
ومحسن وأم كلثوم الكبرى
رسول الله ﷺ ، وكان له من
ويحيى وجعفر والعباس وعبـ
وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام وأم سلمة ــ رضى

(١) أى بمكحال

الله عنهم أجمعين .

ذكر البيان بأن من ذكرناهم كانوا خلفاء ومن بعدهم كانوا ملوكاً

أخبرنا أحمد بن على بن المثنى بالموصل ثنا على بن الجعد الجوهرى[1] ثنا حماد بن سلمة عن سعيد بن جمهان عن سفينة[2] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم يكون ملكاً ، قال : أمسك خلافة أبى بكر سنتين ، وعمر عشراً ، وعثمان اثنتى عشرة ، وعلى ستاً . قال على بن الجعد : فقلت لحماد بن سلمة : سفينة القائل : أمسك ؟ قال : نعم .

قال أبو حاتم : ولى أهل الكوفة بعد على بن أبى طالب الحسن بن على ، ولما اتصل الخبر بمعاوية ولى أهل الشام معاوية بن أبى سفيان ، واسم أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأم معاوية هند بنت عتبة بن ربيعة بن شمس ؛ فكان معاوية نفذ الأمور بالشام والأردن وفلسطين ومصر ، وكان الحسن بن على يمشىّ الأمور بالعراق إلى أن دخلت سنة إحدى وأربعين ، فاحتال معاوية فى الحسن بن على وتلطف له وخوفه هراقه دماء المسلمين وهتك حرمهم وذهاب أموالهم إن لم يسلم الأمر لمعاوية ؛ فاختار الحسن ما عند الله على ما فى الدنيا وسلم الأمر إلى معاوية يوم الإثنين لخمس ليال بقين من ربيع الأول إحدى وأربعين واستوى الأمر لمعاوية حينئذ ، وسميت هذه السنة سنة الجماعة ؛ وبقى معاوية فى إمارته تلك إلى أن مات يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين ، وقد قيل : إن معاوية مات للنصف من رجب من هذه السنة ، وكان له يوم توفى ثمان وسبعون سنة ؛ وصلى عليه ابن قيس الفهرى ، وقد قيل : إن يزيد بن معاوية هو الذى صلى عليه ، وكانت مدة معاوية تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنتين وعشرين ليلة ؛ وكان معاوية يخضب بالحناء والكتم ، وكان نقش خاتمه « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم »

(١) هو على بن الجعد بن عبيد الجوهرى البغدادى ، ثقة ثبت رمى بالتشيع ، من صغار الطبقة التاسعة ، مات سنة ٢٣٠ هـ أخرج له البخارى وأبو داود . انظر تقريب التهذيب ١٠١/١ ترجمة ٧٤ .

(٢) سفينة هذا هو مولى رسول الله وكانت كنيته أبو عبد الرحمن .

وقبره بدمشق خارج باب الصغير في المقبرة ، محط عليه ، وقد زرته مراراً عند قصرى رمادة أبي الدرداء.

يزيد بن معاوية أبو خالد

ثم تولى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان يوم الخميس من شهر رجب فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وكنية يزيد أبو خالد ، وكان ليزيد بن معاوية يوم ولى أربع وثلاثون وشهر ، كانت أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قناقة الكلبى ؛ وكان نقش خاتمه « آمنت بالله مخلصاً » .

ولما بايع أهل الشام يزيد بن معاوية واتصل الخبر بالحسين بن على جمع شيعته واستشارهم وقالوا : إن الحسن لما سلم الأمر لمعاوية سكت وسكت معاوية، فالآن قد مضى معاوية ونحب أن نبايعك ، فبايعته الشيعة ؛ ووردت على الحسين كتب أهل الكوفة من الشيعة يستقدمونه إياها ، فأنفذ الحسين بن على مسلم ابن عقيل إلى الكوفة لأجل البيعة على أهلها ، فخرج مسلم بن عقيل من المدينة معه قيس بن مسهر الصيداوى يريدان الكوفة ، ونالهما فى الطريق تعب شديد وجهد جهيد ، لأنهما أخذا دليلاً تنكب بهما الجادة فكاد مسلم بن عقيل أن يموت عطشاً إلى أن سلمه الله ودخل الكوفة ، فلما نزلها دخل دار المختار بن أبى عبيد ، واختلفت إليه الشيعة يبايعونه أرسالاً ، ووالى الكوفة يومئذ النعمان بن بشير ، ولاه يزيد بن معاوية الكوفة ؛ ثم تحول مسلم بن عقيل من دار المختار إلى دار هانىء حتى بايع ثمانية عشر ألف رجل من الشيعة . فلما اتصل الخبر بيزيد بن معاوية أن مسلماً يأخذ البيعة بالكوفة للحسين بن على ، كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد وهو إذ ذاك بالبصرة وأمره بقتل مسلم بن عقيل أو بعثه إليه ؛ فدخل عبيد الله بن زياد الكوفة حتى نزل القصر واجتمع إليه أصحابه ، وأخبر عبد الله بن زياد أن مسلم بن عقيل فى دار هانىء ابن عروة ، فدعا هانئًا وسأله فأقر به ، فهشم عبيد الله وجه هانىء بقضيت كان فى يده حتى تركه وبه رمق .

ثم ركب مسلم بن عقيل فى ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد ، فلما قرب من قصر عبيد الله نظر فإذا معه مقدار ثلاثمائة فارس فوقف يلتفت يمنة ويسرة فإذا أصحابه يتخلفون عنه حتى بقى معه عشرة أنفس ، فقال : يا سبحان الله ! غرنا هؤلاء بكتبهم ثم أسلمونا إلى أعدائنا هكذا ، فولى راجعاً فلما بلغ طرف الزقاق التفت فلم ير خلفه أحداً ، وعبيد الله بن زياد فى القصر متحصن يدبر فى أمر مسلم ابن عقيل ، فمضى مسلم بن عقيل على وجهه وحده فرأى امرأة على باب دارها ، فاستسقاها ماء وسألها مبيتاً ، فأجابته إلى ما سأل وبات عندها ، وكانت للمرأة ابن ، فذهب الابن وأعلم عبيد الله بن زياد أن مسلماً فى دار والدته ، فأنفذ عبيد الله بن زياد إلى دار المرأة محمد بن الأشعث بن قيس فى ستين رجلاً من قيس ، فجاءوا حتى أحاطوا بالدار ، فجعل مسلم يحاربهم عن نفسه حتى كلّ وملّ ، فآمنو فأخذوه وأدخلوه على عبيد الله ، فأصعد القصر وهو يقرأ ويسبح ويكبر ويقول : اللهم أحكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا حتى دفعنا إلى ما دفعنا إليه ، ثم أمر عبيد الله بضرب رقبة مسلم بن عقيل ، فضرب رقبة مسلم بن عقيل بكير بن حمران الأحمرى على طرف الجدار فسقطت جثته ، ثم أتبع رأسه جسده ، ثم أمر عبيد الله بإخراج هانىء بن عروة إلى السوق وأمر بضرب رقبته فى السوق . ثم بعث عبيد الله بن زياد برأسى مسلم بن عقيل بن أبى طالب وهانىء بن عروة مع هانىء بن أبى حية الوداعى والزبير بن الأورح التميمى إلى يزيد بن معاوية .

فلما بلغ الحسين بن على الخبر بمصاب الناس بمسلم بن عقيل خرج بنفسه يريد الكوفة ، وأخرج عبيد الله بن زياد عمر بن سعد إليه فقاتله بكربلاء قتالاً شديداً حتى قتل عطشاناً ، وذلك يوم عاشوراء يوم الأربعاء سنة إحدى وستين ، وقد قيل : إن ذلك اليوم كان يوم السبت ، والذى قتل الحسين بن على هو سنان بن أنس النخعى . وقتل معه من أهل بيته فى ذلك اليوم : العباس ابن على بن أبى طالب ، وجعفر بن على بن أبى طالب ، وعبد الله بن على بن

أبى طالب الأكبر ، وعبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، والقاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وعون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن عقيل بن أبى طالب. ومحمد بن أبى سعيد بن عقيل بن أبى طالب ؛ واستصغر على بن الحسن بن على فلم يقتل ، انفلت فى ذلك اليوم من القتل لصغره ، وهو والد محمد بن على الباقر ، واستصغر فى ذلك اليوم أيضاً عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب فلم يقتل لصغره ، وجرح فى ذلك اليوم الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب جراحة شديدة حتى حسبوه قتيلاً ثم عاش بعد ذلك وقتل فى ذلك اليوم سليمان مولى الحسن بن على بن أبى طالب ، ومنجح مولى الحسين بن على بن أبى طالب ، وقتل في ذلك اليوم الخلق من أولاد المهاجرين والأنصار ، وقبض على عبد الله بن بقطر رضيع الحسين بن على بن أبى طالب فى ذلك اليوم ، وقيل : حمل إلى الكوفة ثم رمى به من فوق القصر، أو قيد فانكسرت رجله ، فقام إليه رجل من أهل الكوفة وضرب عنقة .

وكانت أم الحسين بن على بن أبى طالب فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأم العباس بن على بن أبى طالب أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة ، والعباس يقال له : السقاء ، لأن الحسين طلب الماء فى عطشه وهو يقاتل ، فخرج العباس وأخوه ، واحتال حمل إداوة ماء ودفعها إلى الحسين ، فلما أراد الحسين أن يشرب من تلك الإداوة جاء سهم فدخل حلقه ، فحال بينه وبين ما أراد من الشرب فاحترشته السيوف حتى قتل فسمى العباس بن على « السقاء » لهذا السبب ، وكانت والدة جعفر بن على بن أبى طالب وعبد الله بن على بن أبى طالب الأكبر ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود بن معتب ، وكانت أم عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب الرباب بنت القاسم بن أوس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب ، وكانت أم القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب أم ولد ، وكانت أم عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة ، وكانت أم محمد بن عبد الله بن جعفر بن عقيل

ابن أبى طالب أم ولد ، وكانت أم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب رقية بنت على بن أبى طالب ، وكانت أم الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب خولةبنت منظور بن زيان الفزارى ، وكانت أم عمرو بن الحسن بن على ابن أبى طالب أم ولد ، وقد قيل : إن أبا بكر بن على بن أبى طالب قتل فى ذلك اليوم ، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعى . والذى تولى ذلك اليوم حز رأس الحسين ابن على بن أبى طالب شمر بن ذى الجوشن .

ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن على إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله ﷺ على أقتاب[1] مكشفات الوجوه والشعور ، فكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من الصندوق وجعلوه فى رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل ، ثم أعيد الرأس إلى الصندوق ورحلوا ؛ فبيناهم كذلك إذ نزلوا بعض المنازل وإذا فيه دير راهب ، فأخرجوا الرأس على عادتهم وجعلوه فى الرمح وأسندوا الرمح إلى الدير ، فرأى الديرانى بالليل نوراً ساطعاً من ديره إلى السماء ، فأشرف على القوم وقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن أهل الشام ، قال : هذا رأس من هو ؟ قالوا : رأس الحسين بن على ، قال : بئس القوم أنتم ! والله لو كان لعيسى ولد لأدخلناه أحداقنا ! ثم قال : يا قوم ! عندى عشرة آلاف دينار ورثتها من أبى وأبى من أبيه ، فهل لكم أن تعطونى هذا الرأس ليكون عندى الليلة وأعطيكم هذه العشرة آلاف دينار ؟ قالوا : بلى ، فأحدر إليهم الدنانير فجاءوا بالنقاد ، ووزنت الدنانير و نقدت ، ثم جعلت فى جراب وختم عليه ، ثم أدخل الصندوق ، وشالوا إليه الرأس ، فغسله الديرانى ووضعه على فخذه وجعل يبكى الليل كله عليه ، فلما أن أسفر عليه الصبح قال : يا رأس ! لا أملك إلا نفسى ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدك رسول الله ، فأسلم النصرانى وصار مولى للحسين ، ثم أحدر الرأس إليهم فأعادوه إلى الصندوق ورحلوا ، فلما قربوا من دمشق قالوا : نحب أن نقسم تلك الدنانير ، لأن يزيد إن رآها أخذها منا ، ففتحوا الصندوق وأخرجوا الجراب بختمه وفتحوه ، فإذا الدنانير كلها قد تحولت

(١) أى على رحل صغير قدر سنام الجمل .

خزفاً ، وإذا على جانب من الجانبين من السكة مكتوب ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾(١) وعلى الجانب الآخر ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢) قالوا : قد افتضحنا والله ! رموها فى بردى نهر لهم فمنهم من تاب من ذلك الفعل لما رأى ، ومنهم من بقى على إصراره ، وكان رئيس من بقى على ذلك الإصرار سنان بن أنس النخعى .

ثم أركب الأسارى من أهل بيت رسول الله ﷺ من النساء والصبيان أقتاباً يابسة مكشفات الشعور ، وأدخلوا دمشق كذلك ، فلما وضع الرأس بين يدى يزيد بن معاوية جعل ينفر ثنيته بقضيب كان فى يده ويقول : ما أحسن ثناياه ! قد ذكرت كيفية هذه القصة وباليتها بنى أمية وبنى العباس فى كتاب الخلفاء ، فأغنى عن إعادة مثلها فى هذا الكتاب لاقتصارنا على ذكر الخلفاء الراشدين منهم فى أول هذا الكتاب .

وقد بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزنى إلى المدينة لست ليال بقين من ذى الحجة سنة ست وستين ، فقتل مسلم بن عقبة بالمدينة خلقاً من أولاد المهاجرين والأنصار ، واستباح المدينة ثلاثة أيام نهباً وقتلاً ، فسميت هذه الوقعة وقعة الحرة .

وتوفى يزيد بن معاوية بحوارين قرية من قرى دمشق لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وهو يومئذ ابن ثمان وثلاثين ، وقد قيل : إن يزيد بن معاوية سكر ليلة وقام يرقص فسقط على رأسه وتناثر دماغة فمات ، وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد ، وكان نقش خاتم يزيد « آمنت بالله مخلصاً » وقبرة بدمشق .

معاوية بن يزيد أبو ليلى

وولى معاوية بن يزيد بن معاوية يوم النصف من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ، وأمه أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٢ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

له يوم ولى إحدى وعشرون سنة ، وقد قيل : لا ، بل سبع عشرة سنة وكان من خير أهل بيته ، فلما حضرته الوفاة قالوا له : بايع لرجل بعدك وأعهد إليه ، قال: ما أصبت من دنياكم شيئاً فأتقلد مأثمها .

ومات معاوية بن يزيد اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكانت إمارته أربعين ليلة ، وصلى عليه عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان ، وكان نقش خاتمه « يا الله نستعين ـ معاوية » وقبره بدمشق .

مروان بن الحكم

وولى مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، بايعه أهل الشام بالجابية ، وأمة آمنه بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن مخدش الكعبى .

ولما وصل الخبر بموت معاوية الحجاز بايعوا عبد الله بن الزبير بن العوام ، وكنية ابن الزبير أبو خبيب ، وبايع له أهل العراق وأهل الحجاز ؛ وأم عبد الله بن الزبير أسماء بنت أبى بكر ، فكان يخطب لابن الزبير بالحجاز والعراق ، ويخطب بالشام إلى المغرب لمروان بن الحكم إلى أن مات مروان بن الحكم فى شهر رمضان سنة خمسة وستين بدمشق وقد قيل : إن مروان مات بين دمشق وفلسطين ، وكان له يوم مات ثلاث وستون سنة ، وكانت ولايته عشرة أشهر إلا ثلاث ليال ، وصلى عليه ابن عبد الملك بن مروان ، قد عهد إليه فى حياته ، وكان نقش خاتم مروان « آمنت بالعزيز الحكيم » ، وقد قيل : إن نقش خاتم مروان كان « العزة لله » .

عبد الملك بن مروان أبو الوليد

ثم بايع أهل الشام عبد الملك بن الحكم ، وكان يكنى أبا الذبان لبخر كان فى فمه ، وذلك فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وأم عبد الملك بن مروان عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية .

وأنفذ عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان

محارباً وسار عبد الملك إلى العراق يريد مصعباً ، فالتقوا بدير الجاثليق ، وكان بينهما وقعات إلى أن كانت الهزيمة على أصحاب مصعب ، وقتل مصعب بن الزبير ، ثم رجع عبد الملك إلى دمشق وجمع الناس واستشارهم فى أمر عبد الله ابن الزبير وقال : من له ؟ فقام الحجاج بن يوسف فقال : أنا ـ وكان أصغر القوم وأقلهم نباهة ، فقال له عبد الملك : وما يدريك ؟ فقال له : إنى رأيت فى المنام أنى خلعت ثوبه ، فقال : أنت له ، فأخرجه فى جماعة من أهل الأردن والشام لمحاربة ابن الزبير فوافى الحجاج مكة وحاصر الحرم ، ونصب المنجنيق على الكعبة أياماً إلى أن ظفر بعبد الله بن الزبير فقتلة ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، على جذع منكباً ، واستقر الأمر حينئذ لعبد الملك بن مروان ، ومات عبد الملك بن مروان بدمشق لأربع ليال خلون من شوال سنة ست وثمانين ، وكانت أم عبد الملك بن مروان عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية ، وصلى عليه ابنه الوليد ، وكان له يوم توفى اثنتان وستون سنة ، وكان نقش خاتمه « آمنت بالله » .

وليد بن عبد الملك أبو العباس

وبايع الناس الوليد بن عبد الملك فى اليوم الذى توفى أبوه بدمشق ، وأم الوليد بن عبد الملك : ليلى بنت العباس بن الحسين بن الحارث بن زهير ، وتوفى الوليد بن عبد الملك بدمشق للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بموضع يقال دير مران ، وكان له يوم مات تسع وأربعون سنة ، وكان نقش خاتمه « يا وليد » مات وصلى عليه سليمان بن عبد الملك ، وحمل من دير مران على أعناق الرجال إلى دمشق ، ودفن فى باب الصغير . وفى ولاية الوليد بن عبد الملك مات الحجاج بن يوسف فى شهر رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو ابن سعد

ابن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان .

سليمان بن عبد الملك أبو أيوب

وولى سليمان بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه وليد بن عبد الملك ، وأمه ليلى بنت العباس بن الحسين ، وكنيته سليمان بن عبد الملك أبو أيوب ، مات سليمان بموضع يقال له دابق يوم الجمعة لعشر ليال خلون من صفر ، وقد قيل : لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين ، وكان له يوم توفى خمسة وأربعون سنة ، وكان نقش خاتمه « أومن بالله » .

عمر بن عبد العزيز أبو حفص

واستخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص بدير سمعان فى اليوم الذى توفى سليمان بن عبد الملك ، وأم عمر بن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى ، فلما ولى عمر جمع وكلاءه ونساءه وجواريه فطلقهن وأعتقهن ، وأمر بثيابه فبعث كلها وتصدق بأثمانها ، ولزم طريقة الخلفاء الراشدين المهديين الذين هو من جملتهم ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وتوفى عمر بن عبد العزيز بدير سمعان يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان له يوم مات إحدى وأربعون سنة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمس ليال ، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك ، وقيل صلى عليه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وكان نقش خاتم عمر بن عبد العزيز « بالله مخلصاً » .

يزيد بن عبد الملك أبو خالد

وولى أهل الشام يزيد بن عبد الملك بن مروان بعد دفن عمر بن عبد العزيز ، وكنية يزيد بن عبد الملك أبو خالد ، وأمة عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وتوفى يزيد بن عبد الملك بحوران من أرض دمشق يوم الجمعة أو

الخميس لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمسة ومائة ، وكان له يوم توفى تسع وعشرون سنة ، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً . . . لأنه مات بسواد الأردن ، وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان نقش خاتم ابن عبد الملك « رب قنى الحساب » .

هشام بن عبد الملك أبو الوليد

وولى هشام بن عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى توفى فيه أخوه ، وأمه عائشة بنت هشام بن أسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، ومات هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وكان له يوم توفى ست وخمسون سنة ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وستة أشهر وإحدى عشرة ليلة ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان نقش خاتم بن عبد الملك «للحكم الحكيم » وكان هشام أحول .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك أبو العباس

وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعد دفن هشام بن عبد الملك ، وأمه أم محمد واسمها عائشة بنت محمد بن الثقفى أخو الحجاج بن يوسف وكنيته الوليد بن يزيد أبو العباس ، وقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الخميس لليلين بقينا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة و قتله يزيدالناقص بالبخراء من أرض دمشق ، وكانت ولايتة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك أبو خالد .

وولى يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد بن عبد الملك وأمه هند بنت عبد العزيز بن مروان ، ومات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت ولايته خمسة أشهر وقد قيل : خمسة أشهر وليلتين، و صلى علية إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك وكان يقال لة : يزيد الناقص وانما سمى بذلك لانه نقص عطاء الجند عما زاده الوليد فسمى بذلك الناقص.

ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك أبو إسحاق

كوولى إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان فى اليوم الذى مات فية أخوه وكانت أمه ام ولد وكان يلقب بصلبان باسم مجنون وكان عندهم بدمشق وبقى فى العمل ثلاثة أشهر ثم قدم مروان بن محمد دمشق ، وراوده على أن يخلع نفسه بعد ان قاتله مروان فسمى المخلوع وبقى بعد ذلك مدة إلى أن مات بدمشق ، وقد قيل محمد بن مروان هو الذى قتله وصلبه وكان اليوم الذى خلع فيه إبراهيم بن الوليد يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك .

وولى مروان بن محمد فى اليوم الذى خلع فيه إبراهيم بن الوليد نفسه وذلك يوم الاثنين وكان يقال له مروان الحمار ، وإنما عرف بالحمار لقلة عقله وأمه أم ولد جارية كردية كان يقال لها لبابة وظهر أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم وأحد بنى ليث بن بكر بن عبد مناف بخرسان يوم الخميس لعشر بقين من رمضان سنة تسع وعشرين ومائة . فأظهر الدعوة للرضا من آل رسول الله ﷺ ثم دخل مرو وفض الجموع التى كانت بها مع نصر بن سيار ، وهرب نصر بن سيار من أبى مسلم يريد العراق فمات بساوة وخرج أبو مسلم من مرو إلى نيسابور ثم قصد الرى ثم خرج منها إلى الكوفة فدخلها، وانفذ عبد الله بن على بن العباس وأهل بيته وهم بالمدينه فاستقدمهم الكوفة وانفذ عبد الله بن على العباس وأهل بيتة مع جيش جرار إلى دمشق يريد مروان بن محمد فأنفذ عبد الله بن على على مقدمته صالح بن على فجعل صالح بن على على مقدمته فعجل صالح بن على على مقدمته أبا عون عبد الملك بن يزيد فواقع ابن عون مروان بن محمد بموضع يقال له أبو صير من رستاق يدعى من صعيد مصر ، لأنه هرب إلى الصعيد فقتل مروان الحمار عامر بن إسماعيل المرزوى وذلك يوم الخميس لست ليال بقين من ذى الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة و قد قيل : إن مروان بن محمد قتل فى بعض نواحى دمشق وانقضت مدة ملك بنى أمية

على رأسة .

السفاح أبو العباس

وولى أبو مسلم أبا العباس واسمه عبد الله بن محمد بن على بن على عبد الله ابن العباس ، وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنه اثنين وثلاثة ومائه وأمه رائطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثى وهو أول عباس يتولى الخلافة وتحول من الحيرة إلى الأنبار وبنى مدينتها للنصف من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وتوفى أبو العباس يوم الأحد بالأنبار ليلة عشر مائة وصلى عليه عيسى بن على بن عبد الله بن عباس وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر وكان مولدة بالشام بالحميمة وكان نقش خاتم أبى العباس « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » .

المنصور أبو جعفر أخوه

وولى أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد على بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فى اليوم الذى مات فيه أخوه وأمه أم ولد أسمها سلامة وتوفى أبو جعفر المنصور بالأبطح بمكة لتسع خلون من ذى الحجة سنه ثماني و خمسين و مائة ، ودفن ببئر ميمون ، وصلى علية إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على ، وقد قيل لا بل صلى عليه عيسى بن محمد بن على والمنصور هو قاتل أبى مسلم ، وكان أبومسلم مولده بكرخ أصبهان واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله المنصور فى آخر شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وطواه فى بساط لأنه ترك الرأى وكان للمنصور يوم ولى ثلاث وستون سنة ، وكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة غير يوم ، وكان نقش خاتم المنصور « اللهثقة عبد الله » .

المهدى بن المنصور أبو عبد الله

وولى محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس فى اليوم الذى توفى فيه أبوه ، وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد اللة بن سهم بن يزيدالحمرى

ومات المهدى بما سبذان بقرية يقال لها السواد ،وذلك فى المحرم ليلة الخميس لثمان بقين منه تسع وستين ومائه ، وكان يوم توفى ثلاث وأربعون سنة وكانت ولايته عشر سنين وشهرا وأربع عشر ليلة وصلى عليه ابنه هارون وقد كان نقش خاتمه « استقدر الله تعالى »

الهادى بن مهدى أبو محمد

وولى موسى بن أبى محمد أبى جعفر المنصور فى اليوم الذى مات فية أبوه ، وكان موسى يومئذ بجرجان وامه الخيزران أم ولد ، بويع ببغداد وانفذت البيعة إليه وهو بجرجان ثم قدم الهادى ببغداد وتوفى موسى الهادى يوم الجمعة بموضع يقال له عيساباذ من سواد العراق و ذلك يوم الجمعة لأربع عشرةليلة مضت من شهر ربيع الأول سنه سبعين ومائة وكان له يوم توفى خمس وعشرين سنة وكانت ولايته أربع عشر شهرا إلا ست ليال و صلى عليه أخوه هارون الرشيد بن الهادى وكان نقش خاتم الهادى « الله ربى »

الرشيد بن المهدى

وولى هارون بن محمد بن أبى جعفر المنصور فى اليوم الذى توفى فيه أخوه موسى وكنيته أبو جعفر وأمه أم ولد وتوفى هارون الرشيد بطوس بموضع يقال له سناباذ بخارج النوقان وكان قد خرج من جرجان إليها وذلك فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة وكان مولده بمدينة السلام ،وكان نقش خاتم هارون « بالله ثقتى » ورأيت قبر هارون الرشيد تحت قبر على بن موسى الرضا بينهما مقدار زراعين فى رأى العين ، على فى القبله وهارون فى المشرق مما يليه وكان لهاروان يوم توفى تسع وأربعون سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة و شهرين وسبعة عشر يوما.

الأمين بن الرشيد أبو عبد الله

وولى محمد بن هارون وأمه زبيدة وهى أم جعفر بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ومحمد يومئذ ببغداد فوقعت البيعة علية بطوس وهو غائب ببغداد ثم

أخذ بيعة الناس لابنه محمد بعده ثم أخذ بيعه الناس لابنه عبد الله بعد محمد ، فلما مات هارون وولى محمد جعل عبد الله بن الحسين الأعور لمحاربه الأعمال بطوس وخرسان بعد موت أبيه وأنفذ طاهر أخيه ببغداد فوافى طاهر ببغداد وحاصر الأمين بها وقاتله إلى أن قتله ، وانفذ رأسه إلى المأمون وكان ذلك يوم الأحد لسبع لقين من المحرم سنه ثمان و تسعين ومائه وكان نقش خاتم الأمين « قاصده لا يخيب »

المأمون بن الرشيد أبو العباس

وولى عبد الله بن هارون المأمون أخو محمد ببغداد فى اليوم الذى قتل فيه أخوه وبايعه الناس بيعة العامة وكانت امه أم ولد اسمها مراجل توفى المأمون باللبذندون خارج طروسوس على طريق الروم فى شهر رجب لإحدى عشرة ليلة خلت منه سنة ثمان عشرة ومائتين ، وحمل إلى طرسوس وصلى عليه أخوه أبو إسحاق المعتصم ، ودفن بطرسوس ، وكان له يوم مات ثمان وأربعون سنة وثلاثة أشهر ولايته عشرين سنة وستة عشر يوماً ، وكان مولده بمدينة السلام . وكان نقش خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » .

المعتصم بن الرشيد أبو إسحاق

وولى محمد بن هارون أبو إسحاق المعتصم أخو المأمون بعد دفن أخيه بطرسوس ، وأمه أم ولد اسمها ماردة ، فأخذ المعتصم فى إجبار ما لا يحتاج إليه، وضرب أحمد بن حنبل بالسياط وقتل أحمد بن نصر الخزاعى ، حتى بقى الناس فى تلك الفتنة إلى أن مات المعتصم بسر من رأى من أرضى القاطول ليلة الخميس لثمان عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد قتل: لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، وصلى عليه ابنه الواثق ، وكان له يوم توفى سبع وأربعون سنة وثلاثة عشر يوماً ، وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر، وكان نقش خاتمه « الحمد لله الذى ليس كمثله شيئ » .

الواثق بن المعتصم أبو جعفر

وولى هارون ـ وأبوه إسحاق المعتصم بن الرشيد ـ بعد دفن أبيه ، وأمه أم تدعى قراطيس ، وكان للواثق يوم ولى ستة وعشرون سنة وشهران وثمانية أيام ، وتوفى يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل ، وكان مولد الواثق بمدينة السلام ، ونقش خاتمه « لله ثقة الواثق » .

المتوكل بن المعتصم أبو الفضل

وولى جعفر بن محمد بن هارون بعد دفن أخيه الواثق بن المعتصم ، وأم المتوكل أم ولد اسمها شجاع ، وكان له يوم ولى ثمان وعشرون سنة ، فأظهر المتوكل محبة السنة والميل إليها وأنكر ما كان يفعله أبوه وأخوه فى هذا الشأن ورفع من شأن أهل العلم ، ومرهم على أحمد بن نصر ؛ فمالت قلوب العوام إليه ، وقتل المتوكل يوم الأربعاء لخمس خلون أو لسبع خلون من شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وقتله ابنه المنتصر وهو الذى صلى عليه ، وكان نقش خاتم المتوكل « لا إله إلا الله ، المتوكل على الله » ، وكانت خمس عشرة سنة وشهرين .

المنتصر بن المتوكل أبو جعفر

وولى محمد بن جعفر بن محمد بن هارون المنتصربن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد فى اليوم الذى قتل فيه أبوه ، وبايعه أخواه المعتز والمؤيد ، وكانت أم المنتصر أم ولد يقال لها حبشية ، ومات المنتصر بن المتوكل يوم الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وصلى عليه المستعين ابن المعتصم عمه ، وكان نقش خاتم المنتصر « محمد بالله ينتصر » .

المستعين بن المعتصم أبو عبد الله

وولى أحمد بن محمد بن هارون ، وهو أخو جعفر المتوكل وعم المستنصر

ابن المتوكل ، وأم المستعين اسمها مخارق أم ولد ، وبويع في اليوم الذى توفى فيه المنتصر ، فلما دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين وقع بين المعتز والمستعين الفتن الكثيرة والمناوشات الشديدة إلى أن خلع المستعين نفسه فى آخر سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وذلك يوم الأربعاء للنصف من المحرم ، وكان نقش خاتم المستعين « أحمد بن محمد » .

المعتز بن المتوكل أبو عبد الله

وبايع بعد خلع المستعين نفسه الزبير بن جعفر بن محمد بن محمد ابن هارون ، وهو المعتز بن المتوكل ، أمه أم ولد اسمها قبيحة ، وقتل المعتز فى شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان نقش خاتمه « المعتز بالله » .

المهتدى بن الواثق أبو عبد الله

وولى محمد بن هارون محمد وهو المهتدى بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد بسر من رأى ليومين بقيا من رجب سنة خمس وخمسين وغلب عليه الأتراك إلى أن قتلوه لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين و مأتان وكانت أمه أم ولد ونقش خاتم المهتدى محمد أمير المؤمنين.

المعتمد بن المتوكل أبو العباس

وولى أحمد بن جعفر وهو المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فى اليوم الذى قتل فيه المهتدى وأمه أم ولد اسمها فتيان فجعل المعتمد أخاه أبا أحمد الموفق ولى عهده يوم الجمعة لاثنتى عشرة دخلت من ذى الحجة سنة إحدى وستيين ومائتين فجعل الموفق يبعده ويحجب الناس عن المعتمد واعتل أنه مأجور وكان للمتوكل ثلاثه بنين أكبرهم محمد بن جعفر وهو المنتصر ، والأوسط منهم أحمد بن المعتمد والأصغر طلحة بن جعفر وهو والوسط منهم الموفق أبو أحمد وتوفى أبو أحمد الموفق من علة صعبة كانت به يوم الخميس لثمان خلون من صفر سنه ثمان وسبعين ومائتين وتوفى لإحدى عشرةليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين وماءتين وكان له يوم توفى ستون سنة

المعتضد بن الموفق بن المتوكل أبو العباس

وولى أحمد بن طلحه بن جعفر وهو ابن أبى الموفق فى اليوم الذى توفى فيه المعتمد وكانت أمه أم ولد و توفى المعتضد ببغداد ليلة الاثنين لثمان بقين من شهر الآخر سنه تسع وثمانين ومأتين وقد قيل إن المعتضد توفى يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين و مأتين وقد قيل غلسه أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب وصلى عليه أبو يوسف وكان له يوم توفى ست وأربعون سنه وكان نقش خاتمه « المعتز بالله ».

المكتفى بن المعتضد أبو محمد

وولى على بن أحمد بن جعفر بعد دفن أبيه وأمه أم ولد جارية تركية ليله وتوفى المكتفى ليلة الأحد لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومأتين وغسله أبو عمر وهو الذى صلى عليه وكان للمكتفى يوم توفى إحدى وثلاثون سنة

المقتدر بن المعتضد بن المتوكل أبو الفضل :

وولى جعفر أخو المكتفى فى اليوم الذى توفى فيه أخو المكتفى وأم المقتدر أم ولد يقال لها شغب وكان مولد المقتدر سنه اثنين وثمانين ومائتان وبايع الخاص لعبد الله بن المعتز فى الشهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبقى مع المقتدر الحجرية وجماعة من الحشم وعوام الناس فركب الحسين بن حمدان فى جماعة معه من الأعراب وجاء إلى باب المقتدر ثم ذهب الحسين بن حمدان فى جماعة معه قاصدا دار ابن المعتز فحارب وقتل ظاهرا مكشوفا والعباس بن الحسن بن أيوب وكان كاتب المعتز وظفر بأصحاب ابن المعتز فهزم وقبض على عبد الله بن المعتز وقتله واستوى أمر المقتدر وهدأت أمور الناس وصار الناس كأنهم نيام لا يحسبون بفتنة وعمرت والدته الحرمين وانفقت عليهما وكذلك عمرت بيت المقدس وكانت تنفق عليها وعلى الثغور فى كل سنة أموالا خطيرة وارتفع أهل العلم فى كل بلد من الدنيا ورأيت بغداد فى تلك

الأيام أطيب ما كانت وأعمرها ثم أناءت أمور المقتدر عليه سنة ست عشره وثلاثمائة واتفق الناس على خلعه فخلعو واقعدوا أخاه القاهر مكانه بعد أن خلع المقتدر نفسه فبقى القاهر ثلاثة أيام كذلك ، ثم خلع القاهر نفسه وباع الناس المقتدر ثانيا وعمل المقتدر إلى آخر سنة عشرين وثلاثمائة ثم اضطرب الجيش وهيجهم مؤنس على المقتدر فركب المقتدر بنفسه ليسكن القوم وعليه برده رسول الله ﷺ فبينا هو واقف ومعه الخلق من الجند إذا جاء رجل بربرى لا يعرف من هو فتوهموا أنه يريد أن يسلم عليه فلما دنا رماه بحربته فقتله وذلك يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شوال سنه عشرين وثلاثمائة .

القاهر بن المعتضد بن العباس

وولى محمد بن أحمد بن طلحة بن جعفر وهو أخ المقتدر والمكتفى فى اليوم الذى قتل فيه أخوه المقتدر وبقى فى الولاية سنة وستة أشهر ثم كحل[1] وخلع ، وتوفى القاهر سنه اثنتين وعشرين وثلاثمائة

الراضى بن المقتدر أبو العباس

وولى محمد بن جعفر بن أحمد بن طلحة وهو الراضى بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ومات الراضى فى أول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

المتقى بن المقتدر

وولى إبراهيم بن جعفر بن أحمد بن طلحة بن جعفر فى أول سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

المطيع بن المقتدر

وولى المفضل بن محمد أحمد بن طلحه بن جعفر وهو ابن المقتدر بعد دفن

---

(١) أى خلعوا عينيه .

المستكفى هو باق لا أدرى ما الله صانع به إلا أنه خليفة يموت أو يقتل لا محالة لأن له أسوة بمن فقدهم والله أعلم .

ذكر الخلفاء الراشدين والملوك الراغبين

أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدى ثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلى ثنا الوليد ابن مسلم ثنا الأوزاعى حدثنى الزهرى عن أبى سلمة عن هريرة عن رسول الله ﷺ قال « يكون بعدى خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون ما يؤمرون ثم يكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن انكر عليهم فقد برىء ولكن من رغب وتابع، قال أبو حاتم : قد ذكرنا جمل ما يحتاج إليه من الحوادث التى كانت فى أيام الخلفاء الأربعه الراشدين المهتدين واومانا إلى ذكر من كان بعدهم من بنى أمية وبنى العباس وأغضينا عن ذكر من أخبارهم لم يلتفت الناظر فى كتابنا هذا عليه لإمعاننا فى ذكر الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس من كتابنا وإنا سنذكر بعد هذا أصحاب رسول الله ﷺ فى كتاب واحد واحداً بانسا بهم وقبائلهم وما يعرف من انسابهم واوقاتهم كيلا يتعذر على سالك سبيل العلم الوقف على أنبائهم إن أراد الله ذلك وشاء نسأل الله العون على ما يقربنا إليه ويزلفنا لديه إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

أول كتاب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه وزريته وأصحابه أجمعين قال أبو حاتم محمد بن حيان التميمى رضى الله عنه أخبرنا أبو يعلى أحمد بن على خلف بن هشام البزار وعبد الواحد بن غياث قالا ثنا أبو عوانة عن زرارة بن عمران بن حضين قال رسول الله ﷺ خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم قال أبو حاتم محمد بن حبان التميمى خير هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ صحبوه ونصروه وبذلوا له أنفسهم وأموالهم ابتغاء مرضاة من الله من المهاجرين والأنصار ومن آمن به وصدقه من غيرهم . فمنهم العشرة الذين شهد لهم النبى ﷺ بالجنة :

أبو بكر ، وعمر، وعثمان ، وعلى ، وقد ذكرناهم بأيامهم وما يجب من الوقوف على أخبارهم فيما قبل فى أجزاء أفردتها فى أخبارهم وما كان فى مددهم من الفتوح .

وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وهو قرشى ، وكنيته أبو محمد ، وكان يقال له : الفياض ، لكثرة بذله الأموال ، ولحق النبى ﷺ ببدر بعد فراغة من بدر ، بعثه النبى ﷺ إلى حوراء ليتجسس أخبار العير ، فضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره ، وقتله مروان بن الحكم بسهم رماه ، ومات سنة ست وثلاثين يوم الجمل لعشر ليال خلون من جمادى الأولى وهو ابن أربع وستين سنة ، وقد قيل : فى شهر رجب ، وقبره بالبصرة مشهور يزار ، وأم طلحة الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن حضر موت .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وهو قرشى ، وكنيته أبو عبد الله ، وكان من حوارى رسول الله ﷺ .

وأم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، وأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، شهد بدراً وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وقتل فى شهر رجب سنة ست وثلاثين ، قتله عمرو بن جرموز ، وكان له يوم مات أربع وستون سنة، وأوصى إلى ابنه عبد الله صبيحة يوم الجمل فقال : يا بنى ! ما من عضو منى إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى فرجى فقتل من آخر يومه، وقبره بوادى السباع من أرض بنى تميم مشهور يعرف ، وللزبير عشرة من البنين وابنتان : عبد الله وعاصم وعروة والمنذر ومصعب وحمزة وخالد وعمرو وعبيدة وجعفر ، والابنتان : رملة وخديجة .

وسعد بن أبى وقاص ، وهو سعد بن مالك بن وهيب ـ ويقال : أهيب ـ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن

مالك بن النضر ، وكنيته أبو إسحاق ، وأمه : حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، مات فى قصرة بالعقيق ، وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة عشرة أميال سنة خمس وخمسين ، وقد قيل : سنة ثمان و خمسين، وصلى عليه مروان بن الحكم ، وكان واليها فى أمارة معاوية ، وله يوم مات أربع وسبعون سنة ، وكان قد أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة ، وحمل من أولاد سعد العلم عمر ومحمد وعامر وموسى ومصعب وعائشة .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن زراح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو الأعور ، قدم من الحوراء مع طلحة بعد ما انصرف النبى ﷺ من بدر ، فضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره ؛ مات سنة إحدى وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة ودفن بالمدينة ، ودخل قبره سعد بن أبى وقاص وابن عمر؛ أمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد بن خالد بن خزاعة .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو محمد ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب من المهاجرات ، مات لست بقين من خلافة عثمان وهو ابن خمس وسبعين سنة ودفن بالبقيع ، ولعبد الرحمن بن عوف عشرة بنين : محمد وإبراهيم وحميد وزيد وأبو سلمة ومصعب وسهل وعثمان وعمر والمسور سوي البنات اللائى كن له .

وعامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، وكنيته أبو عبيدة وتوفى فى طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة فى خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وكان قد شهد بدراً وهو ابن إحدى وأربعين سنة وهو من جلة الصحابة وأمه بنت عبد العزى ابن شقيق بن سلامان من بنى فهر .

فهرس المواضيع

الموضـوع — الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضــوع الصفحة

الموضـوع	الصفحة